جامعة أم القرى
مكة المكرمة
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
قسم الدراسات العليا
فرع الكتاب والسنة



رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الشريعة الاسلامية في الكتاب والسنة

إعداد الطالبة

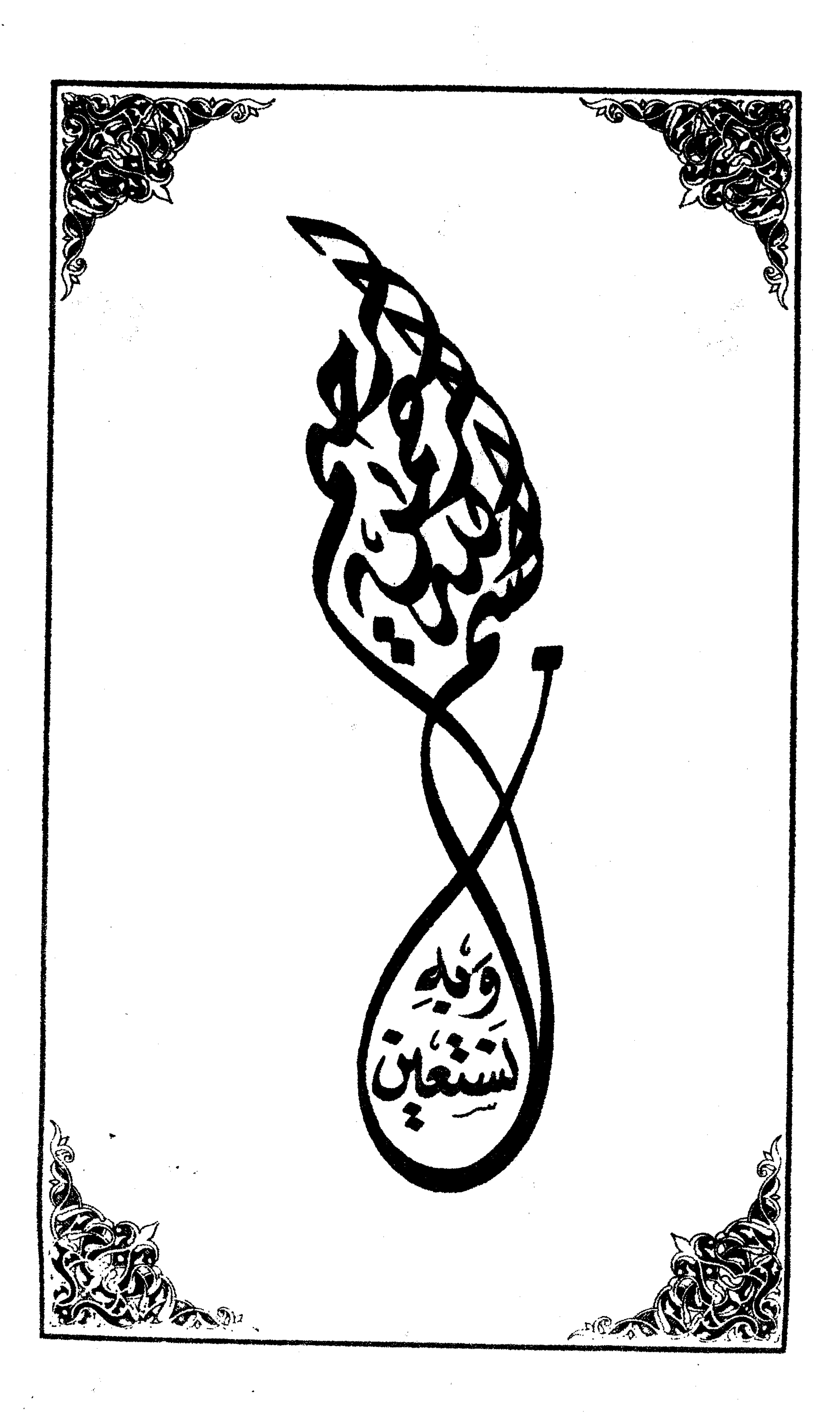
عفاف محمد سعيد عيد

إشراف

الدكتور محمد أبو النور الحديدي

عام

١٤٠٢ / ١٤٠٣هـ


بسم الله الرحمن الرحيم
وبه نستعين

-((المقدمــــة))-

-(((بسم الله الرحمن الرحيم)))-

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبى الأمى وعلى آلــه وصحبه أجمعين .

وبعد :-

فان سبب اختيارى لهذا الموضوع مايلى :-

* جدة هذا الموضوع وندرة الدارسين والباحثين فيه فمادته مستخلصة من القــرآن الكريم وكتب التفاسير وبعض كتب السنة الصحاح التى ذكرت أسباب النزول وكذلك بعض كتب السيرة .

* وقد استرعى انتباهى آيات فى القرآن الكريم تضمنت الأسئلة والأجوبة فرغبــت فى الكتابة عنها وتوضيحها وعرضها بشكل مفصل بعض الشئ خشية الاطالة فى ذلك .

* أما منهجى فى هذا البحث فيقوم على منهج تكاملى يجمع بين التفسير الموضوعــى والتفسير التحليلى .

وقد قسمت البحث الى :-

مقدمة وتمهيد ، وبابين ، وخاتمة .

- **المقدمة** : أوضحت فيها سبب اختيارى للموضوع ، ومنهج البحث الذى التزمته .
- **التمهيد** : تحدثت فيه عما نهى عنه من المسائل .
- **الباب الأول** : الأسئلة وتنضوى تحته فصول ثلاثة :-

تحدثت فى الفصل الأول : عن الأسئلة التى وجهت الى النبى صلى الله عليه وسلم من الطوائف المختلفة :- المسلمين والمشركين واليهود .

أولا : أسئلة المسلمين :-

١) السؤال عن الله سبحانه وتعالى .

٢) السؤال عن الأهلة .
٣) السؤال عما ينفقون .
٤) السؤال عن الخمر والميسر .
٥) السؤال عن اليتامى .
٦) السؤال عن المحيض .
٧) السؤال عما أحل لهم .
٨) السؤال عن الأنفال .
٩) الاستفتاء فى النساء .
١٠) الاستفتاء فى الكلالة .

ثانيا : أسئلة المشركين وهى :-
١) السؤال عن الجبال .
٢) السؤال عن الساعة .
٣) سؤالهم أآلهتهم خير أم عيسى عليه السلام .
٤) السؤال عن القتال فى الشهر الحرام .

ثالثا : أسئلة اليهود وهى :-
١) السؤال عن سبب تحويل القبلة .
٢) السؤال عن أصحاب الكهف .
٣) السؤال عن ذى القرنين .
٤) السؤال عن الروح .

ثم تحدثت فى نهاية الفصل الأول عن :-
١) الصيغ التى حكيت بها الأسئلة فى القرآن الكريم من السؤال والاستفتاء وصيغ الاستفهام الأخرى .
٢) الأغراض التى من أجلها وجهت الأسئلة الى النبى صلى الله عليه وسلم من الاستعلام فى أسئلة المسلمين - والامتحان فى أسئلة اليهود -

والاختبار كذلك والتعجيز فى أسئلة المشركين .

وتحدثت فى الفصل الثانى : عن الأسئلة التى أمر الرسول صلى الله عليه وسلم أن يسألها غيره من الرسل قبله ، والمشركين ، وبنى اسرائيل .

أولا : سؤال الرسل قبله عليهم السلام وذلك لتوضيح أن الأديان والشرائع السابقة كانت تدعو الى عبادة الله تعالى وحده لا شريك له .

ثانيا : الأسئلة التى أمر الرسول صلى الله عليه وسلم أن يسألها المشركين لاقامة الحجة عليهم لأنهم انصرفوا عن الدلائل والبراهين عنادا وكفرا بعد اعترافهم بأن الله تعالى هو خالق كل الأشياء فعبدوا معه آلهة أخرى لا تنفع ولا تضر .

ثالثا : الأسئلة التى أمر الرسول صلى الله عليه وسلم أن يسألها بنى اسرائيل وكانت لتوضيح الدلائل والبراهين الدالة على صدق نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم الموضحة فى كتبهم السابقة ولكن جحودهم وحسدهم جعلهم يعاندون ويكابرون فى الحق بعد وضوحه لهم .

وتحدثت فى الفصل الثالث : عن أسئلة الله تعالى لعباده : لرسوله وللمشركين ولأهل الكتاب .

أولا : أسئلته تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم التى كان مصدرها العتاب لتركه عليه الصلاة والسلام الأولى الذى كان عليه أن يفعله .

ثانيا : أسئلته تعالى للمشركين التى كانت لتوبيخهم على أعمالهم التى هم عليها من الشرك والضلال والبعد عن الحق بعد وضوحه لهم .

ثالثا : أسئلته تعالى لأهل الكتاب ـ اليهود والنصارى وكانت انكارا عليهم وتوبيخا على كفرهم واعراضهم عن الحق بعد معرفته حق المعرفة وقد فعلوا ذلك حسدا وعنادا ومكابرة عن الحق والله تعالى ليس بغافل عما يعمل الظالمون وسوف يجازيهم بكل ماعملوا .

- **الباب الثاني : الأجوبـــــة** وتنضوى كذلك تحته أربعة فصول هى :-

١) الفصل الأول : الأجوبة ببيان المسئول عنه .

٢) الفصل الثانى : الأجوبة ببيان المسئول عنه وزيادة .

٣) الفصل الثالث : الأجوبة ببيان غير المسئول عنه لأنه أهم .

٤) الفصل الرابع : الاجابة بتفويض العلم فى المسئول عنه الى الله تعالى .

- **الخاتمـــة :**

تحدثت فيها عن النتائج المستخلصة من البحث .

* ويجدر بى أن أشير الى أن الفصل الأول جاء مستفيضا الأمر الذى أغنى عن الاطالة فى الفصول التالية من الباب الأول .

* أما الباب الثانى - الأجوبة

فقد أوجزت فيه الحديث حيث أن الأجوبة لم تخرج عن الأربعة الأنواع المذكورة .

واكتفيت بذكر نماذج من ذلك .

وختمت بحثى بخاتمة عرضت فيها النتائج المستخلصة من البحث

وبعد :

فانى لا أدعى لبحثى هذا الكمال الا أننى أرجو أن أكون قد وفيته بعض حقـــه ، ومافيه من حق فمن الله تعالى ومافيه من خطأ فمنى ومن الشيطان والشرع منه براء .

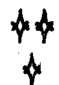
والله الهادى الى سواء السبيـــــل .

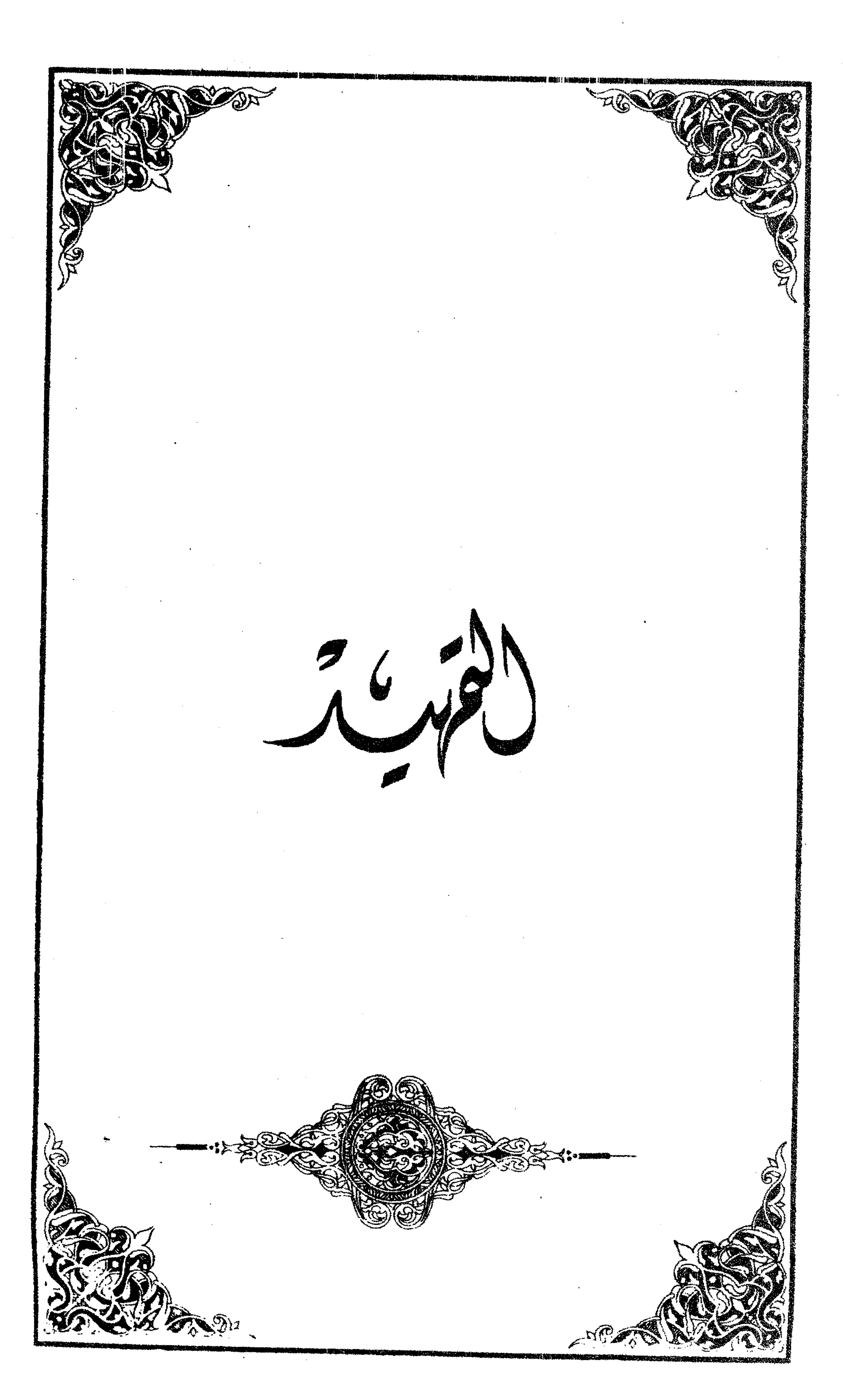
وفى الختام لايسعنى الا أن أتقدم بجزيل الشكر والعرفان والتقدير لفضيلة الدكتـــور محمد أبو النور الحديدى الذى منحنى من وقته الكثير وأفاض على من علمه فجزاه اللـــه تعالى خير الجزاء على حسن توجيهه وارشاده .

وأتقدم بالشكر الى أعضاء لجنة المناقشة حيث أنهم منحونى من وقتهم الكثيـــر فى سبيل تقويم هذا البحث .

كما أشكر القائمين على جامعة أم القرى وخاصة كلية الشريعة والدراسات الاسلامية حيث أعانتنا على اتمام هذا العمل فى وقته المحدد .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين !




التمهيد

مانهى عنه من المسائل :-

لقد نهى الحق تعالى عباده المؤمنين عن السؤال عن أشياء ان ظهرت لهم ساءتهم كما فى قوله تعالى :-

(يأيها الذين ءامنوا لا تسئلوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم وان تسئلوا عنها حين ينزل القرءان تبد لكم عفا الله عنها والله غفور حليم . قد سألها قوم من قبلكم ثم أصبحوا بها كفرين) (١)

وفى بيان الأشياء التى نهى المؤمنون عن السؤال عنها اختلفت أقوال جمهور المفسرين فذكر بعضهم :

أولا : أنها الأشياء التى لا فائدة لهم فى السؤال عنها ، لأنها ان ظهرت لهم ربما ساءتهم وشق عليهم سماعها ، مثل سؤال أحدهم النبى صلى الله عليه وسلم عن أبيه . من هو؟

ومثل سؤال الآخر أيضا عن أبيه . أين هو؟

وربما يكون فى بيان هذه الأشياء مايسوء السائل بأن ينسب الى غير من عرف الناس أنه أبوه ، أو يخبر السائل أن أباه فى النار فيسوءه ذلك .

كما أخرج الامام البخارى :

(عن أبى موسى قال : سئل النبى صلى الله عليه وسلم عن أشياء كرهها ، فلما أكثر عليه غضب ثم قال للناس : سلونى عما شئتم قال رجل : من أبى ؟ قال : أبوك حذافة . فقام آخر فقال : من أبى يارسول الله؟ فقال : أبوك سالم مولى شيبة . فلما رأى عمر مافى وجهه ، قال : يارسول الله انا نتوب الى الله عز وجل).(٢)

وورد فى رواية أخرى رواها الامام البخارى أيضا :-

عن أنس بن مالك أن السائل هو عبد الله بن حذافة .

(عن الزهرى قال : أخبرنى أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) سورة المائدة الآيتان ١٠١ - ١٠٢ .

(٢) صحيح البخارى بشرح فتح البارى جـ١ ص١٨٧ كتاب العلم / باب الغضب فى الموعظة والتعليم اذا رأى ما يكره .

خرج فقام عبدالله بن حذافة فقال : مَنْ أبى ؟ فقال : أبوكَ حذافة . ثم أكثر أن يقولَ : ((سلونى)) .

فبركَ عمر على ركبتيه فقال : رضينا بالله ربًا ، وبالإسلامِ دينًا ، وبمحمدٍ صلى الله عليه وسلم نبيًا . فسكتَ)(١)

وذكر الامام ابن حجر العسقلانى فى الفتح :-

أن الرجل الآخر (الوارد فى الحديث السابق) هو : سعد بن سالم مولى شيبة بن ربيعة .

كما ذكر أيضا : أنه وقع فى تفسير "مقاتل" فى نحو هذه القصة، أن رجلا من بنى عبد الدار قال : من أبى ؟ قال : سعد : نسبة الى غير أبيه . بخلاف ابن حذافة .(٢)

فسؤال انسان عن أبيه ، قد يترتب عليه أن يخبره الرسول صلى الله عليه وسلم بنسبته الى غير من اشتهرت نسبته اليه ، فيلحقه العار ، فنهى عن مثل هذا السؤال .

وذكر الامام ابن كثير عن الزهرى أنه قال : قالت أم عبد الله بن حذافة : ما رأيت ولدا أعق منك قط أكنت تأمن أن تكون أمك ، قد قارفت ما قارف أهل الجاهلية ، فتفضحها على رؤوس الناس ، فقال : والله لو ألحقنى بعبد أسود للحقته .(٣)

---

(١) صحيح البخارى بشرح فتح البارى جـ١ ص١٨٨ كتاب العلم / باب من برك على ركبتيه عند الامام أو المحدث .

(٢) فتح البارى جـ١ ص١٨٧ .

(٣) تفسير ابن كثير جـ٢ ص١٠٥ .

وذكر الامام ابن جرير عن أبى هريرة قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو محمار وجهه حتى جلس على المنبر فقام اليه رجل فقال : أين أبى ؟ قال : فى النار ، فقام آخر ، فقال : من أبى ؟ قال : أبوك حذافة ، فقام عمر بن الخطاب فقال : رضينا بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا وبالقرآن اماما ، انا يارسول الله حديثو عهد بجاهلية وشرك والله يعلم من آباؤنا ، قال : فسكن غضبه ، ونزلت هذه الآية (١)

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ ...)(٢) الآية .

وقال الامام ابن كثير اسناد الحديث جيد(٣)

وقال الامام ابن حجر العسقلانى فى الفتح :

هذا شاهد جيد لحديث أبى موسى و أنس المذكور(٤)

ثانيا : وذكر آخرون من المفسرين :-

ان الأشياء المنهى عن السؤال عنها هى ما سكت عنه الشارع الحكيم ولا حاجة للمسلمين بالسؤال عنها ، فالسؤال عنها قد يؤدى الى تكليف بها ، وفيه مشقة فيسوؤهم ذلك ، كالسؤال عن الحج ، أكل عام؟

أخرج الامام الترمذى بسنده :

(عن على قال : لما نزلت :

(وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ....) (٥) الآية

قالوا : يارسول الله فى كل عام؟ فسكت ، فقالوا : يارسول الله ، فى كل عام؟ قال : لا ، ولو قلت نعم لوجبت .

---

(١) جامع البيان فى تفسير القرآن للامام ابن جرير الطبرى جـ٧ ص٥٣ .

(٢) سورة المائدة آية ١٠١ .

(٣) تفسير ابن كثير جـ٢ ص١٠٥ .

(٤) فتح البارى شرح صحيح البخارى جـ٨ ص٢٨٢ كتاب التفسير/ باب (لا تسألوا عن أشياء ان تبد لكم تسؤكم) .

(٥) سورة آل عمران آية ٩٧ .

فأنزل الله عز وجل الآية : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسأَلُوا عَنْ أَشيَاءَ إِن تُبدَ لَكُم تَسُؤكُم ..) الآية(١) .

قال الامام ابن حجر العسقلانى فى الفتح .

فهذا لا ينافى حديث أبى هريرة لاحتمال أن تكون نزلت فى الأمرين ، ولعل مراجعتهم له فى ذلك هى سبب غضبه .(٢)

وذلك أن هذه الآية الكريمة أعنى

قوله تعالى (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسأَلُوا عَن أَشيَاءَ إِن تُبدَ لَكُم تَسُؤكُم وَإِن تَسأَلُوا عَنهَا حِينَ يُنَزَّلُ القُرآنُ تُبدَ لَكُم عَفَا اللَّهُ عَنهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ)(٣)

ثم يذكر الامام الشوكانى :

أنه قد أخرجه -نحو هذا- ابن جرير ، وأبو الشيخ ، وابن مردوية عن أبى هريرة .(٤)

وقد فسر الآية الكريمة قائلا :-

نهاهم الله تعالى عن كثرة مسائلتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم فان السؤال عما لا يعنى ، ولا تدعو اليه الحاجة ، قد يكون سببا لايجابه على السائل ، وعلى غيره .

والمعنى : لا تسألوا عن أشياء ان تسألوا عنها حين ينزل القرآن ، وذلك مع وجود رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهركم ، ونزول الوحى عليه تظهر لكم بما يجيب عليكم به النبى صلى الله عليه وسلم ، أو ينزل به الوحى ، فيكون ذلك سببا للتكاليف الشاقة ، وايجاب مالم يكن واجبا وتحريم مالم يكن محرما ، بخلاف السؤال عنها بعد انقطاع الوحى بموت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فانه لا ايجاب ولا تحريم يتسبب عن السؤال .

---

(١) سنن الامام الترمذى جـ٤ ص٢٢٢ أبواب التفسير .
(٢) فتح البارى بشرح صحيح البخارى جـ٨ ص٢٨٢ كتاب التفسير .
باب (لا تسألوا عن أشياء ان تبد لكم تسؤكم) .
(٣) سورة المائدة آية ١٠١ .
(٤) فتح القدير جـ٢ ص٨١ .

وقوله (عَفَا اللهُ عنها) :
معناه : عفا الله عما سلف من مسألتكم ، فلا تعودوا الى ذلك .
وقيل : المعنى : ان تلك الأشياء التى سألتم عنها هى مما عفا عنه ، ولم يوجبه عليكم ، فكيف تتسببون بالسؤال لا يجاب ما هو عفو من الله غير لازم .

ومعنى (قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ)
قد سأل قوم من قبلكم مثل هذه المسألة مما لا حاجة اليه ولا توجبه الضرورة الدينية ، ثم لم يعملوا بها ، بل أصبحوا بها كافرين أى تاركين العمل بها .(١)

ثالثا : ويقال : ان المنهى عنه هو الآيات أى خوارق العادات كما روى عن عكرمة هذا ونقل الامام ابن جرير عنه : أنه قال : انهم يسألون عن الآيات ـ أى خوارق العادات فنهوا عن ذلك ، ثم قال : عكرمة تفسيرا لها :-
ان المراد بهذا النهى عن سؤال وقوع الآيات ، كما سألت قريش أن يجرى لهم أنهارا ، وأن يجعل لهم الصفا ذهبا ، وغير ذلك ، وكما سألت اليهود أن ينزل عليهم كتابا من السماء ، وقد قال تعالى :-
(وما مَنَعنا أَن نُرسِلَ بالآياتِ الا أَن كَذَّبَ بها الأَوَّلُونَ وَآتَينا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بها وَمَا نُرسِلُ بالآياتِ إلَّا تَخويفاً) (٢)

رابعا : ونسب الى ابن عباس رضى الله عنهما : أن المنهى عنه هو ما ذكر بعد هذه الآية .
نقل ابن جرير الطبرى :
عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : فى قوله تعالى :
(لا تَسألوا عَن أَشياءَ) (٣)
قال : هى : البحيرة ، والوصيلة ، والسائبة ، والحام ،
ألا ترى انه قال : بعدها :-(٤)

---

(١) فتح القدير جـ٢ ص٨٢ .
(٢) سورة الاسراء آية ٥٩ .
(٣) سورة المائدة آية ١٠١ .
(٤) جامع البيان فى تفسير القرآن جـ٧ ص٥٤ ، وتفسير ابن كثير جـ٢ ص١٠٦ .

(مَاجَعَلَ اللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَٰكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ)[١]

والذى يظهر لى ما يأتى :-

ضعف القول الرابع ، ويليه فى الضعف القول الثالث .

ان الآية الكريمة خطاب للمؤمنين ، والمؤمنون لم يسألوا المصطفى صلى الله عليه وسلم خوارق العادات .

وكذا سياق الآية الكريمة وألفاظها لا تساعد هذين القولين .

وأما القول الأول والثانى ، فيصح أن تنتظمها الآية الكريمة للأحاديث الصحيحة فى سبب نزولها ، ولأن ألفاظ الآية الكريمة تساعدهما .

هذا وينبغى أن يعلم أن الذى تدعو اليه الحاجة من أمور الدين والدنيا قد أذن الله تعالى بالسؤال عنه فقال تعالى :-

(وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ)[٢]

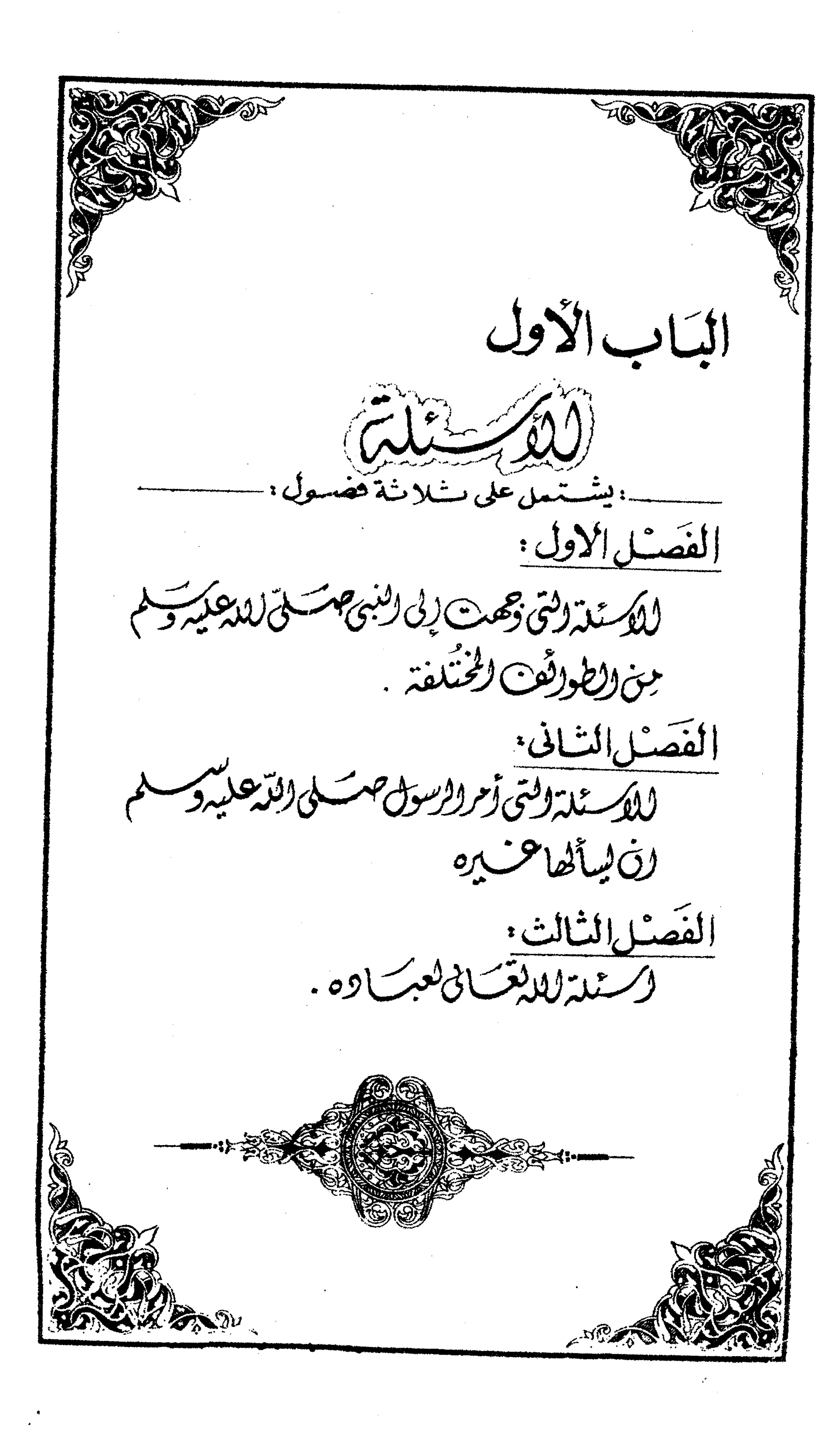
وقال عليه الصلاة والسلام : (قتلهم الله الا سألوا اذ لم يعلموا فانما شفاء العى السؤال)[٣]

---

(١) سورة المائدة آية ١٠٣ .

(٢) سورة النحل آية ٤٣ .

(٣) سنن أبى داود ج١ ص٩٣ المجلد الأول / كتاب الطهارة (باب/ فى المجروح يتيمم .
(عن عطاء عن جابر ، قال : خرجنا فى سفر فأصاب رجلا منا حجر فشجه فى رأسه ثم احتلم ، فسأل أصحابه فقال : هل تجدون لى رخصة فى التيمم؟ فقالوا : مانجد لك رخصة وأنت تقدر على الماء ، فاغتسل فمات ، فلما قدمنا على النبى صلى الله عليه وسلم أخبر بذلك فقال : (قتلوه قتلهم الله ، ألا سألوا اذ لم يعلموا ، فانما شفاء العى السؤال ، انما كان يكفيه أن يتيمم ويعصر أو يعصب على جرحه خرقة ثم يمسح عليها ويغسل سائر جسده) .
(وفى رواية أخبر الأوزاعى أنه بلغه عن عطاء بن رباح أنه سمع عبد الله بن عباس قال : أصاب رجلا جرح فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم احتلم فأمر بالاغتسال ، فاغتسل فمات ، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :
(قتلوه قتلهم الله لم يكن شفاء العى السؤال) .



الباب الأول

الأسئلة

يشتمل على ثلاثة فصول:

الفصل الأول:

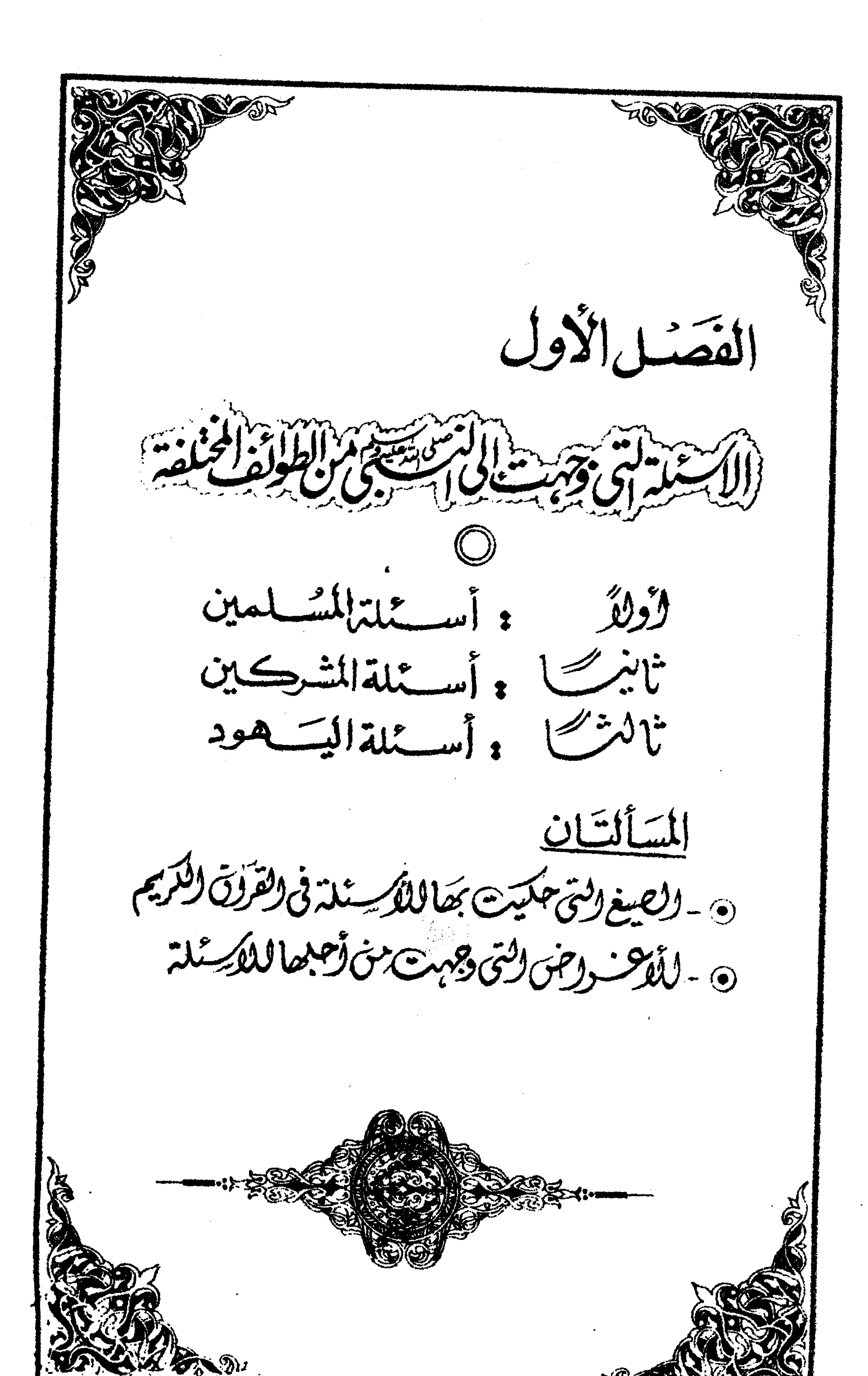
الأسئلة التي وجهت إلى النبي صلى الله عليه وسلم من الطوائف المختلفة.

الفصل الثاني:

الأسئلة التي أمر الرسول صلى الله عليه وسلم أن يسألها غيره

الفصل الثالث:

أسئلة الله تعالى لعباده.



الفصل الأول

الأسئلة التي وجهت إلى النبي صلى الله عليه وسلم من الطوائف المختلفة

أولاً : أسئلة المسلمين

ثانياً : أسئلة المشركين

ثالثاً : أسئلة اليهود

المسألتان

- الصيغ التي حكيت بها الأسئلة في القرآن الكريم
- الأغراض التي وجهت من أجلها الأسئلة

((الباب الأول))

((الأسئلـــــــــة))

الفصـــــل الأول :

الأسئلة التى وجهت الى النبى صلى الله عليه وسلم من الطوائف المختلفة ـ المسلمين والمشركين واليهود .

وفيه المسألتان الآتيتان :ـ

المسألة الأولـــى :

الصيغ التى حكيت بها الأسئلة فى القرآن الكريم من السؤال ـ والاستفتاء ـ وصيـــغ الاستفهام الأخرى .

المسألة الثانيـــة :

الأغراض التى وجهت من أجلها الأسئلة الى النبى صلى الله عليه وسلم وهـــى الاستعلام فى أسئلة المسلمين ، والامتحان فى أسئلة اليهود والتعجيز ـ والاختبار كذلـــك من أسئلة المشركين .

أولا : أسئلة المسلمين وهى :ـ

(١) السؤال عن الله تعالى .
(٢) السؤال عن الأهلة .
(٣) السؤال عما ينفقون[1] .
(٤) السؤال عن الخمر والميسر .
(٥) السؤال عن اليتامى .
(٦) السؤال عن المحيض .
(٧) السؤال عما أحل لهم .
(٨) السؤال عن الأنفال .

---

(١) ورد فى هذا السؤال الآيتان من سورة البقرة ٢١٥-٢١٩ .

(٩) الاستفتاء في النساء .

(١٠) الاستفتاء في الكلالة .

فهذه الأسئلة التي وجهت من المسلمين الأوائل للنبي صلى الله عليه وسلم وذلك لأنهم مؤمنون حقا بالله تعالى وبرسوله محمد صلى الله عليه وسلم وبالقرآن الكريم انه المنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم من الله عز وجل فلم يكن لديهم أدنى شك أن كل ما يوحيه الحق تعالى لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم هو خير وأفضل لهم فكانت تعرض لهم أمور وتحدث لهم أحداث لا يعرفون كيف التصرف فيها وتجد عليهم في حياتهم مشكلات لم يستطيعوا الخروج منها الا بسؤال المعصوم عليه الصلاة والسلام فيعرفون كل ذلك منه عليه الصلاة والسلام فيعملون بموجبه ويسيرون على هديه وعلى منهج دينهم الجديد الاسلام.

وقد ذكر الامام السيوطي في الاتقان قال :
(نقل عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : مارأيت قوما خيرا من أصحاب محمد ، ما سألوه الا عن اثنتي عشرة مسألة كلها في القرآن)(١)

وقال الامام الدارمي في سننه : (أخبرنا) عبد الله بن محمد بن أبي شيبة حدثنا أبو فضيل عن عطاء عن سعيد عن ابن عباس قال : مارأيت قوما كانوا خيرا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ما سألوه الا عن ثلاث عشرة مسألة حتى قبض كلهن من القرآن منهن (يسألونك عن الشهر الحرام) و (يسألونك عن المحيض) قال : ماكانوا يسألون الا عما ينفعهم)(٢)

وذكر الامام القرطبي : أنه روى جرير بن عبد الحميد ومحمد بن فضيل عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : ما رأيت قوما خيرا من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ، ماسألوه الا عن ثلاث عشرة مسألة كلهن في القرآن :

---

(١) الاتقان في علوم القرآن جـ١ ص٩٢٥ .
(٢) سنن الدارمي جـ١ ص٥٠-٥١ باب كراهية الفتيا .

(يسألونك عن المحيض) ، (يسألونك عن الشهر الحرام) ، (يسألونك عن اليتامى)
ماكانوا يسألون الا عما ينفعهم .

قال ابن عبد البر : ليس في الحديث من الثلاث عشرة مسألة الا ثلاث[١] ولكن الامام
الفخر الرازى قال :
(نقل عن ابن عباس أنه قال : ماكان قوم أقل سؤالا من أمة محمد صلى الله عليه وسلم
سألوه عن أربعة عشر حرفا فاجيبوا .
ثم قال الامام الرازى تفسيرا لها :-
ثمانية منها فى البقرة أولها (واذا سألك عبادى عنى فانى قريب) [٢]
وثانيها (يسألونك عن الأهلة) [٣]

ثم الستة الباقية بعد فى سورة البقرة ، فالمجموع ثمانية فى هذه السورة والتاسع قوله تعالى
فى سورة المائدة (يسألونك ماذا أحل لهم) [٤]
والعاشر فى سورة الأنفال (يسألونك عن الأنفال)[٥]
والحادى عشر فى بنى اسرائيل (يسألونك عن الروح) [٦]
والثانى عشر فى الكهف (يسألونك عن ذى القرنين) [٧]
والثالث عشر فى سورة طه (ويسألونك عن الجبال) [٨]
والرابع عشر فى النازعات (يسألونك عن الساعة) [٩]

---

(١) الجامع لأحكام القرآن جـ٣ ص٤٠ المجلد الثانى .
(٢) سورة البقرة آية ١٨٦ .
(٣) سورة البقرة آية ١٨٩ .
(٤) سورة المائدة ٣ - ٤ .
(٥) سورة الأنفال آية ١ .
(٦) سورة الاسراء آية ٨٥ .
(٧) سورة الكهف آية ٨٣ .
(٨) سورة طه آية ١٠٤ .
(٩) سورة النازعات آية ٤٢ ، التفسير الكبير جـ٥ ص١١٩ .

لكن الامام السيوطى رد على الامام الفخر الرازى قائلا :-
بأن السائل عن الروح ، وعن ذى القرنين مشركو مكة بتلقين اليهود لهم كما فى أسباب النزول لا الصحابة رضوان الله عليهم ،فالخالص منها اثنا عشرة مسألة كما صحت به الرواية عن ابن عباس .(١)

ولكننى رأيت كما فى أسباب النزول أن السؤال عن الساعة أيضا لم يرد فقط من المسلمين وانما ورد كذلك من اليهود عندما سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم اختبارا لأنها كما يدعون من مقتضيات الرسالة ،وكذلك ورد السؤال عن الساعة من مشركى قريش حينما سألوا عنها استهزاء لانكارهم وقوع البعث بعد الموت فالداعى الى السؤال عن الساعة اختلف فيه واختلف فى السائلين عنها ، ولكن الاجابة كما أخبر بها النبى صلى الله عليه وسلم عن ربه تعالى انها مما استأثر الله تعالى بعلمه بها ولم يطلع عليها أحدا من الخلق لاقتضاء الحكمة فى ذلك ولأن اخفاء وقتها ادعى الى الطاعات وأذجر عن المعاصى كما خفى الأجل الخاص للانسان والله أعلم .

ثم ان السؤال كذلك عن الجبال صدر استهزاء وطعناً فى الحشر والنشر فهذا لم يرد أيضا من المسلمين انما كان من المشركين .

وكذلك لم يرد فى الرواية أيضا الاستفتاء فى النساء ، والاستفتاء فى الكلالة . وهما من المسلمين ، وها هى أسئلة المسلمين :-

(١) السؤال عن الله تعالى كما قال تعالى
(وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ) الآية (٢)

(٢) السؤال عن الأهلة كما قال تعالى
(وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ ......) (٣) الآية .

---

(١) الاتقان فى علوم القرآن جـ١ ص٢٥٩ .
(٢) سورة البقرة آية ١٨٦ .
(٣) سورة البقرة آية ١٨٩ .

السؤال عما ينفقون ورد فى موضعين فى القرآن الكريم :-

(٣) السؤال عن الانفاق أى نوع ماينفقون وجاء الجواب من الحق تعالى ببيان مصارف الانفاق ،وقيل جاء الجواب ببيان صفة المال المنفق ومصارف الانفاق .

فقال تعالى :

(يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَا أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ . . . .) الآية (١)

(٤) السؤال الثانى عن كمية الانفاق :

فقال تعالى :

(وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ . . .) الآية (٢)

(٥) السؤال عن الخمر والميسر فقال تعالى :

(يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ . . . .) الآية (٣)

(٦) السؤال عن اليتامى فقال تعالى :

(وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ . . . .) الآية (٤) .

(٧) السؤال عن المحيض كما قال تعالى :

(وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى . . . . .) الآية (٥)

(٨) السؤال عما أحل لهم فقال تعالى :

(يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ . . . .) الآية (٦)

---

(١) سورة البقرة آية ٢١٥ .

(٢) سورة البقرة آية ٢١٩ .

(٣) سورة البقرة آية ٢١٩ .

(٤) سورة البقرة آية ٢٢٠ .

(٥) سورة البقرة آية ٢٢٢ .

(٦) سورة المائدة آية ٤ .

(٩) السؤال عن الأنفال قال تعالى :
(يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنفَالِ قُلِ الْأَنفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ . . . .) الآية (١)

(١٠) الاستفتاء فى النساء قال تعالى :
(وَيَسْتَفْتُونَكَ فِى النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ . . .)الآية (٢)

(١١) الاستفتاء فى الكلالة قال تعالى :
(يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى الْكَلَالَةِ . . .)الآية (٣)

فهذه الأسئلة التى وردت من المسلمين للنبى صلى الله عليه وسلم احدى عشر مسألة كلهن فى القرآن .

أما السؤال عن القتال فى الشهر الحرام فقد ذكره المفسرون من ضمن أسئلة المسلمين لكن قد رأيت غير ذلك بل هو من المشركين للأسباب الآتية :-
أنه صدر من المشركين وذلك لاحراج المصطفى صلى الله عليه وسلم والتشهير به وبالاسلام والنيل والتعييب من المسلمين ومن الاسلام وذلك لوقوع القتال فى الشهر الحرام الذى حرمته قائمة قبل الاسلام هذه الحرمة أيضا ثابتة الى يوم القيامة .

فلما رجعت السرية التى كانت ترصد عير قريش بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم وقد وقع منهم القتال وقتل الحضرمى وأسر أسيران وحملت العير والاسيران الى النبى صلى الله عليه وسلم ، وحينما قدمت على النبى صلى الله عليه وسلم قال لهم عليه الصلاة والسلام (ما أمرتكم بقتال فى الشهر الحرام) .

فسقط فى أيدى أصحاب السرية وعنفهم اخوانهم من المسلمين فيما صنعوا ، وقد أوقف النبى صلى الله عليه وسلم العير والأسيرين ولم يدر عبد الله بن جحش أفى رجب أصاب منهم

---

(١) سورة الأنفال آية ١ .
(٢) سورة النساء آية ١٢٧ .
(٣) سورة النساء آية ١٧٦ .

القتل أم فى جمادى الآخرة ، وهكذا انطلقت الدعايات بأساليب ماكرة تظهر نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضوان الله عليهم بمظهر المعتدى الى أن أنزل الحق تعالى فى شأن هذا وبين أن القتال فيه أمر كبير مستنكر أنذاك نعم ولكن المسلمين لم يبدأوا بالقتال والعدوان وانما المشركون هم الذين منعوهم وصدوهم عن المسجد الحرام بل أخرجوهم من المسجد الحرام ومن مكة وأذوهم حتى هاجروا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وتركوا فيها أموالهم وديارهم ، فالمشركون كانوا أكبر وأعظم ذنبا من مجرد القتال الذى حصل من سرية عبدالله بن جحش فى قتل الحضرمى حينما كانوا متأولين فى قتالهم له ظانين انهم أصابوه فى اليوم الآخر من رجب أو اليوم الآخر من جمادى الآخرة فكانوا مقصرين بعض التقصير فان الله عز وجل يغفر لهم فى جنب مافعلوه من التوحيد والطاعات والهجرة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وايثار ماعند الله تعالى على الدنيا ومافيها فهكذا نجد أن الآية الكريمة صرحت بأن القتال على سبيل الدفع جائز مع بقاء حرمة القتال فى الشهر الحرام قائمة الى يوم القيامة .

فالأرجح فى السؤال عن القتال فى الشهر الحرام أنه من المشركين لغرض الطعن فى الاسلام والنيل والتعييب والاحراج لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين والله أعلم .

أولا : أسئلة المسلمين التى وجهت الى النبى صلى الله عليه وسلم منها :

(١) السؤال عن الله تعالى :-

(وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ)(١)

التمهيد للآية الكريمة :

بعد مافرض الله تعالى على عباده المؤمنين صيام شهر رمضان واكمال عدة الشهر وحثهم على التعظيم والتقديس شكرا لله تعالى على ماوفقهم من صيام رمضان وقيامه وحثهم

---

(١) سورة البقرة آية ١٨٦ .

على الطاعات والعبادات ، بين لهم جل جلاله أن الذى يذكرونه ويشكرونه ويحمدونه قريب منهم سميع مجيب لهم، فبذلك يجد المسلم العوض المرغوب فيه والعطاء والجزاء فى استجابة الخالق تعالى لهم ليعدوا أنفسهم على دعائه والايمان به فلعل هذا يقودهم الى الهداية والارشاد والصلاح فى الدارين .

وقد وردت فى سبب نزول هذه الآية الكريمة روايات عديدة منها :-

أ - مانقله ابن كثير وذكره الامام السيوطى فى أسباب النزول :

(قال ابن أبى حاتم: حدثنا أبى ، حدثنا يحيى بن المغيرة ، أخبرنا جرير عن عبدة بن برزة السختيانى ، عن الصلت بن حكيم بن معاوية بن حيدة القشيرى عن أبيه، عن جده ، (ان أعرابيا قال : يارسول الله صلى الله عليه وسلم ، أقريب ربنا فنناجيه، أم بعيد فنناديه ؟ فسكت النبى صلى الله عليه وسلم عنه[1] .

فنزلت الآية (وَاِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَاِنِّى قَرِيبٌ . . . .)[2] .

ب - ونقل أيضا الامام ابن جرير وذكره السيوطى أيضا :-

(عن الحسن قال سأل أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ، النبى صلى الله عليه وسلم أين ربنا ؟ [1] فأنزل الله تعالى (واِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَاِنِّى قَرِيبٌ . . .)الآية[2]

قال الامام السيوطى :

مرسل ، وله طرق أخرى [3]

جـ - وأخرج ابن عساكر عن على قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تعجزوا عن الدعاء ، فان الله أنزل على قوله تعالى :

(وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِى أَسْتَجِبْ لَكُمْ اِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ)[4]

---

(١) تفسير ابن كثير جـ١ ص٣٨٤ / وأسباب النزول للسيوطى ص٣٣ وجامع البيان فى تفسير القرآن جـ٢ ص٩٢ .

(٢) سورة البقرة آية ١٨٦ .

(٣) أسباب النزول ص٣٣ / جامع البيان فى تفسير القرآن جـ٢ ص٩٢

(٤) سورة غافر آية ٦٠ .

فقال رجل يارسول الله : ربنا يسمع الدعاء؟ أم كيف ذلك ؟[١]

فنزلت الآية (وإذا سألك عبادى عنّى فإنّى قريبٌ . . .) الآية[٢]

د - ونقل ابن جرير عن عطاء قال : لما نزلت

(وَقالَ رَبُّكُم ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُم إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَن عِبادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ)[٣]

قالوا لا نعلم أى ساعة ندعو[٤]

فنزلت الآية (وإذا سألك عبادى عنّى . . . .) الآية .

والذى أرجحه من الروايات السابقة الرواية الأولى لأن السؤال ورد عن القرب والبعد ولا مانع من أن تكون هذه الأسئلة كلها وجهت للنبى صلى الله عليه وسلم فنزلت الآية عقبها .

وقبل أن أبين التوضيح للآية الكريمة أشير الى معنى كل من :

(فنناجيه) ،(فنناديه) الواردتين فى السؤال :-

معنى (فنناجيه) أى فندعوه سرا .

وأما معنى (فنناديه) أى فندعوه جهرا .[٥]

---

(١) أسباب النزول للسيوطى ص٣٣ .

(٢) سورة البقرة آية ١٨٦ .

(٣) سورة غافر آية ٦٠ .

(٤) أسباب النزول للسيوطى ص٣٣ ، وجامع البيان فى تفسير القرآن جـ٢ ص٩٢ -٩٣ .

(٥) الفتوحات الالهية جـ١ ص١٤٨ .

ايضاح الآية الكريمـــة :-

(وإذا سألك عبادى عنّى فإنّى قريب) : أى اذا سألك الناس يا محمد عن المعبود فأخبرهم أنه قريب يثيب على الطاعة ، ويجيب الداعى ، ويعلم مايفعله العباد[١]

والسؤال يحتمل أن يكون عن القرب والبعد كما يدل عليه قوله تعالى :
(فإنّى قريب) .

ويحتمل أن يكون عن الاجابة للدعاء كما يدل عليه قوله تعالى :
(أجيبُ دعوة الدّاع إذا دعان) .
ويحتمل أن يكون عما هو أعم من ذلك وهو الظاهر .[٢]

قال الامام الصاوى :
واعلم أن هذا السؤال الواقع من الصحابة لا يقتضى جهلهم بالتوحيد لأن الله تعالـــى منزه عن القرب والبعد الحسيين لأنهما من صفات الحوادث ، والله منزه عنهما فمـــن ذلك حارت عقولهم فى ذلك فمقتضى احاطته بجميع خلقه وتصرفه فيهم كيف يشاء يوصـــف بالقرب ، ومقتضى تنزهه عن صفات الحوادث جميعها يوصف بالبعد لأن صفاته توقيفيـــة فالمسئول عنه القرب والبعد المعنويان لا الحسيان [٣]

(أجيب دعوة الداع إذا دعان) : أقبل دعاء من سألنى وقد تكون اجابة سؤاله بانالتـــه ماسأل بمشيئة الله تعالى ، وبموافقة القدر . [٤]

وقيل الدعاء بمعنى العبادة ، والاجابة بمعنى القبول أى أقبل عبادة من عبدنى .[٥]

---

(١) الجامع لأحكام القرآن جـ٢ ص٣٠٨ .
(٢) فتح القدير جـ١ ص١٨٤ .
(٣) حاشية الصاوى على تفسير الجلالين جـ١ ص٨٤-٨٥ .
(٤) تفسير الجلالين ص٢٥ ، وكتاب التسهيل لعلوم التنزيل جـ١ ص٧٠ .
(٥) فتح القدير جـ١ ص١٨٤ .

استنادا للحديث الشريف :-

عن النعمان بن بشير عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (الدعاء هو العبادة)

ثم قرأ قوله تعالى :

(وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ)(١)

وقال الامام الترمذى هذا حديث حسن صحيح .(٢)

وقال الامام ابن حجر العسقلانى : أخرجه الأربعة وصححه الترمذى والحاكم .(٣)

وقد تواترت الآثار عن النبى صلى الله عليه وسلم بالترغيب فى الدعاء والحث عليه .

(لَيسَ أَكْرَمَ عَلَى اللَّهِ مِنَ الدُّعَاءِ)(٤)

(فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي) : السين والتاء زائدتان والمعنى : فليجيبونى بالامتثال والطاعة كما أجيب دعاءهم .

وقيل فليطلبوا منى الاجابة عقب دعائهم لحوائجهم .

لأن الاجابة فى اللغة الطاعة ، والاجابة من العبد الطاعة ، ومن الله تعالى الاثابة والعطاء .(٥)

وقال الامام الشوكانى :

انهم يطلبون اجابة الله تعالى لدعائهم باستجابتهم أى بالقيام بما أمرهم به وترك ما نهاهم عنه .(٦)

---

(١) سورة غافر آية ٦٠ .

(٢) سنن الترمذى جـ٥ ص٢٦ ١ أبواب الدعاء .

(٣) فتح البارى شرح صحيح البخارى جـ١١ ص٩٤ كتاب الدعوات .

(٤) سنن الترمذى جـ٥ ص١٢٥ أبواب الدعاء / باب ماجاء فى فضل الدعاء .

(٥) الخازن جـ١ ص١٣٥ .

(٦) فتح القدير جـ١ ص١٨٥ .

(وَلْيُؤْمِنُوا بِي) : ليداوموا على الايمان والتصديق لأنهم مؤمنون [١] .
(لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ) يهتدون من الرشد وهو خلاف الغى .[٢]

المعنى الكلى للآية الكريمة :-

اذا سألك يا محمد عبادى عنى أقريب أم بعيد فأخبرهم بأننى قريب أى كامل العلم بأحوالهم وبأقوالهم وأفعالهم فأسارع باجابة دعاء من دعانى لحاجته وأعطيه كل ماسألنى وطلب منى بمشيئتى ووفق قضائى وقدرى الذى قدرته له .

وأخرج الامام الترمذى بسنده :
(عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (يَنْزِلُ رَبُّنَا كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حَتَّى يبقى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخر فيَقُولُ : مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ ، مَنْ يَسْأَلُنِي فأعطيهُ ، وَمَن يستغفرنى فأَغْفِرَ لَهُ)[٣]

وأخرج الامام البخارى :
(عن أبى مُوسى قال : كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فى سَفَرٍ فَكُنَّا إِذَا عَلَوْنَا كَبَّرْنَا ، فقال : أربَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ فَإِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا تَدْعُونَ سَمِيعًا بَصِيرًا قَرِيبًا)[٤]
فان الحق سبحانه وتعالى قريب بالعلم سميع بصير بجميع عباده ولا يخفى عليه أى شىء من أحوال عباده فهو يثيبهم على الطاعات ويجيبهم فى الدعوات ويعلم ما يفعلون من أقوال وأفعال . فلعل العباد يستجيبون لخالقهم فيما يدعوهم اليه من الايمان والطاعات كما أنه تعالى يجيبهم اذا دعوه لحوائجهم أو لدفع ضر نزل بهم وقصدوه جل جلاله فى تحقيق جميع مطالبهم ليهتدوا الى مصالحهم فى دينهم ودنياهم وآخرتهم .

---

(١) الفتوحات الالهية جـ١ ص١٤٨ .
(٢) فتح القدير جـ١ ص١٨٥ .
(٣) سنن الترمذى جـ٥ ص١٨٨ أبواب الدعاء .
(٤) صحيح البخارى جـ٩ ص١٤٤ كتاب التوحيد / باب قول الله تعالى : (وكان الله سميعا بصيرا) .

شروط اجابة الدعـــــــاء

ان الدعاء مفتاح الرحمة والمغفرة للانسان فمن سره أن يستجاب له فى دعائـــه فليكثر الدعاء فى الرخاء كما يكثره فى الشدة .

ولكن لقبول الدعاء شروط وآداب منها :-

أ - العزم فى المسألة كما ورد فى السنة النبوية :

أخرج الامام البخارى بسنده

(عن أنسٍ رضىَ اللّه عنه قال : قال رسولُ اللّه صلى اللّه عليه وسلم : إذا دعا أحدُكـــم فليَعزم المسألةَ (١) ، ولا يَقولنَّ اللهم إن شِئتَ فأعطنى ، فإنه لا مُستكرِه لهُ) (١) .

وأيضا فى رواية أخرى أخرجها البخارى :-

(عن أبى هريرةَ رضى اللّه عنه أن رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم قال : لا يقولن أحدُكم اللهم أغفر لى إن شئتَ اللهم ارحمْنى إن شِئتَ ، ليعزِم المسألةَ فإنه لا مُستكرِهَ له) (٢)

وقد قال الامام ابن حجر فى الفتح :

وقال ابن بطال : فى الحديث أنه ينبغى للداعى أن يجتهد فى الدعاء ويكون على رجـــاء الاجابة ، ولا يقنط من رحمة اللّه فإنه يدعو كريما .

---

(١) صحيح البخارى بشرح فتح البارى جـ١١ ص١٣٩ كتاب الدعوات / باب ليعزم المسألـــة فانه لا مكره له .
(فليعزم المسألة) : أى الدعاء ، ومعنى الأمر بالعزم الجد فيه ، وان يجزم بوقـــوع مطلوبه ولا يعلق ذلك بمشيئة الله تعالى ، وان كان مأمورا فى جميع مايريد فعلـــه أن يعلقه بمشيئة الله تعالى :
وقيل : معنى العزم أن يحسن الظن بالله فى الاجابة .
(فانه لا مستكره له) : المراد الذى يحتاج الى تعليق بالمشيئة ما اذا كان المطلوب منه يتأتى اكراهه على الشيء فيخفف الأمر عليه ويعلم بانه لا يطلب منه الا برضـــاء، وأما الله تعالى فهو متنزه عن ذلك فليس للتعليق فائدة .

(٢) صحيح البخارى بشرح فتح البارى جـ١١ ص١٣٩ .

وقال ابن عيينة : لا يمنعن أحدا الدعاء مايعلم فى نفسه - يعنى من التقصير - فإن الله قد أجاب دعاء شر الخلق وهو ابليس حين قال الله تعالى :

(قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ . قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ . إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ)(١)

وقال أيضا :

وقال الداودى : أن يجتهد ويلح ولا يقل ان شئت كالمستثنى ، ولكن دعاء البائس الفقير(٢)

ب - عدم اليأس من الاجابة :

ان الحق تعالى يستجيب للانسان مالم ييأس بل يلازم الدعاء والطلب من الخالق تعالى فانه كريم يستجيب له استنادا الى ما ورد فى السنة المطهرة :

أخرج الامام البخارى :

(عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : يُسْتَجَابُ لأَحَدِكُمْ مالَمْ يَعْجَلْ ، يَقُولُ : دَعوتُ فَلَم يُستَجَبْ لِي)(٣)

وأخرج الامام مسلم أيضا حديث أبى هريرة وهو يفسر الاستعجال :

(عَن أَبِى هُرَيرَةَ عَن النَّبِىِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : لاَيَزَالُ يُسْتَجَابُ لِلْعَبْدِ مَالَم يَدْعُ بِإِثمٍ أَو قَطِيعَةِ رَحِمٍ مَالَم يَسْتَعجِلْ قِيلَ يَارَسُولَ اللَّهِ . مَاالاستِعْجَالُ ، قَالَ : يَقُولُ : قَدْ دَعَوتُ وَقَدْ دَعَوْتُ فَلَم أَرَ يَسْتَجِبُ لِي فَيَسْتَحسِرُ عِندَ ذلِكَ وَيَدعُ الدُّعَاءَ)(٤)

---

(١) سورة ص آية ٧٩-٨٠-٨١ .
(٢) فتح البارى شرح صحيح البخارى جـ١١ ص١٤٠ .
(٣) صحيح البخارى بشرح فتح البارى جـ١١ ص١٤٠ / كتاب الدعاء / باب يستجاب للعبد مالم يعجل)
(يستجاب لأحدكم مالم يعجل) : يجاب دعاؤه .
(٤) صحيح مسلم بشرح النووى جـ١٧ ص٥٢ / باب بيان أنه يستجاب للداعى مالم يعجل فيقول دعوت فلم يستجب لى .
(فيستحسر) : أى يقال فى اللغة حسروا مستحسر اذا اعيا وانقطع عن الشئ ، والمراد ينقطع عن الدعاء وينبغى ادامة الدعاء ولا يستبطئ الاجابة .

وقال الامام ابن حجر العسقلانى فى الفتح قال : ابن بطال :

أنه يسأم فيترك الدعاء فيكون كالمان بدعائه ، أو أنه أتى من الدعاء ما يستحق به الاجابة فيصير كالمبخل للرب الكريم الذى لا تعجزه الاجابة ولا ينقصه العطاء وأن الخالق جل جلاله يستجيب لكل دعاء ولكن تتنوع الاجابة ، فتارة تقع بعين مادعا به العبد ، وتارة بعوض عن ذلك أى بما هو أولى له عاجل أو آجل فلا ينبغى للانسان أن يترك الدعاء بل يستمر فى دعائه وطلبه من الله تعالى لأنه متعبد بالدعاء كما هو متعبد بالتسليم والتفويض لأمر الله تعالى .

جـ - تحرى الأوقات والأحوال الفاضلة :

ويجب أيضا عليه تحرى الأوقات التى أثرت الاجابة فيها كيوم الجمعة ، وبين الآذان والاقامة ، وفى جوف الليل ، وعند السجود وغير ذلك ، وأن يكون على وضوء وطهارة ومستقبل القبلة ورافعا يديه أثناء الدعاء وغير ذلك ، ويقدم التوبة ، والاعتراف بالذنب ، ويخلص مع الله تعالى وأن يستفتح الدعاء بالحمد والثناء على الله والصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم[1] كما ورد فى سنن الترمذى :

(أَنَّ عَمْرَو بنَ مالِكٍ أَخبرهُ أَنَّه سَمِعَ فَضَالَةَ بن عُبَيْد يَقُولُ :-

" سَمِعَ النبيُّ صلى اللّه عليه وسلم رَجُلاً يَدْعُو فى صَلَاتِهِ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَى النبيِّ صلى اللّه عليه وسلم ، فقال : النبى صلى اللّه عليه وسلم : عَجِلَ هَذَا ثُمَّ دَعَاهُ ، فقالَ لَهُ : أَوْ لِغَيْرِهِ اذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ فَلْيَبْدَأْ بِتَحْمِيدِ اللّهِ وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ ، ثُمَّ لِيُصَلِّ عَلَى النبيِّ صلى الله عليه وسلم ثُمَّ لِيَدْعُ بَعْدُ مَاشَاءَ) (٢)

وأن يدعو ويسأل الله بالأسماء الحسنى لقوله تعالى :

(وَلِلّهِ الأَسْمَاءُ الحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فى أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَاكَانُوا يَعْمَلُونَ) (٣)

وبعد فتفصيل آداب الدعاء وشروطه قبوله مذكور فى الكتاب والسنة .

---

(١) فتح البارى شرح صحيح البخارى جـ١١ ص١٤٠ - ١٤١

(٢) سنن الترمذى جـ٥ ص١٨٠

(٣) سورة الأعراف آية ١٨٠ .

(٢) السؤال عن الأهلـــــة :

قال تعالى :

(يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)(١)

التمهيد للآية الكريمـــــة :-

ان الحكمة فى اختلاف الأهلة وفائدتها هى أنها معالم للناس ومواقيت يوقتـــون بها عباداتهم ومعاملاتهم . . . وغير ذلك

فقد ورد فى سبب نزول الآية الكريمة روايات متعددة منها :-

أ - مانقل عن ابن عباس رضى الله عنهما : قال : سأل الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الأهلة فنزلت الآية (٢)

وقال الامام ابن كثير:

يعلمون بها حل دينهم وعدة نسائهم ووقت حجهم (٣) .

ب - وأخرج ابن أبى حاتم عن أبى العالية : قال : بلغنا أنهم قالوا يارسول اللـــه لم خلقت الأهلة فنزلت الآية .(٤)

وقال الامام السيوطى فى الاتقان :

فهذا صريح فى أنهم سألوا عن حكمة ذلك لا عن كيفيته من جهة الهيئة (٥) فسؤال المسلمين ليس لمجرد العلم النظرى بوظيفة الأهلة ولكن عن حكمته ذلك فأجابهم الحـــق

---

(١) سورة البقرة آية ١٨٩ .

(٢) لباب النقول فى أسباب النزول للسيوطى ص٣٥ .

(٣) تفسير ابن كثير جـ١ ص٣٩٨ .

(٤) أسباب النزول للواحدى ص٣٢ وأسباب النزول للسيوطى ص٣٥ .

(٥) الاتقان فى علوم القرآن جـ١ ص٢٥٧ .

تعالى بأنها معالم ومواقيت لتوقيت حلهم واحرامهم وصومهم وافطارهم ونكاح نسائهم ، وعدة نسائهم وغير ذلك ، وأيضا في معاملاتهم وتجاراتهم وديونهم ... وفي أمور دينهم ودنياهم على السواء .

قال تعالى :

(وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلاً)(١)

وقد نزل قوله تعالى :

(وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) (٢)

تصحيحا لما كان يفعله أهل الجاهلية من دخولهم البيوت من ظهورها وهم محرمون وظنهم أنه من البر.

أخرج الامام البخاري بسنده :

(عن البراء قال : " كانوا إذا حرموا في الجاهلية أتوا البيت من ظهره)(٣)

فأنزل الله تعالى :

(وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا ....) الآية (٤)

وأخرج أيضا :

(عن أبي اسحاق قال : سمعت البراء رضي الله عنه يقول : " نزلت هذه الآية فينا ، كانت الانصار إذا حجوا فجاءوا لم يدخلوا من قبل ابواب بيوتهم، ولكن من ظهورها فجاء رجل من الأنصار فدخل من قبل بابه ، فكأنه عير بذلك ، فنزلت (٥)

(وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا)(٦)

---

(١) سورة الاسراء آية ١٢ .
(٢) سورة البقرة آية ١٨٩ .
(٣) صحيح البخاري بشرح فتح الباري جـ٨ ص١٨٣ كتاب التفسير / باب /ليس البر بأن ....)(١)
(٤) سورة البقرة آية ١٨٩ .
(٥) صحيح البخاري بشرح فتح الباري جـ٣ص٦٢١ / كتاب العمرة / باب قول الله (١٨٩ البقرة) وأتوا البيوت من أبوابها .
(٦) سورة البقرة آية ١٨٩ .

ونقل الامام ابن حجر ماقاله الزهرى :
أن السبب فى صنيعهم ذلك : أن أناسا من الأنصار اذا أهلوا بالعمرة لم يحل بينهم وبين السماء شئ فكان الرجل اذا أهل فبدت له حاجة فى بيته لم يدخل من الباب من أجل السقف أن يحول بينه وبين السماء)(١)

فجاء القرآن الكريم ليبطل هذا العمل المتكلف الذى لا سند له ولا يؤدى الى شئ من البر وانما البر الحقيقى هو تقوى الله تعالى ومراقبته فى السر والعلانية ، وليس فى الأمور التى هى من عادات جاهلية باطلة وخرافات زائفة ، فبهذا تبدو المناسبة بين الأهلة التى هى مواقيت للناس والحج وبين عادات الجاهلية وخاصة فى الحج كما أشارت اليها الآية الكريمة السابقة .

ايضاح الآية الكريمة :-

(يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ) : يسألك يا محمد المسلمون عن حكمة الأهلة .
والأهلة : جمع هلال ، وجمعها باعتبار هلال كل شهر ، أو هلال كل ليلة .
والهلال اسم لما يبدو فى أول الشهر ، وفى آخره (٢)

(قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ) : أخبرهم يا محمد انها معالم يوقت الناس بها مزارعهم ومتاجرهم وفى معاملاتهم وفى حلهم واحرامهم وصومهم وافطارهم وعدة نسائهم وأيام حيضهن ومدة حملهن وغير ذلك من معالم الحج وغيره (٣) .
وأفرد الحج بالذكر لبيان انه مقصور على الأشهر التى عينها الله تعالى لفرضه فيها فقال تعالى :
(الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ)(٤)

---

(١) فتح البارى شرح صحيح البخارى جـ٣ ص٦٢٢ .
(٢) فتح القدير جـ١ ص١٨٩ .
(٣) النسفى جـ١ ص٩٧ .
(٤) سورة البقرة آية ١٩٧ .

قال الامام الفخر الرازى :-

ان أحسن الوجوه ماذكره القفال رحمه الله تعالى : افراد الحج بالذكر انما كان لبيان أن الحج مقصور على الأشهر التى عينها الله لفرضه ، ولا يجوز نقل الحج من تلك الأشهر الى أشهر أخرى كما كانت تفعل العرب فى النسىء والله أعلم .(١)

(وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا) أى ليس البر بتحرجكم من الدخول من الباب.

(وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى) أى بر من اتقى المحارم والشهوات .

(وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا) اذ ليس فى العدول بر وباشروا الأمور من وجهها .

(وَاتَّقُوا اللَّهَ) فيما أمركم به ونهاكم عنه أو فى جميع أموركم .

(لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) لتفوزوا وتظفروا بالخير والهدى فى الدين والدنيا .(٢)

المعنى الكلى للآيـــة :

لقد وجه المسلمون الأوائل سؤالهم الى المصطفى صلى الله عليه وسلم عن - حكمة اختلاف الأهلة وفائدتها ، فاعلم الحق تعالى على لسان رسوله محمد صلى الله عليه وسلم أنها معالم للناس ومواقيت يوقت الناس بها عباداتهم ومعاملاتهم . . . . وأمور دينهم ودنياهم على السواء ، ثم وضح لهم تعالى المناسبة بين الأهلة -التى هى المعالم والمواقيت للناس والحج وبين عادات الجاهلية المتكلفة فى الحج أو العمرة على سواء وابطال ماكان يفعله هؤلاء اذا أحرموا فى عدولهم عن دخول بيوتهم من قبل أبوابها الى دخولها من ظهورها ، فأعلمهم الحق تعالى على لسان رسوله محمد صلى الله عليه وسلم بخطئهم فى فعلهم هذا وظنهم أنه من البر، وبين أنه عمل باطل متكلف لا سند له ولا يؤدى الى شئ من البر ، بل البر الحقيقى هو تقوى الله عز وجل ومراقبته فى السر والعلانية وفى كل ما يأمر وينهى عنه . . . وليس فى فعل الأمور التى ليست من حقيقة الايمان بل انها لا تعنى أكثر من أنها عادة من عادات الجاهلية الباطلة .

---

(١) التفسير الكبير جـ٥ ص١٢٤ .

(٢) تفسير أبى السعود جـ١ ص٢٠٣ وتفسير النسفى جـ١ ص٩٨ .

السؤال عما ينفقون ورد في موضعين في القرآن الكريم :-

(٣)- السؤال عن الانفاق أي نوع ما ينفقون وجاء الجواب من الحق تعالى ببيان مصارف الانفاق وقيل جاء الجواب ببيان صفة المال المنفق ومصارف الانفاق فقال تعالى :-
(يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَا أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللّهَ بِهِ عَلِيمٌ)(١)

(٤)- السؤال عن الانفاق أي كمية ماينفقون -قال تعالى
(وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبيِّنُ اللّهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ . فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ)(٢)

التمهيد للآيتين :

لقد سأل المسلمون الأوائل النبي صلى الله عليه وسلم عن نوع ما ينفقون من الأموال فجاء الجواب من الله تعالى على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم ببيان صفة المال المنفق ثم حدد لهم مصارفه لأنها أولى وأهم ، ولأن الانفاق تطهير للأموال وتزكية للنفوس، ثم إنه عون ومنفعة للآخرين فيجب أن يكون من خير - وأن يعطى لمستحقيه لأنه عمل انسانى

---

(١) سورة البقرة آية ٢١٥ .
(٢) سورة البقرة آية ٢١٩ ، ٢٢٠ .

يبتغى به مرضاة الله تعالى ورضوانه فهو يجازيهم عليه بأحسن الجزاء والثواب فى الدنيا والآخرة .

ثم سأل المسلمون الأوائل أيضا النبى صلى الله عليه وسلم عن مقدار ما ينفقون رغبة منهم فى أن يتحروا حكم الاسلام وتعاليمه فى شئون حياتهم العامة والخاصة لتكون تصرفاتهم وفق شريعتهم فلا يقدمون على العمل حتى يستيقنوا من حكم الاسلام فيه والحق تعالى توعد بالجزاء والعطاء لمن ينفق ابتغاء مرضاة الله وطلبا لرضوانه بحسن الجزاء بشرط أن يكون المقدار الذى ينفقه الانسان من العفو ـ أى ما فضل وزاد عن الحوائج فى غير ترف ولا تبذير ولا أسراف .(١)

وهناك العديد من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية تحدثت عن الانفاق ووضحت الجزاء عليه والثواب فيه وذم الممسكين عن الانفاق فليرجع الى كتاب الله تعالى وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام ففيهما التوضيح الكبير . وقد قيل فى سبب نزول الآية الأولى(٢) انها نزلت حينما سأل المؤمنون رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أين يضعون أموالهم(٣)؟ وقال بعض المفسرين انها نزلت فى عمرو بن الجموح الأنصارى(٤) .

كما فى رواية أبى صالح قال : قال ابن عباس رضى الله عنهما :

(نزلت فى عمرو بن الجموح الأنصارى وكان شيخا كبيرا ذا مال كثير ، فقال : يارسول الله بماذا نتصدق ؟ وعلى من ننفق ؟ (٥)

فنزلت الآية (٦)

وقد بينت الآية الكريمة صفة المال المنفق وانه من خير ـ أى من حلال فليس ماعداه خيرا

---

(١) ظلال القرآن جـ١ ص٢٢٠-٢٢١ ، وص٢٣١ .
(٢) سورة البقرة آية ٢١٥ .
(٣) أسباب النزول ص٤١ .
(٤) تفسير ابى السعود جـ١ ص٢١٦ ، وروح المعانى جـ٢ ص١٠٥ وفتح القدير جـ١ص٢١٦ .
(٥) أسباب النزول للواحدى ص٤٠ ، ولباب النقول فى أسباب النزول للسيوطى ص٤١ .
(٦) سورة البقرة آية ٢١٥ .

، ووضحت وبينت مصارفه لأنهم أولى وأحق بالنفقة من غيرهم فبدأت بالعصبة ، ثم برابطة الرحم ، ثم برابطة الانسانية وكلهم يتضامنون فى اطار العقيدة الاسلامية .(١)

وأما الآية الثانية فقد ورد فى سبب نزولها أيضا روايات :(٢)

أخرج ابن حاتم من طريق سعيد أو عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما قال :

(أن نفرا من الصحابة حينما أمروا بالنفقة فى سبيل الله تعالى أتووا النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا : لا ندرى ماهذه النفقة التى أمرنا بها فى أموالنا فما ننفق منها)(٣)

فنزلت الآية (٤)

وقال الامام ابن حجر فى الفتح

(وقد أخرج ابن أبى حاتم مرسل -يحيى بن كثير -بسند صحيح اليه : أنه بلغه أن معاذ بن جبل وثعلبة سألا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالا : ان لنا أرقاء وأهلين فما نفق من أموالنا ؟(٥)

فنزلت الآية (٦)

ثم قال الامام ابن حجر :

بهذا يتبين مراد الامام البخارى من ايرادها فى كتاب النفقات(٧)

وقال الامام الألوسى :-

انها نزلت فى عمرو بن الجموح كنظيرتها ، وكأنه سئل أولا عن المنفق والمصرف، ثم سئل عن كيفية الانفاق بقرينة الجوب " قل العفو " أى صفته أن يكون عفوا أى فضلا (٨)

---

(١) فى ظلال القرآن جـ١ ص٢٢١ .
(٢) الآية الثانية من سورة البقرة ٢١٩ .
(٣) لباب النقول فى أسباب النزول ص٤٢ .
(٤) سورة البقرة آية ٢١٩ .
(٥) فتح البارى صحيح شرح البخارى جـ٩ص٤٩٨ / كتاب النفقات/باب فضل النفقة على الأهل . وقوله تعالى : (ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون) .
(٦) سورة البقرة آية ٢١٩ .
(٧) فتح البارى شرح صحيح البخارى جـ٩ ص٤٩٨ كتاب النفقات باب فضل النفقة على الأهل وقوله تعالى : (ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون) .
(٨) روح المعانى جـ٢ص١١٩ ومعنى قوله كنظيرتها أى الآية الأولى ٢١٥ من سورة البقرة .

وقد رأيت أنه لا مانع أن تكون هذه الأسئلة قد وجهت الى النبى صلى الله عليه وسلم ثم نزلت الآيتان عقبها .

ايضاح الآيتين :-

(يَسألُونكَ مَاذَا يُنفِقُونَ) : يسألك أصحابك يا محمد من أى أموالهم ينفقون ويتصدقون . فأجيبوا ببيان المصرف الذى يصرفونه فيه تنبيها لهم أنه الأولى بالتصدق (١)

(قُل مَا أنفقتم مِن خَيرٍ) : أى قل لهم يا محمد أى شئ - أو الذى ينفقونه هو خير أى حلال لأن ماعداه لا يسمى خيرا (٢)

قال الامام الألوسى : تعرض لذلك - أى للمال الحلال - وليس فى السؤال ما يقتضيه لأن سؤالهم كان للتعلم وتطبيق أحكام الاسلام وليس للجدال (٣)

(فَللوالِدينِ) : أى الأب والأم وما علا وقدم الانفاق على الوالدين لوجوب حقهما على الولد ولانهما كانا السبب فى اخراجه من العدم الى الوجود، (والأَقرَبِينَ) ذكروا بعد الوالدين لأن الانسان لا يقدر أن يقوم بمصالح جميع الفقراء ، وقدموا لأنهم أولى من غيرهم .

(واليَتامَى) ذكروا بعد الأقربين لصغرهم ولعدم قدرتهم على الاكتساب ولا أحد لهم ينفق عليهم .

(والمَساكِينِ) : أخرهم لأن حاجتهم أقل من غيرهم .

(وابن السبيل) أى المسافر المنقطع لأن انقطاعه عن بلده يوقعه فى الحاجة والفقر (٤)

ولم تتعرض الآية الكريمة للسائلين ، وفى الرقاب ، اما اكتفاء بما ذكر فى مواضع أخرى من القرآن ، واما بناء على دخولهم تحت عموم (٥) قوله تعالى -

(وما تفعلوا من خَيرٍ) (٦)

---

(١) فتح القدير جـ١ ص٢١٦ .
(٢) روح المعانى جـ٢ ص١٠٦
(٣) روح المعانى جـ٢ص١٠٦ .
(٤) تفسير الخازن جـ١ص١٧١ .
(٥) روح المعانى جـ٢ ص١٠٦ .
(٦) سورة البقرة آية ٢١٥ .

(وما تفعلوا من خيرٍ فإن الله به عليم) : أى أنه شامل لكل خير واقع فى أى مصـــرف كان فان الله يوفى ثوابه وجزاءه عليه .

(ويسألونك ماذا ينفقون) : يسألك أصحابك يا محمد عن أى جزء من أموالهم ينفقون (١)

(قل العفو) : أخبرهم يا محمد أن ينفقوا العفو : وهو الزيادة .

وقال القفال : العفو هو ماسهل وتيسر مما فضل من الكفاية .

وقد ذكر الامام ابن حجر العسقلانى فى الفتح :-

(اخرج عبد بن حميد عن الحسن قال :

(أن لا تجهد مالك ثم تقعد تسأل الناس) (٢)

فعرف بهذا المراد بقوله (الفضل) أى مالا يؤثر فى المال فيمحقه (٣)

(كذلك يبين الله لكم الآيات) : أى يبين الله لكم الأمور التى سألتم عنها من وجـــوه الانفاق وغيره .

(لعلكم تتفكرون . فى الدنيا والآخرة) : فتأخذون مايصلحكم فى الدنيا . وتنفقـــون الباقى فينفعكم فى الآخرة .

وقيل لعلكم تتفكرون فى زوال الدنيا فتزهدوا فيها وتقبلوا على الآخرة فترغبوا فيها . (٤)

وهذا القول الأرجح عندى .

المعنى الكلى للآيتيـــن :

لقد أمر القرآن الكريم فى كثير من الآيات عباد الله المؤمنين بالانفاق فى وجـــوه البر المختلفة طاعة لله تعالى وعونا للآخرين وبين لنا الله تعالى :

أنه يضاعف الأجر للمنفقين كما قال تعالى :

(مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِى سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ) (٥)

---

(١) تفسير ابى السعود جـ١ ص٢١٦ .
(٢) فتح البارى بشرح صحيح البخارى جـ٩ ص٤٩٨ كتاب الانفاق .
(٣) فتح البارى
(٤) الخازن جـ١ ص١٧٩ .
(٥) سورة البقرة آية ٢٦١ .

ومما كان يدفع المسلمون الاوائل الى سؤال المعصوم عليه الصلاة والسلام عما ينفقون الرغبة فى الابتعاد عما كان يفعله أهل الجاهلية من بذل الأموال فى الترف واللهو وغير ذلك وقد وضح لهم الحق تعالى وأعلمهم بمصارف الانفاق تنبيها لهم أنه أولى بالقصد وبشرط أن يكون المال المنفق منه خيرا أى حلالا فما عداه لا يسمى خيرا ، لأن به تحصل المعاونة للآخرين والله تعالى سيجازى به أحسن الجزاء وأفضل العطاء ، وأن الذين يجب على الانسان النفقة عليهم هم من تربطهم بالمنفق روابط العصبة الأقرب فالأقرب والوالد ان أحق بالنفقة عليهما من الآخرين لأنهما السبب فى اخراج الانسان من العدم الى الوجود ولمالهما من احسان كثير على الانسان لا يستطيع أن يوفيهما حقهما ، ثم الأقربون لأنهم أولى بالمعروف ، ثم اليتامى والمساكين وابن السبيل لحاجتهم الى النفقة فهذا هو الترابط الانسانى والتكافل الاجتماعى فى الشريعة الاسلامية .(١)

فهذا الترتيب الحسن فى كيفية الانفاق ثم التفصيل الكامل وضحه الحق تعالى فى صدقات التطوع لمن أحب ورغب فيما عند الله من الجزاء والعطاء فهو جل جلاله عليم بنية الانسان فى هذا العمل ولا يضيع أجر من أحسن عملا .

وقال عليه الصلاة والسلام :

(إذا أنفق المسلمُ نفقةً على أهلِه وهو يَحتَسِبها ـ كانت له صدقة) (٢)

ثم سأل المسلمون أيضا المصطفى عليه الصلاة والسلام مرة ثانية عن هذا المقدار الذى كلفوا به فى الانفاق فالحق تعالى وضح لهم على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم أنه ما فضل عن الحاجة ولم يؤذوا فيه النفس فيكونوا عالة على الآخرين فهذا هو المطلوب استنادا للحديث الشريف

---

(١) ظلال القرآن جـ١ ص٢٢٠-٢٢١ .

(٢) صحيح البخارى بشرح فتح البارى جـ٩ ص٤٩٧ كتاب النفقة .

أخرج الامام البخارى :

(عن أبى هريرة رضى الله عنه : أنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال : (خيرُ الصدقة ماكان عن ظَهر غنىّ ، وأبدأ بمن(١) تعول)(١)

الاختلاف فى المراد بهذا الانفاق هل هو التطوع ، أو الموجب؟

(أ) قيل انه الانفاق على سبيل التطوع وهو الصدقة .

(ب) وقيل انه المراد به الزكاة المفروضة كما قال ابو مسلم : يجوز أن العفو : هو الزكاة المفروضة وقد جاء على سبيل الاجمال ، وأما التفصيل فمذكور فى السنة المطهرة .

(جـ) وقيل هذا الانفاق كان قبل نزول آيات الصدقات وكان الناس مأمورين بأن يأخذوا من مكاسبهم وما يكفيهم فى عامهم ثم ينفقون الباقى ثم صار هذا منسوخا بآية الزكاة (٢)

والأرجح القول الأول وهو أنه الانفاق على سبيل التطوع فلو كان فرضا لبين الحق تعالى مقداره ولكن هو ما فضل عن الحاجة ولم يؤذوا فيه النفوس فتكون عالة على الآخرين .

وقد ختم الحق تعالى الآية بالحث على التفكير والتدبر فى الثواب العظيم والأجر الكبير الذى يناله من يجود بمال الله الذى أعطاه اياه كما قال تعالى :

(آمِنُواْ بالله وَرَسُولِهِ وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّستَخلَفِينَ فِيهِ فَالذين آمنوا مِنكُم وَأَنفَقُواْ لَهُمْ أَجرٌ كَبِيرٌ) (٣)

وقال الامام الشوكانى تفسيرا لما ختمت به الآية الكريم :-

أى تتفكرون فى أمر الدنيا والآخرة فتحبسون من أموالكم ماتصلحون به معايش دنياكم

(١) صحيح البخارى بشرح فتح البارى جـ٩ ص٥٠٠ كتاب النفقات / باب وجوب النفقة على الأهل والعيال .

(١) (وابدأ بمن تعول) : أى بمن يجب عليك نفقته ومايحتاجون اليه من قوت وكسوة .

(٢) التفسير الكبير جـ٦ ص٩٤ والجامع لأحكام القرآن جـ٣ ص٦٢ .

(٣) سورة الحديد ٧ .

وتتفقون الباقى فى الوجوه المقربة الى الآخرة .(١)

وذكر الامام ابن كثير ما نقل عن الحسن :-

(عن الصعق التميمى قال : شهدت الحسن وقرأ هذه الآية من البقرة

(لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ فِى الدُّنيا والآخِرةِ) قال : هو والله لمن تفكر فيها ليعلم أن الدنيا

دار بلاء ، ثم دار فناء ، وليعلم أن الآخرة دار جزاء ، ثم دار بقاء (٢)

---

(١) فتح القدير جـ١ ص٢٢٢ .

(٢) تفسير ابن كثير جـ١ ص٤٥٤ .

(٤) السؤال عن الخمر والميسر :

قال تعالى :

(يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا)(١)

التمهيد للآية الكريمة :-

لقد كان من أسئلة المسلمين الأوائل الى النبى صلى الله عليه وسلم سؤالهم عن الخمر والميسر ، فانهما من الأمور التى ألفها الناس قبل الاسلام واعتادوا عليها فلما جاء الاسلام سألوا عن حكم شرب الخمر وعن حكم لعب الميسر ـ القمار . فان بهذه الآية الكريمة كانت الخطوة الأولى من خطوات تحريم الخمر لأن تحريمها كان تدريجا .

كما أخرج الامام النسائى وأبو داود :

(عن أبى إسحاق عَنْ أَبى مَيْسَرَةَ عَنْ عُمَرَ رَضِىَ اللَّهُ عَنهُ قَالَ :

" لَمَّا نَزَلَ تَحرِيمِ الخَمر قَالَ عُمَرُ اللَّهُمَّ بين لَنَا فى الخَمرِ بَيَاناً شَافياً . (٢)

فَنَزَلَتِ الآيَة التِّى فى البَقَرَةِ :

(يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا)(٣)

---

(١) سورة البقرة آية ٢١٩ .

(٢) سنن النسائى جـ٨ ص٢٨٦ كتاب الأشربة / باب تحريم الخمر ، سنن ابى داود جـ٣ ص٣٢٥ كتاب الأشربة باب فى تحريم الخمر .

(لما نزل تحريم الخمر) : قال الامام النسائى : أى لما قرب نزوله ، أو لما أراد الله تعالى أن ينزله وفق عمر لطلبه حتى أنزله بالتدريج المذكور فى الحديث ، فالتحريم انما حصل بآية المائدة (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) . ودعاء عمر كان قبل ذلك فلابد من تأويل ظاهر للحديث .

ثم قال الامام النسائى : والمراد بآية البقرة قوله (قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس واثمهما اكبر من نفعهما) والمراد بالاثم والله أعلم الضرر كما يدل عليه مقابلته بالمنافع .

(٣) سورة البقرة آية ٢١٩ .

قال فدعي عمر فقرئت عليه ، فقال عمر اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا .

فنزلت الآية في النساء كما قال تعالى :

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا) (١)

فكان منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أقام الصلاة نادى لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى فدعي عمر فقرئت عليه فقال : اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا .

فنزلت الآية التي في المائدة من قوله تعالى :

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ . إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ)(٢)

فدعي عمر فقرئت عليه فلما بلغ قوله (فهل أنتم منتهون) .

قال عمر انتهينا انتهينا) (٣)

---

(١) سورة النساء ٤٣ .

(٢) سورة المائدة ٩٠-٩١ .

(٣) سنن النسائي جـ٨ ص٢٨٦-٢٨٧ كتاب الأشربة / باب تحريم الخمر/
قال الامام النسائي : المراد من قوله (لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى) الآية فلعل المراد نهي من له معرفة من السكر في الجملة أو المراد به النهي عن مباشرة أسباب السكر عند قرب الصلاة ، لا نهي السكران لأنه لا يفهم فكيف ينهى .

فهكذا تم تحريم الخمر بالتدريج .

ايضاح الآية الكريمة :

(يسألونك عن الخمر والميسر) : يسألك أصحابك عن حكم تناول الخمر أحلال أم حرام ؟ (١)

قال الامام المراغي :

ومثل هذا بيعهما وشراؤهما ـ ونحو ذلك مما يدخل في التصرفات التي تخالف الشرع ـ وعن حكم الميسر واستعماله .(٢)

وقال الامام الفخر الرازي :ـ

ليس في الآية بيان عن أنهم عن أي شيء سألوا ، فانه يحتمل أنهم سألوا عن حقيقته، وماهيته ، وعن الانتفاع به ، وعن حل شربه وحرمته ، الا أنه تعالى لما أجاب بذكر الحرمة دل تخصيص الجواب على أن ذلك السؤال كان واقعا عن الحل والحرمة .(٣)

والخمر : مأخوذ من خمر اذا ستر ، ومنه خمار المرأة ، وكل شيء غطى شيئا فقد خمره وسميت الخمر خمرا لأنها تخمر العقل وتغطيه .

والخمر من ماء العنب اذا غلا واشتد وقذف بالزبد ، وكل ما خامر العقل من غيره فهو في حكمه كما ذهب اليه الجمهور .(٤)

أخرج الامام البخاري بسنده :

(عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : " خطب عمر على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : إنه قد نزل تحريم الخمر وهي من خمسة أشياء : العنب ، والتمر ، الحنطة والشعير والعسل ، والخمر ما خامر العقل .) (٥)

---

(١) جامع البيان في تفسير القرآن جـ٢ ص٢٠٨ .
(٢) تفسير المراغي جـ٢ ص١٣٩ .
(٣) التفسير الكبير جـ٦ ص٤٠ .
(٤) فتح القدير جـ١ ص٢٢٠ .
(٥) صحيح البخاري بشرح فتح الباري جـ١٠ ص٤٥ كتاب الأشربة / باب ما جاء في أن الخمر ما خامر العقل من الشراب.

قال الامام ابن حجر العسقلانى فى الفتح :
(ان التحريم لا يختص بالخمر المتخذ ه من العنب ومن غيره بل يشركها فى التحريم كـــل شراب مسكر.(١)

وأخرج الامام النسائى :-
(عَن نافعٍ عن ابْنِ عُمَرَ رضى اللّه عنهما عَن النَّبِىَّ صلَّى اللّه عليه وسلم قَالَ : كُلُّ مُسْكِرٍ حَـــرَامٌ وَكُلُّ مُسْكِر خَمرٌ) .(٢)

الميسر : من المفعل . من يسرت الشيء اذا اجزأته ، ويطلق على الجزور لأنه موضع التجزئة .

والميسر : قمار العرب بالأزلام .
ونقل الامام ابن جرير عن طاووس وعطاء قالا : كل قمار فهو من الميسر حتى لعب الصبيــان بالكعاب والجوز.(٣)

وقال الأزهرى : الميسر : الجزور الذى يتقامرون عليه ، سمى ميسرا لأنه يجزأ أجـــزاء فكأنه موضع التجزئة ، وكل شيء جزأته فقد يسرته .
والياسر : الجازر ، لأنه يجزى لحم الجزور ، وهذا الأصل فى الياسر ، ثم يقال : للضاربين بالقداح والمتقامرين على الجزور ياسرون ، لأنهم جازرون اذ كانوا سببا لذلك (٤)
(قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ) : قل يا محمد لهم فيهما أى فى الخمر والميسر إثم والاثم الذنــــب ، وقد أثم بالكسر اثما . ومأثما اذا وقع فى الاثم ، فهو آثم ، وأثيم ، والمراد به كـــل ما ينقص من الدين عند من يشربها ، وما فيهما من القاء العداوة والبغضاء ، والصـــدود عن ذكر الله تعالى ، ومع ذلك أيضا متلفة للأموال .

ونقل الامام ابن جرير عن السدى قوله
: فاثم الخمر : أن الرجل يشرب فيسكر فيؤذى الناس ، والاثم من الميسر أن يقامر الرجـــل فيمنع الحق ويظلم.(٥)

---

(١) فتح البارى شرح صحيح البخارى جـ١٠ ص٣٦ .
(٢) سنن النسائى جـ٨ ص٢٩٦ اثبات اسم الخمر لكل مسكر من الأشربة .
يحتمل المراد أن الخمر اسم لكل مايوجد فيه السكر من الأشربة .
(٣) جامع البيان فى تفسير القرآن جـ٢ ص٢٠٨ .
(٤) الجامع لأحكام القرآن جـ٣ ص٥٣ .
(٥) جامع البيان فى تفسير القرآن جـ٢ ص٢٠٩ وتفسير آيات الاحكام للسايس جـ١ ص١١٩ .

(وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ) : من ربح التجارة لأنهم كانوا يجلبونها من الشام برخص فيبيعونها فى الحجاز بربح كثير .(١)

أما اللذة فهى مضرة عند العقلاء ، لأن ما تجلبه من اللذة لا يفى بما تذهبه من العقل حتى أن العبيد وأهل النقص كانوا يتنزهون عنها لما فيها من ذهاب العقل وعدم التمييز والتحصيل ، ومنفعة الصحة فقد بالغ الأطباء فى بيان أنها مضرة للصحة .(٢)

أخرج الامام مسلم بسنده :

(عَنْ علقمة بن وائل عن أبيهِ وائلٍ الحضرمىِّ أنَّ طارقَ بْنَ سُويدٍ الجُعفىَّ سَأَلَ النبى صلى الله عليه وسلم عَنِ الخَمرِ فنهاهُ أو كَرِهَ أنْ يَصْنَعَها فقالَ : إنما أَصْنَعُها للدواءِ فقال : إنه ليسَ بدواءٍ ولكنَّهُ داءٌ)(٣)

(وأخرج أيضا بسنده عن أنسٍ : أنَّ النبى صلى الله عليه وسلم سُئِلَ عَنِ الخَمرِ تُتخذُ خَلاً فقالَ لاَ .)(٤)

قال الامام ابن العربى :

والصحيح أنه لا يجوز استعماله دواء لقوله صلى الله عليه وسلم : إنها ليست بدواء ولكنها داء .(٥)

(وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا) : أمر الحق تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم أن يخبر المسلمين أن :-

الخمر والميسر وان كان فيهما المنافع للناس الا أن الاثم الذى يلحق من تعاطيهما أكثر من هذا النفع ، ولأنه لا خير يساوى فساد العقل الحاصل بالخمر ، فانه ينشأ عنه من الشرور مالا يأتى عليه الحصر ، وكذلك لا خير فى الميسر يساوى ما فيه من المخاطرة

---

(١) جامع البيان فى تفسير القرآن جـ٢ ص٢٠٩ وتفسير آيات الأحكام للسايس جـ١ ص١١٩ .
(٢) أحكام القرآن / لابن العربى جـ١ ص١٥٠ .
(٣)،(٤) صحيح مسلم بشرح النووى جـ١٣ ص١٥٢ .
(٥) أحكام القرآن لابن العربى جـ١ ص١٥٠ .

بالأموال والتعرض للفقر ، واستجلاب العداوة والبغضاء المفضية الى سفك الدماء وهتك الحرمات .(١)

المعنى الكلي للآية الكريمة :

لقد انتزع الاسلام عادة شرب الخمر الضارة بالتدريج شيئا فشيئا اذ لا يسهل على النفوس البشرية ترك ما ألفته واعتادت عليه الا بهذا ولو حرمت الخمر دفعة واحدة لشق على النفوس الابتعاد عنها وتركها وأولى الآيات التى نزلت فى الخمر وصفت بالرزق الحسن ، وفيها لفت الأنظار الى أن السكر ليس فيه خير وتنبيه للناس بعيد .

قال تعالى :
(وَمِن ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَراً وَرِزْقاً حَسَناً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ)(٢)
وحينما سأل الصحابة رضوان الله عليهم النبى صلى الله عليه وسلم عن حكم تناول الخمر ولعب الميسر - القمار - أجابهم الحق تعالى بتحريك وجدانهم الدينى بأن الاثم فيهما أكبر من النفع وفى هذا تنبيه بأن تركها هو الأولى .

ثم جاءت الخطوة الثالثة فى سورة النساء بالنهى عن شرب الخمر قبيل الصلوات الخمس وهذا منع جزئى من الخمر لأن معظم هذه الصلوات المفروضة متقارب فى الأوقات ولا يكفى ما بينها للسكر والافاقة ، فأمكن بهذا العلاج قتل هذا الداء فى نفوسهم .

ثم جاء النهى الحازم الأخير بالتحريم المطلق فى جميع الأحوال والأوقات فتركها الصحابة رضوان الله عنهم .

وقد ذكر الامام ابن حجر العسقلانى فى الفتح :-
مانقل عن الطبرانى وابن مردويه وصححه الحاكم من طريق طلحة بن مصرف عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس قال : "لما نزل تحريم الخمر مشى أصحاب رسول الله صلى الله عليه

---

(١) فتح القدير جـ١ ص٢٢١ .
(٢) سورة النحل آية ٦٧ .

وسلم بعضهم الى بعض فقالوا : حرمت الخمر وجعلت عدلا للشرك)[١]
وتحريم الخمر لضررها على الدين والعقل والجسم .
والحق تعالى لاينهى عباده المؤمنين الا عما يكون فيه ضرر للدين والبدن .[٢]

---

(١) فتح البارى بشرح صحيح البخارى جـ ١٠ ص ٣١ كتاب الأشربة .
(٢) فى ظلال القرآن جـ ٢ ص ٢٢٩ ، وتفسير المراغى جـ ٢ ص ١٣٨-١٣٩ .

(٥) **السؤال عن اليتامى :**

قال تعالى :

(وَيسألُونكَ عَن اليَتامى قُل اصلاحٌ لَهم خَيرٌ وَإن تُخالِطُوهم فَإِخوانكُم واللَّهُ يَعلَمُ المُفسِدَ مِنَ المُصلحِ وَلو شاء اللَّهُ لأَعنتَكم إنَّ اللَّهَ عَزيزٌ حَكيمٌ)(١)

التمهيد للآية الكريمة :

من الأسئلة التى وجهت الى النبى صلى الله عليه وسلم من الصحابة - رضوان الله عليهم سؤالهم عن مخالطة اليتامى لأنهم كانوا يحافظون على حدود الله تعالى ويأخذون بأحكام الاسلام فى كل صغيرة وكبيرة فى شؤون حياتهم فلما جاء التحذير من أكل أموال اليتامى ظلما كما فى قوله تعالى :

(إِنَّ الَّذِينَ يأكُلونَ أموالَ اليَتامى ظُلماً إنما يأكُلونَ فى بُطونِهم نارا وَسيَصلونَ سَعيراً)(٢)

أفزع هذا التحذير قلوب المسلمين وتركهم فى حيرة وحرج وخاصة من كان له كفالة على اليتامى خوفا من أن يصيبهم شئ من الذنب فكان البعض منهم يأبى القيام على اليتامى ، وبعضهم يعزل اليتامى عن نفسه وأولاده ، وفى هذا مفسدة لهم وضياع لأموالهم واهانة لهم ، فسألوا المصطفى صلى الله عليه وسلم أيخالطوهم - أم يتجنبوا أموالهم لكن الحق تعالى أجابهم بما فيه المصلحة لهم فأباح لهم مخالطتهم بالاصلاح .

أخرج الامام أبو داود والنسائى :-

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : لما أنزل الله تعالى :

(ولاَ تقربوا مَالَ اليَتيمِ إلاَّ بالَّتى هِىَ أَحسَنُ حتَّى يَبلغَ أَشُدَّه وأوفوا الكَيلَ والميزانَ بالقِسطِ لاَ نُكلِّفُ نفساً إلاَّ وُسعَها وَإذا قُلتم فَاعدلوا وَلو كانَ ذا قُربى وَبعهدِ اللَّهِ أوفُوا ذلِكُم وصَّاكُم بِه لَعلَّكُم تَذكَّرونَ) (٣)

---

(١) سورة البقرة ٢٢٢ .
(٢) سورة النساء آية ١٠ .
(٣) سورة الانعام آية ١٥٢ .

وقوله تعالى :

(انَّ الَّذينَ يأكُلونَ أموالَ اليتامى ظُلماً إنما يأكُلونَ فى بطونهم ناراً وسيصلَونَ سعيراً) (١)

انطلق من كان عنده يتيم فعزلَ طعامه من طعامه وشرابه من شرابه ، فجعل يفضل من طعامه فيحبس له حتى يأكله أو يفسد ، فاشتد ذلك عليهم ، فذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

فأنزل الله عز وجل :

(ويسألونك عنِ اليتامى قلْ إصلاحٌ لهم خيرٌ وإن تخالطوهم فإخوانكم والله يعلمُ المفسد منَ المصلح ولو شاءَ اللهُ لأعنتكم إن اللهَ عزيزٌ حكيمٌ) (٢)

فخلطوا طعامهم بطعامه وشرابهم بشرابه .(٣)

ايضاح الآية الكريمة :-

(ويسألونك عنِ اليتامى) : يسألك يا محمد الصحابة عن القيام بأمر اليتامى ، أو عن مخالطتهم وكفالتهم فقد تجنبوهم تورعا فنزلت الآية الكريمة باباحة مخالطتهم بالاصلاح

(قل إصلاحٌ لهم خيرٌ) : المراد بالاصلاح المخالطة على وجه الاصلاح لأموالهم فان ذلك أصلح من مجانبتهم (٤)

(وإن تخالطوهم) : يعنى فى الطعام والشراب والخدمة والسكنى .

(فإخوانكم) : فانهم اخوانكم فى الدين فهو أقوى من علاقة النسب فمن حقوق الاخوة وواجبها المخالطة بالاصلاح والنفع .(٥)

---

(١) سورة النساء آية ١٠ .

(٢) سورة البقرة آية ٢٢٠ .

(٣) سنن أبى داود جـ٣ ص١١٤ كتاب الوصايا / باب مخالطة اليتيم فى الطعام، وسنن النسائى جـ٦ ص٢٥٦ / باب ما للوصى من مال اليتيم اذا قام عليه .

(٤) كتاب التسهيل لعلوم التنزيل جـ١ ص٧٩ .

(٥) تفسير ابى السعود جـ١ ص٢٢٠ .

(واللهُ يعلمُ المفسدَ منَ المصلحِ) : أى أن الله تعالى يعلم المفسد لمال اليتيم والمصلح له ، ويعلم الذى يقصد بالمخالطة الخيانة وأكل أموال اليتامى بالباطل وبغير حق من الذى يقصد الاصلاح والتنمية فيجازى كلا منهما بعمله .
(ولوشاءَ اللهُ لأعنتكم) أى لضيق عليكم ولم يبح لكم مخالطة اليتامى (١)

لأن أصل العنت المشقة والشدة ؛ أى لكلفكم بالشئ الذى يشق عليكم .
(انَّ اللهَ عزيزٌ حكيمٌ) ؛غالب على أمره لا يعز عليه أمر من الأمور التى من جملتها اعناتكم فهو يتصرف فى ملكه بما تقتضيه مشيئته وحكمته وليس لكم أن تختاروا لأنفسكم شيئا فهو حكيم لا يكلف عباده الا ما تتسع له طاقتهم .(٢)

الحكمة فى وصل السؤال عما ينفقون بالسؤال عن اليتامى :-
لما أمر الله عز وجل عباده بالانفاق مما فضل عن حوائجهم مع المحافظة على الأموال دون تبذير أمر بالمحافظة على أموال اليتامى دون مفسدة فناسب أن يذكر عقب الطائفة التى يجب عليها الانفاق الطائفة التى يجب بذل الأموال فى تربيتها واصلاح شئون حياتها ورعاية مصالحها وهم الأيتام فكأن الحق تعالى يذكر عباده المؤمنين أن عليهم عند المخالطة لليتامى فى أموالهم أن يراعوا الانصاف والعدل الذى هو أساس كل شئ .
فهؤلاء من الاصناف الذين يستحقون النفقة بل تجب عليهم النفقة من العفو أى مما فضل عن الحاجة ولا يصح من الأولياء الطمع فى فضول أموالهم بل يجب مراقبة الله تعالى فى جميع الأعمال والأحوال فى السر والعلانية .(٣)

أخرج الامام البخارى بسنده :-
(حدثنا عبدُ اللهِ بن عبد الوهاب قال : حدَّثنى عبدُ العزيز بن أبى حاتم قال : حدَّثنى أبى قال : سمعتُ سهلَ بن سعدٍ عن النبىِّ صلى اللهُ عليه وسلم قال :
" أنا وكافلُ اليتيم فى الجنة هكذا . . . وقال باصبعيه السبابة والوسطى) (٤)

(١) تفسير الخازن جـ١ ص١٨٠ .
(٢) تفسير ابى السعود جـ١ ص٢٢٠ .
(٣) تفسير المراغى جـ٢ص١٥٠ .
(٤) صحيح البخارى بشرح فتح البارى جـ١٠ ص٤٣٦ كتاب البر / باب فضل من يعول يتيما .
قال الامام ابن حجر : فيه اشارة الى أن بين درجة النبى صلى الله عليه وسلم وكافل اليتيم قدر التفاوت ما بين السبابة والوسطى .

المعنى الكلي للآية الكريمة :

لقد اعتاد أهل الجاهلية الانتفاع بأموال اليتامى وهضم حقوقهم دون مراقبة الله تعالى أثناء خلطة أموالهم بأموال اليتامى فيحصل الغبن لليتيم الصغير ولكن المسلمين يخافون الله تعالى ويخشون عقابه على هضم حق اليتيم لذا فانه عندما نزلت آيات التحذير والتخويف من أكل أموال اليتامى تحرج الاتقياء الذين كان تحت كفالتهم يتامى فعزلوا طعامهم، وشرابهم وجعل من كان عنده وتحت رعايته يتيم يقدم له الطعام والشراب وغير ذلك من ماله ، فاذا فضل وزاد منه بعض الشيء يبقى له ذلك حتى يعود فيأكله أو يفسده، فهذا تشديد ليس من طبيعة الاسلام ، وهو يؤدى كذلك الى ضرر باليتامى فسأل الصحابة رضوان الله عليهم المصطفى عليه الصلاة والسلام أيخالطونهم أم يجتنبونهم؟ فان خالطوهم وتولوا أمورهم تعرضوا لهذا الوعيد الشديد ، وان تركوهم وأعرضوا عنهم اختلت معيشتهم وساء حالهم لكن الاسلام رد المسلمين الى الاعتدال واليسر وتحرير الخير والاصلاح لليتامى بالتصرف فى أموالهم فى حدود المصلحة فالاصلاح لليتامى خير من اعتزالهم ، ومخالطتهم لا حرج فيها بشرط تحقيق الخير والاصلاح لهم فانهم للأوصياء اخوة فى الدين الاسلامى ، وان الحق تعالى يعلم المحسن من المسىء وسيجازى كلا على عمله ، فهو جل جلاله لم يشدد ويضيق عليكم أيها المسلمون ولم يكلفكم الا بما تتسع له طاقاتكم وتتيسر عليه مصالح الجميع .(١)

---

(١) الخازن جـ١ ص١٧٩-١٨٠ ، وتفسير المراغى جـ٢ ص١٤٨-١٥٠ / وفى ظلال القرآن جـ١ ص٢٣٢ .

(٦) السؤال عن المحيض :-

قال تعالى :

(ويسألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء في المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن فاذا تطهرن فأتوهن من حيث أمركم الله إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين)[1]

التمهيد للآية الكريمة :

من الأسئلة التي وجهت الى النبي صلى الله عليه وسلم سؤال المسلمين عن المحيض حينما رأوا تشديد اليهود في أمر حيض المرأة ، وكذلك تساهل النصارى في أمر حيض المرأة فقد كانوا يجامعون الحائض في زمن المحيض ولكن الحق أمر بالقصد بين هذين

أخرج الامام مسلم والامام أبو داود :

(عن أنس بن مالك أن اليهود كانوا اذا حاضت المرأة فيهم لم يؤاكلوها ، ولم يجامعوهن في البيوت [2] ، فسأل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، النبي صلى الله عليه وسلم . فأنزل الله تعالى : (ويسألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء في المحيض ..) الآية [3]

الى آخر الآية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (اصنعوا كل شيء الا النكاح) . فبلغ ذلك اليهود فقالوا : مايريد هذا الرجل أن يدع من أمرنا شيئا الا خالفنا فيه ، فجاء أسيد بن حضير وعباد بن بشر ، فقالا : يارسول الله : إن اليهود تقول : كذا وكذا ، فلا تجامعهن فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ظننا أن قد وجد عليهما [4] ، فخرجا فاستقبلتهما هدية من لبن الى النبي صلى الله عليه وسلم فأرسل في آثارهما

---

(١) سورة البقرة آية ٢٢٢ .

(٢) قال الامام النووي : (ولم يجامعوهن في البيوت) : أي لم يخالطوهن ولم يساكنوهن في بيت واحد .

(٣) سورة البقرة آية ٢٢٢ .

(٤) (أن قد وجد عليهما) : غضب عليهما .

فَسَقَاهُمَا فَعَرَفَا أَنْ لَم يَجِدْ عَلَيهِما)[١]

وقال الامام ابن حجر العسقلانى :

روى عن الطبرى عن السدى : أن الذى سأل أولا عن ذلك هو ثابت بن الدحداح [٢]

فقد عرف المسلمون بهذه الآية الكريمة ان الذى يجب عليهم فى أيام حيض نسائهم أن يجتنبوا جماعهن فقط دون ماعدا ذلك من مضاجعتهن ومؤاكلتهن ومشاربتهن[٣]

ايضاح الآية الكريمة :-

(وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ) : يسألك يامحمد عن حكم مخالطة النساء فى زمن المحيض والمحيض هو الحيض ، وهو مصدر يقال : حاضت المرأة حيضا ومحيضا فهى حائض وحائضة .

وقيل المحيض عبارة عن زمان الحيض ، وعن مكانه ، وعن الحيض نفسه فهو مجاز فيهما .

والحيض أصله السيلان ، وفى العرف جريان دم المرأة من موضع مخصوص فى أوقات معلومة .

(قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ) : قل لهم يامحمد هو شئ يتأذى به أو برائحته وسمى الحيض أذى لنتنه وقذره ونجاسته ، فالحيض أذى يعتزل المرأة فى موضعه ولا يتعداه الى بقية بدنها .[٤]

والمراد من هذا الاعتزال ترك المجامعة وليس ترك المجالسة والمؤاكلة والمشاربة بل يجوز الاستمتاع بالمرأة وملامستها بما دون الازار .[٥]

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووى ج٣ ص٢١١-٢١٢ كتاب الحيض / وسنن ابى داود ج١ص٦٧ كتاب الطهارة / باب مؤاكلة الحائض .

(٢) فتح البارى بشرح صحيح البخارى ج١ ص٣٩٩ /كتاب الحيض .

(٣) جامع البيان فى تفسير القرآن ج٢ ص٢٢٤ .

(٤) فتح البارى بشرح صحيح البخارى ج١ ص٣٩٩ كتاب الحيض .

(٥) فتح القدير ج١ ص٢٢٦ .

أخرج الامام البخارى :

(عن عائشة قالت : كانت إحدانا[1] إذا كانت حائضا فأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يباشرها[2] أمرها أن تتزر فور حيضتها[3] . ثم يباشرها . قالت : وأيكم يملك اربه[4] كما كان النبى صلى الله عليه وسلم يملك اربه)[5]

(وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ) : تأكيد لحكم الاعتزال وتنبيه على أن المراد به عدم قربانهن لا عدم القرب منهن .

والمعنى : فلا تقربوهن بالوطء والمجامعة حتى يزول عنهن الدم ، وقرىء يطّهرن بتشديد الطاء أى يغتسلن ، وقرىء بسكون الطاء وضم الهاء أى حتى يطهُرن من الحيض وينقطع د مهن .[6]

---

(١) (احدانا) : احدى أزواج النبى صلى الله عليه وسلم.

(٢) (يباشرها) : المراد بالمباشرة التقاء البشرتين ، لا الجماع .

(٣) (أن تتزر فور حيضها) المراد بذلك أن تشد أزارها على وسطها ، وقد حدد الفقهاء ذلك : بما بين السرة والركبة عملا بالعرف الغالب.
(فور حيضها) أوله أو معظمه ، وقال القرطبى : فور حيضها : أى معظم صبها من فوران القدر وغليانه .

(٤) (وأيكم يملك اربه) : قيل المراد عضوه الذى يستمتع به ، وقيل حاجته ، والحاجة تسمى اربا والمراد أنه صلى الله عليه وسلم كان أملك الناس لأمره ، فلا يخشى عليه مايخشى على غيره من أن يحوم حول الحمى ، ومع ذلك فكان يباشر فوق الازار تشريعا لغيره ممن ليس بمعصوم .

(٥) صحيح البخارى بشرح فتح البارى جـ١ ص٤٠٣ كتاب الحيض / باب مباشرة الحائض.

(٦) الخازن جـ١ ص١٨١ .

(فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ) : أى فاذا اغتسلن بالماء من حيضتهن فجامعوهن فى المآتى الذى أباحه الله تعالى لكم وهو القبل .(١)

(إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ) : محبة الله تعالى ارادته ثواب العبد .

والتوبة : الرجوع عن المعصية الى الطاعة .

والمعنى : ان الله تعالى يحب التواب ويريد التوبة من الذنوب وسائر ما ارتكبوا مما نهوا عنه بما تنزهوا عن الفواحش والأقذار .

وقال الامام ابى السعود :

فى ذكر التوبة اشعار بالحاجة اليها لارتكاب بعض الناس لما نهوا عنه وتكرير التطهير لمزيد العناية به فى جميع الأحوال .(٢)

المعنى الكلى للآية الكريمة :

لقد كان تشديد اليهود فى معاملة الحائض بان لم يؤاكلوها ولم يشاربوها ولم يجالسوها على فراش ولم يساكنوها فى بيت من البيوت لاعتقادهم انها نجسة ثم تساهل النصارى وتهاونهم فى أمر حيض المرأة وقد حصل منهم أنهم يجامعونهن أثناء الحيض.

مما دعا المسلمين الأوائل ـ الصحابة رضوان الله عنهم ـ أن يسألوا النبى صلى الله عليه وسلم عن هذا الأمر ، فأمرهم الله تعالى بالاعتدال والقصد بين هذين وأعلمهم أن الحيض أذى تتأذى به المرأة والرجل على السواء لقذارته ونجاسته فاعتزال النساء فى زمن المحيض يجب ، ولكن ليس اعتزالهن فى المسكن والمأكل والمشرب بل أجاز الاسلام الاستمتاع بالمرأة وملامستها ولكن حذر من الجماع .

وأخرج الامام مسلم :- (٣)

(عن عائشة قالت : كنت أشرب وأنا حائض ثم أناوله النبى صلى الله عليه وسلم فيضع فاه على موضع فى فيشرب ، وأتعرق (٤) العرق وأنا حائض ثم أناوله النبى صلى الله عليه وسلم

---

(١) فتح القدير جـ١ ص٢٢٢ .
(٢) تفسير ابى السعود جـ١ ص٢٢٢-٢٢٣ .
(٣) صحيح مسلم بشرح النووى جـ٣ ص٢١٠ ، ٢١١ / كتاب الحيض / باب خدمة الحائض زوجها .
(٤) (التعرق العرق) : العظم الذى عليه بقية من لحم ، وقيل القدر من اللحم ، وقيل هو العظم بلا لحم .

فيضع فاه على موضع فى)(١)

فقد أباح الاسلام مجالسة المرأة الحائض ومؤاكلتها ومشاربتها وملامستها كما بينت السنة المطهرة ولكن حذر الحق تعالى من مجامعتهن فى زمن المحيض وحذر المسلم من فعله وبين أن هذا يسبب الأذى للطرفين على السواء كما نطق به القرآن الكريم واثبته الطب والأطباء فان الجماع أثناء المحيض يحدث أمراضا وأضرارا كثيرة لا حصر لها .

ثم أباح الله تعالى بعد ذلك مجامعتهن بعد الاغتسال فى المآتى الذى أحل الله تعالى لهم الاتيان فيه فى جميع الأوقات الا فى أوقات وحالات منها الاحرام - والاعتكاف - والصوم - والحيض .

والحق تعالى كتب الحلال ورغب فيه فعليهم أن يأتوا نساءهم كما أمرهم الحق عز وجل وقد قال تعالى :
(نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم وقدموا لأنفسكم واتقوا الله واعلموا انكم ملاقوه وبشر المؤمنين)(٢)

فيجب الحذر من مخالفة الله تعالى وارتكاب مانهى عنه وحذر منه . ثم أمر الله تعالى عباده المؤمنين بالرجوع اليه بالتوبة من الذنوب والآثام حين يخطئون فيعودون اليه مستغفرين مما فرطوا ووقعوا فيه من الفواحش والذنوب .(٣)

مقدار مدة الحيض

لم تبين الآية الكريمة أن هناك مدة محدده للحيض وانما هو راجع الى عادة النساء ، فالشهر الواحد يجمع فيه بين الطهر والحيض وهذا هو الأرجح .

وغالب مدة الحيض ست أو سبع وأقل مدة له يوم وليلة وأكثر مدة له خمسة عشر يوما (٤)

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووى جـ٣ ص٢١١ ، ٢١١ كتاب الحيض باب / خدمة الحائض لزوجها .
(٢) سورة البقرة آية ٢٢٣ .
(٣) تفسير ابى السعود جـ١ ص٢٢٢-٢٢٣ ، وتفسير المراغى جـ٢ ص١٥٤-١٥٥ وفى ظلال القرآن جـ٢ ص٢٤١-٢٤٢ .
(٤) تفسير القرطبى جـ٣ ص٨٣ .

الطهر الذى يباح بعده الجماع :

الآية الكريمة ذكرت أنه لا يحل لزوج اتيان زوجته فى زمن المحيض حتى تطهر ولكن اختلف العلماء فى الطهر هذا ما هو؟

(أ) قال الجمهور:

الطهر الذى يباح للزوج الجماع فيه هو الاغتسال بالماء بعد انقطاع دم الحيض .

(ب) وقال الامام ابو حنيفة وأبو يوسف ومحمد :

الطهر الذى يباح للزوج الجماع فيه بعد انقطاع الحيض لمدة عشرة أيام فيجوز للزوج حينئذ وطؤها قبل الغسل ، وان كان انقطاعه قبل العشرة الأيام لم يجز حتى تغتسل .

(جـ) وقال مجاهد - وعكرمة وطاوس :

الطهر الذى يباح للزوج الجماع فيه هو انقطاع الدم ولكن بأن تتوضأ كوضوئها للصلاة .(١)

ولكن الأرجح فى الطهر الذى يباح للزوج اتيان زوجته فيه هو ما قال به الجمهور وهو الاغتسال بالماء .

وقد استدلوا بأن الله تعالى علق الحكم على شرطين :-

أحدهما :- انقطاع الدم

وهو قوله تعالى (حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ) .

الثانــى :- الاغتسال بالماء .

وهو قوله (فَإِذَا تَطَهَّرْنَ) . أى يفعلن الغسل بالماء .(٢)

وان ظاهر اللفظ يدل على أن المراد به الطهارة الحسية وهى الاغتسال بالماء .

---

(١) الجامع لأحكام القرآن جـ٣ ص٨٨ ، وتفسير آيات الأحكام للسايس جـ١ ص١٢٨ .
(٢) الجامع لأحكام القرآن جـ٣ ص٨٩ .

(٧) السؤال عما أحل لهم :

قال تعالى :

(يسألونك ماذا أحل لهم قل أحل لكم الطيبات وما علمتم من الجوارح مكلبين تعلمونهن مما علمكم الله فكلوا مما أمسكن عليكم واذكروا اسم الله عليه واتقوا الله إن الله سريع الحساب)(١)

التمهيد للآية الكريمة :

هذا السؤال من أسئلة المسلمين الأوائل - الصحابة رضوان الله عليهم للنبى صلى الله عليه وسلم عما أحل لهم من المطعومات بعد ما سمعوا الآيات المبينة ما حرم الله عليهم منها كما قال تعالى :-

(حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع إلا ما ذكيتم وما ذبح على النصب وأن تستقسموا بالأزلام ذلكم فسق اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا فمن اضطر فى مخمصة غير متجانف لاثم فان الله غفور رحيم) (٢)

حيث كانوا على حذر من المخالفة ويخشون الوقوع فى المحظور الذى كانوا عليه فى الجاهلية فدعاهم هذا الى السؤال عما أحل لهم .

قال الامام ابن كثير :

لما ذكر الله تعالى ما حرمه على المسلمين من الخبائث الضارة المتناولة اما فى البدن أو فى الدين أو فيهما وما استثناه فى حالة الضرورة قال بعدها :

(يسألونك ماذا أحل لهم قل أحل لكم الطيبات) (٣)

---

(١) سورة المائدة آية ٤ .

(٢) سورة المائدة آية ٣ .

(٣) سورة المائدة آية ٤ .

وكما فى سورة الأعراف فى صفة محمد صلى الله عليه وسلم أنه يحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث قال تعالى :(١)

(الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والاغلال التى كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه اولئك هم المفلحون)(٢)

وقد ذكر فى سبب نزول الآية الكريمة :-

أ - ما أخرجه الامام الحاكم فى المستدرك :-

(عن أبى رافع قال : أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتل الكلاب فقال : الناس يارسول الله ما أحل لنا من هذه الأمة التى أمرت بقتلها .

فأنزل الله تعالى :

(يسألونك ماذا أحل لهم قل أحل لكم الطيبات وما علمتم من الجوارح مكلبين ..) الآية(٣)

هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه .(٤)

ب - وذكر فى سبب النزول أيضا :

ما أخرجه ابن أبى حاتم عن سعيد بن جبير : أن عدى بن حاتم ، وزيد المهلهل الطائيين سألا رسول الله صلى الله عليه وسلم : فقالا : يارسول الله انا قوم نصيد بالكلاب والبزاة وان كلاب آل ذريح تصيد البقر والحمير والظباء وقد حرم الله الميتة ، فماذا يحل لنا منها ؟

فنزلت الآية (٥)

---

(١) تفسير ابن كثير جـ٢ ص٤٩٣-٤٩٤ .
(٢) سورة الأعراف آية ١٥٧ .
(٣) سورة المائدة آية ٣ .
(٤) المستدرك على الصحيحين جـ٢ ص٣١١ كتاب التفسير .
(٥) لباب النقول فى أسباب النزول ص٨٧-٨٨ / وأسباب النزول للواحدى ص١٢٨ .

ونقل الحديث السابق الامام ابن كثير والامام الشوكانى[1]
والأرجح فى سبب نزول الآية الكريمة هو سؤال عدى بن حاتم وزيد بن المهلهل الطائيين وقد سماهما رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد الخير .

ايضاح الآية الكريمة :

(يسألونكَ ماذا أُحِلَّ لَهُم) : يسألك أصحابك يامحمد ما الذى أحل لهم أكله فى المطاعم والمآكل بعد بيان ماحرم عليهم .

أو ما أحل لهم من المطاعم اجمالا ومن الصيد .[2]

(قُل أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ) : قل يامحمد لهم أحل لكم الطيبات أى ما يستلذ أكله ويستطاب مما أحله الله لعباده .

قال الامام ابن حجر العسقلانى فى الفتح :-

الطيبات جمع طيبة ، وهى تطلق على المستلذ مما لاضرر فيه ، وعلى النظيف وعلى مالا أذى فيه ، وعلى الحلال .[3]

(وَماعلَّمتم مِّنَ الجَوارِح) : الواو حرف عطف فهى معطوفة على الطيبات أى أحل لكم الطيبات وأحل لكم صيد ما علمتم من الجوارح وهى الكواسب من السباع والبهائم والطير وسميت جوارح لأنها تجرح الصيد غالبا وكسبها صاحبها أقواتهم فى الصيد[4]

قال الامام ابن جرير الطبرى :

كل ما صاد من الطير والسباع فمن الجوارح وان صيد جميع ذلك حلال اذا صاد بعد التعليم لأن الله تعالى عم بقوله :

(وَمَا عَلَّمتم مِّنَ الجَوارِحِ مُكَلِّبِينَ) أى كل جارحة ولم يخصص منها شيئا فكل جارحة

---

(١) تفسير ابن كثير جـ٢ ص٤٩٤ وفتح القدير جـ٢ ص١٦ .
(٢) جامع البيان فى تفسير القرآن جـ٦ ص٥٧ المجلد الرابع .
(٣) فتح البارى بشرح صحيح البخارى جـ٩ ص٥١٨ كتاب الأطعمة .
(٤) تفسير ابى السعود جـ٣ ص٨ .

كانت بالصفة التى وصف الله من كل طائر وسبع فحلال أكل صيدها .(١)

(مُكَلِّبِينَ) : معلمين اياه الصيد ، والمكلب مؤدب الجوارح ومضريها بالصيد ، مشتق من الكلب لأن التأديب يكون أكثر فيه وأثر ولأن كل سبع يسمى كلبا .(٢)

(تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ) : أى تعلمونهن وتربوهن من الحيل وطرق التعليم والتأديب " مما علمكم الله " اما بالالهام منه تعالى ، أو بالعقل الذى خلقه الله تعالى للانسان وقيل : مما عرفكم الله تعالى تعلمون الجوارح من أتباع الصيد بأن يسترسل بارسال صاحبه وينزجر بزجره ، وينصرف بدعائه ، ويمسك عليه الصيد ولا يأكل منه .

(فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ) : الفاء للتفريع وفيه بيان حل أكل صيد الجوارح المتعلمة (مِمَّا) للتبعيض لأن بعض الصيد لا يؤكل كالجلد والعظم أى كلوا بعض ما أمكن لكم .(٣)

(وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ) : سموا عليه باسم الله تعالى عند ارساله ، أو لما أمسكن بمعنى سموا عليه اذا ادركتم ذكاته (٤) .

أخرج الامام البخارى :

(عن عدى بن حاتم قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت : إنا قوم نصيد بهذه الكلاب ، فقال : إذا أرسلت كلابك المعلمة(٥) وذكرت اسم الله فكل مما أمسكن عليك(٦) وان قتلن ، الا أن يأكل الكلب ، فانى أخاف أن يكون إنما امسكه على نفسه ، وان خالطها كلاب من غيرها فلا تأكل)(٧)

---

(١) جامع البيان فى تفسير القرآن جـ٦ ص٥٨ .
(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل جـ٢ ص١٣٦ .
(٣) روح المعانى جـ٦ ص٦٣ .
(٤) أنوار التنزيل وأسرار التأويل جـ٢ ص١٣٧ .
(٥) المراد بالمعلمة التى اذا أغراها صاحبها على الصيد طلبته واذا زجرها انزجرت ، واذا أخذت الصيد حبسته على صاحبها .
(٦) (فكل مما أمسكن عليك) أى صدن لكم ، وجعل الشارع أكله منه علامة على أنه أمسك لنفسه لا لصاحبه فلا يعدل عن ذلك ، وان الذى يمسكه من غير ارسال لا يباح أكله .
(٧) صحيح البخارى بشرح فتح البارى جـ٩ ص٦٠ كتاب الصيد باب اذا الكلب وقوله تعالى : (يسألونك ماذا أحل لهم ...) .

(وَاتقوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الحِسَابِ) : أمروا بمخافة الله تعالى فيما يأمرهم به وينهاهم عنه ، والحذر أن يقدموا على خلافه بأكل صيد الجوارح غير المعلمة أو ما لم يمسكن عليهم في صيدها أو ما امسكته الجوارح لأنفسها ، أو أكل مالم يسم الله عليه من الصيد والذبائح فان الله حرمه عليكم فاجتنبوه ، وخوفهم الحق تعالى ان فعلوا ما نهوا عنه في ذلك فهو سريع في اتيان حسابه أي يؤاخذكم الله على جميع مافعلتم .(١)

المعنى الكلي للآيـــة :

لقد وضح الحق تعالى للمؤمنين ماحرم عليهم من الخبائث فسألوا النبي صلى الله عليه وسلم عما أحل لهم من المطاعم اجمالا ، ومن الصيد ، ولذلك لأنهم كانوا حذرين من مخالفة الوقوع فيما كان عليه أهل الجاهلية وكانوا حريصين على الالتزام بكل مايقرره الاسلام لهم ، ويرضاه سبحانه وتعالى لهم ، فأعلمهم جل جلاله على لسان رسوله محمد صلى الله عليه وسلم أن كل ما يستطاب ويستلذ به فهو حلال لهم . وأحل لهم أيضا صيد ما علموا من الجوارح - أي الكواسب بشرط أن تكون معلمة - اذا أرسلها صاحبها وأغراها بالصيد استرسلت ، واذا زجرها انزجرت ، واذا أخذت الصيد حبسته لصاحبها ولم تأكل منه ، بشرط ذكر اسم الله تعالى عليه .

أخرج الامام البخاري بسنده :

(عن عدى بن حاتم رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : اذا أرسلت كلبك وسميت فأمسك وقتل فكل ، وان أكل فلا تأكل ، فانما أمسك على نفسه واذا خالط كلا با لم يذكر اسم الله عليها فأمسكن فقتلن فلا تأكل ، فانك لا تدرى أيها قتل . واذا رميت الصيد فوجدته بعد يوم أو يومين ليس به الا أثر سهمك فكل وان وقع في الماء فلا تأكل)(٢)

---

(١) جامع البيان في تفسير القرآن جـ٦ ص٦٤ .

(٢) صحيح البخاري بشرح فتح الباري جـ٩ ص٦١٠ كتاب الصيد والذبائح / باب الصيد اذا غاب عنه يومين أو ثلاثة .
قال الامام ابن حجر : ومفهوم أنه وان وجد فيه أثر غير سهمه لا يأكل .

وان التسمية شرط على الذاكر وليس على الناسي كما نقل عن ابن عباس رضى الله عنهما (اذا أرسلت جوارحك فقل بسم الله وان نسيت فلا حرج) (١)

ثم يذكر الحق تعالى المسلمين بنعمته عليهم - فى هذه الجوارح المكلبة المعلمة المدربة على الاصطياد فقد علموها هذا ما علمهم الحق تعالى ووهب لهم من نعمة العقل والادراك فهى مسخرة لهم ثم هى من نعم الله تعالى للانسان ثم انه تعالى يرد المسلمين فى نهاية الآية الكريمة الى الخوف منه تعالى وتقواه فى السر والعلانية فيما يأمرهم وينهاهم عنه ، والحذر من الاقدام على مخالفته فى ذلك فهو يحيط بالجميع ويعلم بهم ولا يخفى عليه منهم شئ فيجازيهم ويحاسبهم على كل ما عملوه .(٢)

---

(١) جامع البيان فى تفسير القرآن جـ٦ ص٦٤ .

(٢) جامع البيان فى تفسير القرآن جـ٦ ص٥٧-٦٤ ، فتح القدير جـ٢ ص١٢-١٤ .

(٨) السؤال عن الأنفال :

قال تعالى :

(يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله ان كنتم مؤمنين)[1]

التمهيد للآية الكريمة :-

وجه المسلمون الأوائل - الصحابة رضوان الله عليهم للنبى صلى الله عليه وسلم سؤالهم عن الأنفال - الغنائم التى غنمها المسلمون فى جهادهم فى سبيل الله تعالى . بعد ماثار التنازع والجدال بين أهل بدر حول تقسيمها والله تعالى حكم بها - الأنفال - لله عز وجل - ولرسوله محمد صلى الله عليه وسلم وحثهم على تقواه وطاعته جل جلاله وطاعة رسول محمد صلى الله عليه وسلم ، وأخذهم الله تعالى بالتربية الاسلامية قولا وعملا وكان هذا من فضل الله تعالى عليهم ورحمته جل جلاله بهم ، وقد ورد فى سبب النزول الآية الروايات التالية :

أخرج الامام الحاكم بسنده :

عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه قال :

فينا يوم بدر نزلت كان الناس على ثلاث منازل ، ثلث يقاتل العدو وثلث يجمع المتاع ويأخذ الأسارى ، وثلث عند الخيمة يحرس رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما جمع المتاع اختلفوا فيه فقال الذين جمعوه وأخذوه قد نفل رسول الله صلى الله عليه وسلم كل امرئ منا ما أصاب فهو لنا دونكم ، وقال : الذين يقاتلون العدو ويطلبونه ، والله لولا نحن ما أصبتموه فنحن شغلنا القوم ، وقال الحرس والله ما أنتم بأحق به منا ، لقد رأيتنا أن نقاتل العدو حين منحنا الله أكتافهم ان نأخذ المتاع حين لم يكن أحد يمنع دونه ولكنا خفنا غرة العدو على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقمنا دونه ، قال : فانتزعها الله من أيدينا فجعله الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقسمه على السواء لم يكن

---

(١) سورة الأنفال آية ١ .

فيه خمس فكان فيه تقوى الله وطاعته وطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم واصلاح ذات البين هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه .(١)

وقال ابن حجر العسقلانى فى سبب نزولها :

(وروى ابو داود والنسائى وابن حبان من طريق داود بن ابى هند عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : "لما كان يوم بدر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مَنْ صنَع كذا فلَه كذا (٢) الحديث .

فنزلت الآية (يسألونكَ عَنِ الأنفالِ ......) الآية .

وأخرج الحاكم بسنده :

(عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مَنْ فعَلَ كذا وكذا أو أتى مكان كذا وكذا فله كذا وكذا فتسارع الشبان الى ذلك وثبت الشيوخ تحت الرايات فلما فتح الله عليهم جاء الشبان يطلبون ما جعل لهم ، وقال الشيوخ : انا كنا ردءا لكم وكنا تحت الرايات فنزلت الآية (٣)

وأخرج الامام مسلم بسنده :

(عَن مصعب بن سَعدٍ عَن أبيه قالَ : أخَذَ أبي مِنَ الخمس سَيفاً فأتَى به النبىَّ صَلَّى اللـه عَليْه وسلم فقال : هَبْ لى هذا السَّيفَ فأبَى

فأنزلَ الله عز وجل (يسألُونَكَ عَنِ الأنفَالِ قُل الأنفال لله والرسول ....) الآية (٤)

---

(١) المستدرك على الصحيحين جـ٢ ص٣٢٦ كتاب التفسير / تفسير سورة الأنفال .

(٢) فتح البارى شرح صحيح البخارى جـ٨ ص٣٠٦ كتاب التفسير / باب قوله (يسألونك عن الأنفال ....) الآية .
(سنن أبى داود جـ٣ ص٧٧ كتاب الجهاد باب النفل .

(٣) المستدرك على الصحيحين جـ٢ ص٣٢٦ كتاب التفسير / تفسير سورة الأنفال .

(٤) صحيح مسلم بشرح النووى جـ١٢ ص٥٤ / باب الأنفال .

وأخرج أيضا :-
(عن مصعب بن سعد عن أبيه قال : نزلت في أربع آيات أصبت سيفا[1] فأتى به النبي صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله نفلنيه فقال ضعه ثم قام فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : ضعه من حيث أخذته ثم قام فقال : نفلنيه يارسول الله فقال : ضعه فقام فقال: يارسول الله نفلنيه أأجعل كمن لا غناء[2] له فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: ضعه من حيث أخذته قال فنزلت هذه الآية .

(يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول . . . .) الآية [3]

وأخرج الامام الترمذي والامام أبو داود في سننهما :-
(عن مُصعَب بن سَعدٍ عن أبيه قال : لمّا كانَ يومَ بدرٍ جئتُ بسيفٍ فقلتُ : يارسول اللهِ انَّ اللهَ قد شفى صَدرِي مِنَ المشركِينَ أو نحوَ هذا هَبْ لي هذا السَّيفَ ، فقالَ : هذا ليسَ لي ولاَ لك ، فقلتُ : عسَى أن يُعطَى هَذا مَنْ لا يُبلِي بَلائِي ، فجاءني الرَّسُول فقال : سألتني وليسَ لي وانَّه قدْ صارَ لِي وهُوَ لكَ .

قال فنزلت الآية (يسألُونكَ عِنَ الأنفالِ . . . . . .)) الآية [4]
وفي نهاية رواية الامام أبو داود قال :
ثم قرأ (يسألونكَ عنَ الأنفالِ . . . . .) الآية [5]
وقال الامام أبو داود قراءة ابن مسعود رضي الله عنه (يسألونكَ النفل)[6]

فالروايات السابقة تصور لنا الجو الذي نزلت فيه الآيات من سورة الأنفال .

---

(١) وقال الامام النووي : لم يذكر هنا من الأربع الا هذه الواحدة ، وقد ذكر الامام مسلم الأربع بعد هذا في كتاب الفضائل وهي بر الوالدين ، وتحريم الخمر، ولا تطرد الذين يدعون ربهم ، وآية الأنفال .
(٢) وهو الكفاية .
قال القاضي : يحتمل أن يكون هذا الحديث قبل نزول الآية واباحتها وقال هذا الصواب ، ولأنه أعطاه السيف بعد نزول الآية .
(٣) صحيح مسلم بشرح النووي جـ١٢ ص٥٤ / باب الأنفال .
(٤) سنن الترمذي جـ٤ ص٣٣٣ / أبواب التفسير / وفي سورة الأنفال .
(٥،٦) سنن أبي داود جـ٣ ص٧٧-٧٨ كتاب الجهاد / باب النفل .

قال الامام سيد قطب :

قد يدهش الانسان حين يرى أهل بدر يتكلمون عن الغنائم وهم اما من المهاجرين السابقين الذين تركوا وراءهم كل شئ وهاجروا الى الله تعالى بعقيدتهم لا يلوون عن شئ من أعراض هذه الحياة الدنيا .(١)

واما من الأنصار الذين آووا المهاجرين ونصروهم وشاركوهم فى الأموال والديار لا يبخلون بشئ من أعراض هذه الحياة الدنيا كما قال تعالى :-

(وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالايمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)(٢)

ثم قال الامام سيد قطب :-

نجد بعض التفسير لهذه الظاهرة فى الروايات كانت الأنفال مرتبطة بحسن البلاء فى المعركة وكانت شهادة على حسن البلاء ، والناس حينئذ حريصون على هذه الشهادة من رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن الله تعالى فى أول معركة فى الاسلام يشفى فيها صدورهم من المشركين وغطى هذا الحرص وغلب على أمر آخر نسيه من تكلموا فى الأنفال ثم ذكرهم الله تعالى به وردهم اليه وهو ضرورة التسامح فيما بينهم فى التعامل واصلاح ذات بينهم وأخذهم سبحانه بالتربية الاسلامية قولا وعملا ونزع أمر الأنفال منهم ورد الى رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم يقسمه كما علمه ربه عز وجل .(٣)

وهذا رأى سديد .

---

(١) فى ظلال القرآن جـ٣ ص١٤٧٢ .
(٢) سورة الحشر آية ٩ .
(٣) فى ظلال القرآن جـ٣ ص١٤٧٢ .

ايضاح الآية الكريمـــــة :

" يسألونك عن الأنفال " : يسألك يا محمد أصحابك عن الغنائم التى اغتنمتها أنت وأصحابك يوم بدر لمن هى ؟ (١)

قال الامام الخازن :

سؤال استفتاء فى أول تشريع الغنيمة .(٢)

والأنفال :-

جمع نفل أى غنيمة .

والنفل الزيادة على الشئ ، ومنه صلاة التطوع تسمى نافلة .

قال الامام أبو السعود :

النفل الغنيمة سميت به لأنها عطية من الله تعالى زائدة على ما هو أصل الأجر فـــــى الجهاد من الثواب الأخروى ويطلق على ما يعطى بطريق التنفيل زيادة على السهـــــم من المغنم .(٣)

وقال الامام الشوكانى :

وقد ذهب جماعة من الصحابة والتابعين الى أن الأنفال كانت لرسول الله صلى الله عليـــه وسلم خاصة ليس لأحد فيها شئ حتى نزل قوله (٤)

(واعلموا إنما غنمتم من شئ فإن لله خمسه وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكـــين وابن السبيل ان كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والله على كل شئ قدير)(٥)

---

(١) جامع البيان فى تفسير القرآن جـ٩ ص١١٤ .

(٢) تفسير الخازن جـ٣ ص٣ .

(٣) تفسير أبى السعود جـ٤ ص٢ .

(٤) فتح القدير جـ٢ ص٢٨٣ .

(٥) سورة الأنفال آية ٤١ .

وقد اختلفت الأقوال فى الأنفال ماهى ؟ :-

(أ) فقيل : ان الأنفال التى سأل عنها الصحابة رضوان الله عليهم - ووقع الخلاف والتنازع بينهم فيها وحصل التنافس عليها هى الغنائم أى الأموال المأخوذة من الكفار قهرا كما دلت الآية الكريمة (يَسألُونَكَ عَنِ الأَنفَالِ قُلِ الأَنفَالُ للهِ . . .) الآية .

(ب) وقيل : ان الأنفال هى ماشذ عن المشركين الى المسلمين من غير قتال سواء كان دابة أو عبدا أو متاعا فهو الى النبى صلى الله عليه وسلم يضعه حيث يشاء .

(ج) وقيل : ان الأنفال هى الخمس الذى جعله الله لأهل الخمس كما قال تعالى : (واعلَموا إنَّما غَنمتم من شيءٍ فَانَّ للهِ خُمُسَهُ وللرسولِ ولِذِى القُربى واليَتامى والمساكينِ وابنِ السَّبيلِ إن كُنتم آمنتم باللهِ وما أنزلنا على عَبدِنا يومَ الفُرقانِ يَومَ التقى الجَمعانِ واللهُ على كلِّ شيءٍ قديرٌ)(١)

(د) وقيل : ان الأنفال هى السلب وهو الذى يدفع الى الغازى زائدا على سهمه من المغنم ترغيبا له فى القتال .

ونقل الامام الفخر الرازى ماقاله القاضى :

كل هذه الوجوه تحتمله الآية وليس فيها دليل على ترجيح بعضها على بعض .

ثم رجح : أن النفل هو ما يعطاه المجاهد زائدا على سهمه على ما يستحقه.(٢)

وقال الامام الطبرى :

وأولى هذه الأقوال فى معنى الأنفال قول من قال هى زيادات يزيدها الامام بعض الجيش أو جميعهم أما من سلبه على حقوقهم من القسمة واما مما وصل اليه بالنفل أو بعض أسبابه ترغيبا له وتحريضا لمن معه من جيشه على مافيه صلاحهم وصلاح المسلمين أو صلاح أحد الفريقين .

---

(١) سورة الأنفال آية ٤١ .

(٢) التفسير الكبير جـ ١ ص ١١٦ .

ويدخل فيه ماقال ابن عباس : من أنه الفرس والدرع ونحو ذلك .
ويدخل فيه ماقاله عطاء من أن ذلك ماعاد من المشركين الى المسلمين من عبد أو فرس لأن ذلك أمره الى الامام اذا لم يكن ما وصلوا اليه لغلبة وقهر يفعل مافيه صلاح أهل الاسلام .

وقد يدخل فيه ما غلب عليه الجيش بقهر .
وقال : انه قال : أولى الأقوال بالصواب لأن النفل فى كلام العرب انما هو الزيادة على الشئ .(١)

(قُلِ الأَنفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ) : قل لهم يامحمد ان حكمها مختص بالله تعالى والرسول يأمره الله تعالى بقسمتها على ما تقتضيه حكمته ، وليس الأمر فى قسمتها مفوض الى رأى أحد .

واختلف فى كون الآية محكمة أو منسوخة فقيل :-

(أ) انها محكمة لم ينسخها شئ ، والآية الكريمة ذكرت اجمال حكم الأنفال ثم وضحت مصارفها فى آية الخمس قوله تعالى :
(وَاعْلَمُوا إِنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ . . . .) الآية (٢)

ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقسمها حسب حكم الله تعالى وهذا المعنى باق ولا يمكن ان يصير منسوخا .

(ب) ان الآية الكريمة ناسخة من وجه ومنسوخة من وجه آخر وذلك لأن الغنائم كانت حراما على الأمم السابقة من قبلنا فى شرائع انبيائهم ثم أباحها الله تعالى لهذه الأمة الاسلامية وجعلها ناسخة من قبلنا ثم نسخت بآية الخمس قوله تعالى :
(وَاعْلَمُوا إِنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ . . . . . .) الآية (٣)

---

(١) جامع البيان فى تفسير القرآن جـ٩ ص١١٤ .
(٢) الخازن جـ٣ ص٣-٤ ، وأحكام القرآن للسايس جـ٣ ص٤ ، والتفسير الكبير جـ٥ ص١١٦ .
(٣) سورة الأنفال آية ٤١ .

(جـ) ان الآية الكريمة منسوخة نسخها الله تعالى بآية الخمس قوله تعالى :
(واعلموا إنما غنمتم من شيء فإن لله خمسه وللرسول . . . .) [١]

ولكن الأرجح أن الآية الكريمة محكمة وحكمها باق والله تعالى بينها في آية الخمس السابقة .

(فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم) أمرهم بتقوى الله تعالى في جميع الأحوال واصلاح الحال فيما بينهم بترك المنازعة والمخالفة وتسليم الأمر لله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم (وأطيعوا الله ورسوله) : التزموا ما يأمركم به وينهاكم عنه .[٢]

(إن كنتم مؤمنين) : إن كنتم كاملي الايمان فامتثلوا هذه الأوامر الثلاثة أو هذه الخصال الثلاث طاعة الأوامر واتقاء المعاصي ، واصلاح ذات البين بالعدل والاحسان .[٣]

المعنى الكلي للآية الكريمة :

حينما وقع الخلاف بين المسلمين في غنائم بدر - سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن تكون ومن هم المستحقون لها ؟ فأمر الله تعالى رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم أن يخبرهم أن حكمها لله تعالى ويقسمها رسوله صلى الله عليه وسلم حسب أمر الله تعالى فلا رأى لأحد فيها ، وان الآية الكريمة كان فيها اجمال ثم وضح وبين في قوله تعالى :
(واعلموا إنما غنمتم من شيء . . . .) الآية[٤]
ثم أمرهم الله في ختام الآية الكريمة وحثهم على تقواه وطاعته تعالى وطاعة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم وامتثال ما أمرا به واجتناب ما نهيا عنه واصلاح ذات البين بالعدل والاحسان لتدوم الألفة والمحبة فيما بينهم واذا تحققت تلك الصفات فيهم فانما هم المؤمنون حقا والكاملون المخلصون في ايمانهم .
فهذه الآية الكريمة بينت ووضحت حكم الأنفال وأسس نجاح الأمة الاسلامية وبعض صفات المؤمنين الكاملين في الايمان .[٥]

---

(١) سورة الأنفال آية (٤١) .
(٢) تفسير الخازن جـ٣ص٤ .
(٣) تفسير أبي السعود جـ٤ ص٤ .
(٤) سورة الانفال آية (٤١) .
(٥) تفسير ابى السعود جـ٤ص٢-٣ ، والخازن جـ٣ص٣-٤ وظلال القرآن جـ٣ص١٤٧١ .

(٩) الاستفتاء في النســاء :

قال تعالى :

(وَيستفتونكَ في النساء قل اللَّهُ يُفتيكم فيهن وما يتلى عليكم في الكتاب في يتامى النسـاء اللاتي لا تؤتونهن ما كتب لهن وترغبون أنْ تنكحوهن والمستضعفين من الولدان وأن تقوموا لليتامى بالقسط وما تفعلوا من خير فان اللّه كان به عليما)(1)

التمهيد للآية الكريمـة :

لقد كان الانتقال من الجاهلية الى الاسلام له الأثر العميق في نفوس المسلمين الأوائل ـ الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ فأصبحوا يشفقون من كل أمر كان متداولا بينهم في الجاهلية فيه ظلم وجور وخاصة مع اليتامى فخوفهم من الله تعالى جعلهم يطلبون معرفة حكم الاسلام العادل في كل صغيرة وكبيرة من شئون حياتهم وكل مايعرض عليهم.

فتوجهوا بالاستفتاء للنبي صلى الله عليه وسلم وطلبوا منه بيان حكم الاسلام في شأن النساء واليتامى الذين كانوا يهضمون حقوقهم في الميراث والصداق وغيره .(2)

وقد ذكر في سبب نزول الآية الكريمة الروايات التالية :-

أخرج الامام البخاري بسنده :

(عن ابن شهاب قال : أخبرني عروة بن الزبير أنه سأل عائشة عن قول اللّه تعالى :

(وإن خفتم(3) أن لا تقسطوا(4) في اليتامى ....) الآية (5)

---

(1) سورة النساء آية ١٢٧ .

(2) في ظلال القرآن جـ٢ ص ٧٦٥-٧٦٦ .

(٣، ٤) (معنى (خفتم) : ظننتم ، ومعنى (تقسطوا) تعدلوا ، وهو من أقسط يقال قسط اذا جار وأقسط اذا عدل . وقيل أزال القسط .

(5) سورة النساء آية ٣ .

فقالت : يا ابن أختى ، هذه اليتيمة تكون فى حجر وليها تشركه فى ماله ويعجبه ماله وجمالها ، فيريد وليها أن يتزوجها بغير أن يقسط فى صداقها فيعطيها مثل ما يعطيها غيره ، فنهوا عن أن ينكحوهن إلا أن يقسطوا لهن ويبلغوا لهن أعلى سنتهن فى الصداق ، فأمروا أن ينكحوا ما طاب لهم من النساء سواهن . قال عروة : قالت عائشة : وإن الناس استفتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذه الآية ، فأنزل الله (ويستفتونك فى النساء قل الله يفتيكم ....) الآية (١)

قالت عائشة : وقول الله فى آية أخرى (وترغبون أن تنكحوهن) (٢) رغبة أحدكم عن يتيمته حين تكون قليلة المال ، والجمال ، قالت عائشة : فنهوا أن ينكحوا عن من رغبوا فى ماله وجماله فى يتامى النساء إلا بالقسط ، من أجل رغبتهم عنهن إذا كن قليلات المال والجمال .(٣)

---

(١) ليس فى ذلك آية أخرى وانما فى نفس الآية وهى (ويستفتونك فى النساء ...) ١٢٧ النساء .

(٢) وترغبون أن تنكحوهن ، رغبة أحدكم عن اليتيمة) قال ابن حجر: فيه تعيين أحد الاحتمالين : وقد تأوله سعيد بن جبير على المعنيين فقال : نزلت فى الغنية والمعدمة ، والمروى عن عائشة هنا أوضح فى أن الآية نزلت فى الغنية ، وهذه الآية نزلت فى المعدمة فنهوا عن نكاح المرغوب فيها لجمالها ومالها لأجل زهدهم فيها اذا كانت قليلة المال والجمال ، فينبغى أن يكون نكاح اليتيمتين على السواء فى العدل .

(٣) صحيح البخارى بشرح فتح البارى جـ٨ ص٢٣٩-٢٤١ كتاب التفسير / باب (وان خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى) واخرجه أيضا الامام مسلم فى كتاب التفسير جـ١٨ ص ١٥٤-١٥٥ .

وأخرج الامام البخارى بسنده :-

(عن عائشة رضى اللّهَ عنها :

(وَيستفتونكَ فى النساء قُل اللّهَ يُفتيكم فيهن - الى قوله وترغبون أن تَنكحوهن)

قالت عائشة : " هو الرجل تكون عندَه اليتيمة هو وليها ووارثها فأشركته فى ماله حتى العذق ، فيرغب أن ينكحها ويكره أن يُزوّجها رجلاً فيشركه فى ماله بما شركته فيعضلها[1] فنزلت هذه الآية[2]

ونقل الامام ابن جرير عن مجاهد قال :

(كان أهل الجاهلية لا يورثون النساء ولا الصبيان شيئا ، وكانوا يقولون لا يغزون ولا يغتنمون خيرا ، ففرض الله لهن الميراث حقا واجبا .[3]

فلا مانع من أن تكون الآية مما استفتى فيه - طلب حكم ما أشكل عليه من المسائل عن ميراث النساء والصبيان اليتامى - الأولاد اليتامى الصغار لأن أهل الجاهلية كانوا يحرمونهم من الميراث . . . . وكذلك فى صداق اليتامى الذين كانوا يهضمون حقوقهم من الصداق اما رغبة فيهن أو رغبة عنهن فنهوا عن ذلك .

---

(١) صحيح البخارى بشرح فتح البارى جـ٨ ص٢٦٥ كتاب التفسير / باب (ويستفتونك فى النساء . . .) الآية .
(اليتيمة) : التى مات أبوها .
(وليها) أى الذى يلى مالها / العذق : النخلة .
(فيرغب أن ينكحها) : يرغب فى نكاحها فهى التى يعجبه مالها وجمالها فلايزوجها لغيره ويريد أن يتزوجها بدون صداق مثلها .

(٢) سورة النساء آية ١٢٧ .
ونقل الامام ابن حجر ، ماروى عن ابن حاتم من طريق السدى قال : كان لجابر بنت عم دميمة ولها مال ورثته عن أبيها ، وكان جابر يرغب عن نكاحها ولا ينكحها خشية أن يذهب الزوج بمالها فسأل النبى صلى الله عليه وسلم عن ذلك فنزلت .

(٣) جامع البيان فى تفسير القرآن جـ٥ ص١٩١-١٩٢ .

فلهذا طلب الصحابة ـ رضوان الله عليهم من النبى صلى الله عليه وسلم أن يبين لهم هذا الحكم ليربطوا واقع حياتهم بالمنهج الاسلامى لا زالة بعض رواسب الجاهلية الأولى .

ايضاح الآية الكريمة :

(وَيَسْتَفْتُونَكَ فِى النِّسَاءِ) : أى يطلبون الفتيا أو الفتوى أى جواب السؤال عن الحادثة التى تشكل على السائل .

وهى مشتقة من الفتى ، ومنه الفتى وهو الشاب القوى .(١)

أى : يطلب ويسألك يا محمد أصحابك أن تأتيهم بالجواب عن أمر النساء والواجب لهن فى الميراث ومن الصداق .

(قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ)

(قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ) قل يا محمد الله تعالى يبين لكم حكم ما سألتم عنه بالقرآن الذى يتلى عليكم ويفتيكم فيهن ـ أى فى النساء .

والمتلو عليكم فى القرآن فى معنى اليتامى قوله تعالى(٢)

(وإنْ خِفْتُمْ أَ لاَّ تُقْسِطُوا فِى الْيَتَامَى ....) الآية(٣)

(وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِى الْكِتَابِ فِى يَتَامَى النِّسَاءِ اللاَّتى لاَ تُؤْتُونَهُن مَا كُتِبَ لَهُنَّ) :

ان الله تعالى يبين لكم ما أشكل عليكم فى النساء بما أنزل فى القرآن عليكم ، وقيل المراد بالكتاب اللوح المحفوظ .

قال الامام الخازن :

والغرض منه تعظيم حال هذه الآية التى تتلى عليكم ، وانها فى اللوح المحفوظ أن العدل والانصاف فى حقوق اليتامى من أعظم الأمور عند الله تعالى التى تجب مراعاتها وأن المخل بها ظالم(٤)

---

(١) فتح البارى بشرح صحيح البخارى جـ٨ ص٢٦٥ كتاب التفسير / باب قوله (يستفتونك فى النساء ...) الآية .
(٢) فتح القدير جـ١ ص٥٢٠ .
(٣) سورة النساء آية ٣ .
(٤) الخازن جـ١ ص٥٠٣ .

(فِي يَتَامَى النِّسَاءِ): النساء اليتامى ، وقيل فى يتامى أولاد النساء .

(اللَّاتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ) : مافرض لهن من الميراث والصداق .

(وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ) : أى ترغبون فى نكاحهن لما لهن وجمالهن .

أو ترغبون عن نكاحهن لقبحهن ودمامتهن ورغبة منكم فى أموالهن فتمسكوهن[1] .

(وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ) : عطف على يتامى النساء مايتلى عليكم فى يتامى النساء وفى المستضعفين من الولدان أى الصغار من أولاد الميت أمرهم أن يؤتوهم حقوقهم من الميراث وأمرهم أن يقسطوا فيهم فيعدلوا ويعطوهم فرائضهم على ماقسم الله لهم فى كتابه وقد كان أهل الجاهلية لا يورثون النساء ولا الأولاد الصغار اليتامى كما سلف[2]

(وَأَن تَقُومُوا لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ) : بالعدل فى نصيبهن فى الميراث والصداق[2]

قال الامام أبو السعود :

الخطاب للأولياء والأوصياء على اليتامى[3]

ولكن أرجح أن الخطاب عام للأمة الاسلامية بأن يقوموا على أمر اليتامى وتوفية حقوقهم بالعدل فى الميراث والصداق .

(وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا) : أى فى الحقوق المذكورة حسبما أمرتم به أو تفعلوا من خير على الاطلاق فانه تعالى يجازيكم عليه .[3]

المعنى الكلى للآية الكريمة :

لقد كان هضم الحقوق الانسانية سائدا فى الجاهلية الأولى فكان البعض منهم يحرمون من الميراث النساء وكذلك الأولاد الصغار اليتامى .

فكانت اليتيمة تلقى من وليها الطمع والغبن ـ الطمع فى مالها ـ والغبن فى صداقها

---

(١) الخازن جـ١ ص٥٠٣ .

(٢) جامع البيان فى تفسير القرآن جـ٥ ص١٩٥ ، والخازن جـ١ ص٥٠٤ .

(٣) تفسير أبى السعود جـ٢ ص٢٣٨ .

فقد يمنعها وليها من الزواج رغبة منه أن لا يشاركه زوجها فى مالها . أو يطمع وليها فى مالها وجمالها فيهضمها حقها من الصداق .

فهذا الحال دعا المسلمين الأوائل الصحابة - رضوان الله عليهم أن يتوجهوا الى النبى صلى الله عليه وسلم بطلب الافتاء واظهار ما أشكل عليهم فى ذلك لأنهم - رضوان الله عليهم كانوا بحاجة لمعرفة أحكام دينهم الجديد ليسيروا على هديه الى الحق والصواب .

فالحق تعالى بين لهم ما أشكل عليهم فى شأن النساء وحالهن فى الميراث والصداق بما يتلى عليهم فى القرآن الكريم ، وكذلك بين لهم حال الأولاد الصغار اليتامى الذين حرموا من الميراث لضعفهم وهضمت حقوقهم لصغر سنهم فى الميراث ولكن الله جعل لهم نصيبا من الميراث كما ذكرته آيات القرآن .

ثم ذكرهم تعالى بالآيات ، فالنفس البشرية تتغافل عن الأحكام فنهاهم عن ذلك وأمرهم بالعدل وأن يعطوا يتامى النساء حقوقهن من الصداق وفى الميراث وأن يعطوا المستضعفين من الولدان حقهم فى الميراث فكل ما يفعلونه من خير قل أو كثر يعلمه الله تعالى وسيجازيهم عليه .(١)

---

(١) ظلال القرآن جـ٢ ص١٦٥ -٧٦٨ .

(١٠) الاستفتاء فى الكلالـــــة :

قال تعالى :

(يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ فَإِن كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِن كَانُوا إِخْـــوَةً رِّجَالًا وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) (١)

التمهيد للآية الكريمـــــة :

ان القرآن الكريم ذكر شطرا من أحكام الكلالة فى قوله تعالى :

(وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ فَإِن كَانُـــوا أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ وَصِيَّـــــةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ)(٢)

قال الامام سيد قطب فى ظلال القرآن :-

(ويستكمل الشطر الآخر فى ورثة الكلالة .... فان كان للمتوفى ، الذى لا ولد لـــــه ولا والد ،أخت شقيقة -أو لأب ، فلها نصف ما ترك أخوها .

وهو يرثها -بعد أصحاب الفروض-ان لم يكن لها ولد ولا والد كذلك .

فان كانتا أختين شقيقتين -أو لأب فلهما الثلثان مما ترك .

وان تعدد الأخوة والأخوات فللذكر مثل حظ الانثيين)(٣)

وذكر فى سبب نزول الآية الروايات التالية :

أ - أخرج الامام أبو داود فى سننه :

(عن جابر قال : اشتكيت وعندى سبع أخوات ، فدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فنفخ فى وجهى . فأفقت ، فقلت يارسول الله ، ألا أوصى لأخواتى بالثلث ؟ قـــال :

---

(١) سورة النساء آية ١٧٦ .

(٢) سورة النساء آية ١٢ .

(٣) فى ظلال القرآن جـ٢ ص٨٢٣-٨٢٤ .

(أحسن) قلت : الشطر؟ قال : (أحسن) ثم خرج وتركني فقال : ياجابر ، لا أراك ميتا من وجعك هذا ، وان الله قد أنزل فبين الذى لأخواتك فجعل لهن الثلثين .

قال : فكان جابر يقول : أنزلت هذه الآية فيّ (١)

(يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ .....) الآية (٢)

قال الامام ابن حجر فى الفتح :

هذه قصة أخرى لجابر غير التى تقدمت فى أول تفسير سورة النساء فيما يظهر لى (٣)

ب - وأخرج الامام مسلم بسنده :-

(عن محمد بن المنكدر سمع جابر بن عبد الله قال : مرضت فأتانى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر يعودانى ماشيين فأغمى عليّ فتوضأ ثم صب عليّ من وضوئه فأفقت قلت : يارسول الله كيف أقضى فى مالى فلم يرد على شيئا حتى نزلت آية الميراث .

(يستفتونك قل الله يفتيكم فى الكلالة) (٤)

جـ - وفى رواية أخرى للامام مسلم فنزلت :(٥)

(يوصيكم الله فى أولادكم للذكر مثل حظ الانثيين) الآية (٦)

د - وكذلك رواية للامام مسلم أخرى نزلت آية الميراث فقلت لمحمد بن المنكدر

(يستفتونك قل الله يفتيكم فى الكلالة) الآية (٧)

قال هكذا أنزلت (٨)

---

(١) سنن أبى داود جـ٣ ص١٢٠ .
(٢) سورة النساء آية ١٧٦ .
(٣) فتح البارى شرح البخارى جـ٨ ص٢٦٨ كتاب التفسير / باب (يستفتونك قل الله يفتيكم فى الكلالة ان امرؤا هلك ليس له ولد وله أخت فلها نصف ماترك وهو يرثها ان لم يكن لها ولد) والكلالة من لم يرثه أب أو ابن .
(٤) صحيح مسلم بشرح النووى جـ١١ ص٥٥ كتاب الفرائض
(٥) صحيح مسلم بشرح النووى جـ١١ ص٥٥-٥٦ كتاب الفرائض .
(٦) سورة النساء آية ١١ .
(٧) سورة النساء آية ١٧٦ .
(٨) صحيح مسلم بشرح النووى جـ١١ ص٥٦ كتاب الفرائض .

قال الامام ابن حجر العسقلانى فى الفتح :

ان هذه الزيادة مدرجة وان الصواب ما أخرجه الترمذى من طريق يحيى بن عيينة وحتى نزلت :

(يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِى أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ . . .) الآية (١)

هـ ـ أما ما أخرجه الامام الترمذى فى سننه :

(أخبرنا يحيى بن آدم أخبرنا ابن عيينه عن محمد بن الْمُنكدر قَالَ : سمعتُ جابرَ ابن عبد الله يقول : مرضتُ فأتانى رسول اللَّهُ يَعُودُنِي وقد أغمى عَلَىَّ ، فلما أفقتُ ، قلتُ : كيف أقضى فى مَالِي ؟ فسكتُ عَنِّى حتى نزلت (٢)

(يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِى أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ) الآية (٣)

قال الامام ابن حجر:

ان كلا من الآيتين لما كان فيهما ذكر الكلالة نزلت فى ذلك ،لكن الآية الأولى لما كانت الكلالة فيها خاصة بميراث الأخوة من الأم كما كان يقرأ ابن مسعود :

(وله أخ أو أخت من أم) .

وكذلك قرأ سعد بن أبى وقاص.

أخرجه البيهقى بسند صحيح انهم استفتوا عن ميراث غيرهم من الأخوة فنزلت الأخيرة ، فيصح أن كلا من الآيتين نزل فى قصة جابر والمتعلق به ما يتعلق بذكر الكلالة (وَإِن كَانَ رَجلٌ يُورَثُ كَلَالَةً . . .) الآية (٤)

وأما سبب نزولها فورد من حديث جابر أيضا فى قصة ابنتى سعد بن الربيع ومنع عمهما أن يرثا من أبيهما فنزلت (يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِى أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ . . . .) الآية (٥)

---

(١) فتح البارى بشرح صحيح البخارى جـ١٢ ص٤ كتاب الفرائض .
(٢) سنن الترمذى جـ٤ ص٣٠١ أبواب التفسير / ومن سورة النساء .
(٣) سورة النساء آية ١١ .
(٤) " " " ١٢ .
(٥) " " " ١١ .

فقال للعم أعط ابنتي سعد الثلثين وأمهما الثمن فما بقى فهو لك)(١)

ثم قال ابن حجر:

وهذا ظاهر فى تقديم نزولها فى قصة ابنتي سعد ، ومن احتج بانها لم تنزل فى قصة جابر ليس بلازم هذا فلا مانع من نزولها فى الأمرين معا ، لأنه يحتمل نزول أولها فى قصة ابنتي سعد ، وآخرها من قوله (إِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً)(٢) فى قصة جابر ، فيكون مراد جابر فنزلت (يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُم . . .) (٣)

أى ذكر الكلالة المتصل بهذه الآية والله أعلم . (٤)

وأؤيد ماذكره ابن حجر:

من أن كلا الآيتين اللتين فيهما ذكر الكلالة نزلتا فى قصة جابر بن عبد الله - رضى الله عنه .

بيان معنى الكلالة التى جاءت فى القرآن الكريم كما ذكرت فى الموضعين من السورة :-

لقد ذكر القرآن الكريم الكلالة فى سورة النساء فى موضعين فقال تعالى :-

أ - (وان كان رجل يورث كلالة أو امرأة وله أخ أو أخت فلكل واحد منهما السدس فان كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء فى الثلث من بعد وصية يوصى بها أو دين غير مضار وصية من الله والله عليم حليم) (٥)

وقال تعالى :-

ب - (يستفتونك قل الله يفتيكم فى الكلالة ان أمرؤ هلك ليس له ولد وله أخت فلها نصف ما ترك وهو يرثها إن لم يكن لها ولد فإن كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك وان كانوا اخوة رجالاً ونساء فللذكر مثل حظ الانثيين يبين الله لكم أن تضلوا والله بكل شئ عليم) (٦)

---

(١) أخرج الحديث أصحاب السنن وصححه الحاكم .

(٢) سورة النساء آية ١٢ .

(٣) سورة النساء آية ١١ .

(٤) فتح البارى بشرح صحيح البخارى جـ٨ ص٢٤٤ كتاب التفسير، جـ١٢ ص٤ كتاب الفرائض.

(٥) سورة النساء آية ١٢ .

(٦) سورة النساء آية ١٧٦ .

وان الآيتين اللتين جاءتا فى القرآن الكريم فى الكلالة لم تذكرا وارثا غير الأخوة فأجمع جمهور العلماء على أن المراد من الأخوة فى الآية الثانية عشر من سورة النساء هم الأخوة من الأم .

فقد كان ابن مسعود وسعد بن أبى وقاص رضى الله عنهما يقرآن

(وله أخ أو أخت من أم) .

وانما حكموا بذلك لأن الله تعالى قال بعدها :

(فلكل واحد منهما السدس فان كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء فى الثلث)(١)

وأما المراد بالأخوة المذكورين فى آخر سورة النساء الآية السادسة والسبعين بعد المائة فهم الأخوة والأخوات الأشقاء - من الأب والأم ، أو من الأب ، فان ميراثهم ليس كميراث الأخوة من الأم كما قال تعالى :

(فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك وان كانوا إخوة رجالا ونساء فللذكر مثل حظ الانثيين)(٢)

ونقل ابن جرير خطبة سيدنا ابى بكر الصديق :-

أن أبا بكر الصديق رضى الله عنه قال فى خطبته ألا ان الآية التى أنزل الله فى سورة النساء فى شأن الفرائض أنزلها الله فى الولد والوالد(٣)

والآية الثانية(٤) أنزلها فى الزوج والزوجة والأخوة من الأم ، والآية التى ختم بها سورة النساء(٥) أنزلها فى الاخوة والأخوات لأبوين أو لأب والآية (٦) التى ختم بها الانفال أنزلها فى أولى الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله مما جرت الرحم من العصبة فان الله تعالى بين لنا هذه الأحكام لنعرفها ونعمل بموجبها ونطبقها بحسب ما اقتضاه

---

(١) سورة النساء آية ١٢ .
(٢) سورة النساء آية ١٧٦ .
(٣) " " " ١١ .
(٤) " " " ١٢ .
(٥) " " " ١٧٦ .
(٦) سورة الأنفال آية ٧٥ .

التشريع الالهى لأن مصدرها الخير والسعادة .(١)

ايضاح الآية الكريمة :

(يَستفتونكَ قُل اللّهُ يُفتيكمْ في الكَلالَةَ) : أى يطلبون الفتيا أو الفتوى وهى جواب السؤال عن الحادثة التي تشكل على السائل ، وهى مشتقة من الفتى ، ومنه الفتى : وهو الشاب القوى أى قل يا محمد لأصحابك الله يبين لكم حكم ماسألتم من مواريث الكلالة ،

الكلالة :-

ما خلا الولد والوالده - أى ليس له أحد الأبوين أو الأبناء سواء لأبوين أو لأب .

وذكر الامام ابن جرير مانقل عن الشعبي قال : قال أبو بكر رضى الله عنه أنى قد رأيت في الكلالة رأيا فان كان صوابا فمن الله وحده لا شريك له وان يكن خطأ فمنى والشيطان والله برئ منه .

إن الكلالة ما خلا الولد والوالد ، فلما استخلف عمر رضى اللّه عنه قال : انىّ لأستحى من الله تبارك وتعالى أن أخالف أبا بكر فى رأى رآه) (٢)

وان الصحيح الذى عليه جماعة العلماء بالاجماع أن الكلالة من لا ولد ولا والد (٣)

وأخرج الامام أبو داود عن أبى اسحاق عَن البراء بنْ عازب ، قَالَ جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : يارسول اللّه (يَستَفتُونَكَ قُل اللّهُ يُفتِيكُم فِي الكَلاَلَةَ ....)الآية (٤) ما الكَلالَة ؟ قال : تُجزيكَ آيةَالصّيفْ)فقلت لأبى إسحاق : هو من مات ولم يدع ولدا ولا والدا؟

---

(١) جامع البيان فى تفسير القرآن جـ٦ ص٢٨ وتفسير ابى السعود جـ٢ ص٢٦٤ وتفسير الخازن جـ١ ص٢١٤-٤١٣ .
روح المعانى جـ٦ ص٤٤ وتفسير آيات الأحكام للسياس ص١٥٢ .
وصحيح مسلم بشرح النووى جـ١١ ص٥٩ كتاب الفرائض .

(٢) جامع البيان فى تفسير القرآن جـ٤ ص١٩٢ .

(٣) صحيح مسلم بشرح النووى جـ١١ ص٥٨ كتاب الفرائض .

(٤) سورة النساء آية ١٧٦ .

قال : كذلك ظنوا أنه كذلك (١) .

وأخرج الامام مسلم بسنده :

(عن معدان بن أبي طلحة أن عمر بن الخطاب خطب يوم جمعة فذكر نبي الله صلى الله عليه وسلم وذكر أبا بكر ثم قال : إني لا أدع بعدي شيئا أهم عندي من الكلالة ماراجعت رسول الله صلى الله عليه وسلم في شئ ماراجعته في الكلالة وما أغلظ لي في شئ ما أغلظ لي فيه حتى طعن بأصبعه في صدري وقال ياعمر ألا تكفيك آية الصيف التي في آخر سورة النساء وإني ان أعش أقضي فيها بقضية يقضي بها من يقرأ القرآن ومن لا يقرأ القرآن .) (٢)

والذي يؤيد صحة قول أبي بكر الصديق رضى الله عنه في الكلالة اشتقاق لفظها -

(أ) فالكلالة في أصل اللغة عبارة عن الاحاطة ، ومنه الاكليل لاحاطته بالرأس ، ومنه الكل لاحاطته بما يدخل تحته ، ومنه قولهم كلت الرحم بين فلان وفلان اذا تباعدت، فسميت القرابة البعيدة كلالة .

(ب) والكلالة مصدر بمعنى الكلال وهو ذهاب القوة من الاعياء .

(جـ) والكلالة يقال انها استعارة من القرابة الحاصلة من جهة الولادة .

(د) والكلالة يقال عنها أيضا اسم يقع على الوارث وعلى المورث فان وقع على الوارث فهل سوى الولد والوالد ، وان وقع على المورث فهو الذي مات ولا يرثه أحد الوالدين ولا أحد الأولاد .(٣)

---

(١) سنن أبي داود جـ٣ ص١٢٠ كتاب الفرائض / باب من كان ليس له ولد وله أخوات .

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي جـ١١ ص٥٧ كتاب الفرائض .

(٢) قال الامام النووي . أما آية الصيف فلأنها نزلت في الصيف ، وأما قوله واني ان أعش الى آخره هذا من كلام عمر لا من كلام النبي صلى الله عليه وسلم ، وانما أخر القضاء فيها لأنه لم يظهر له في ذلك الوقت ظهورا يحكم به فأخره حتى يتم اجتهاده فيه ويستوفي نظره ويتقرر عنده حكمه ويقضي به ويشيعه بين الناس ، ولعل النبي صلى الله عليه وسلم انما أغلظ له لخوفه من اتكاله واتكال غيره على مانص عليه صريحا وتركهم الاستنباط من النصوص وقد قال تعالى :
(ولو ردوه الى الرسول والى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم) ٨٣ سورة النساء .

(٣) فتح الباري بشرح صحيح البخاري جـ١٢ ص٢٦ كتاب الفرائض ، وصحيح مسلم بشرح النووي جـ١١ ص٥٨ . كتاب الفرائض .

(٣) تفسير أبي السعود جـ٢ ص١٥١ ، والتفسير الكبير جـ٩ ص٢٢١-٢٢٢ .

فهذا التفسير راجع لمعنى الكلالة كما قال بها سيدنا أبو بكر الصديق رضى الله عنه : (ماعدا الوالد والولد) .

(إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ) : أى أن أى انسان مات وليس له ولد ذكر ولا أنثى وله أخت أى للميت والأخت سواء كانت لأبوين أو لأب فلها نصف ماترك من الميراث دون سائر عصبته ومابقى فلعصبته .(١)

(وَهُوَ يَرِثُهَا إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ) : أى المرء يرث الاخت أن قدر الأمر على العكس من موتها وبقائه بعدها ـ أى بعد الأخت بشرط أن لا يكون لها ولد ذكرا كان أو انثى وهذا قيد فى ميراث الأخت ، وهو استدلال صحيح الا أنه ورد فى السنة مايدل على ثبوت ميراث الأخت مع البنت بالتعصيب .

أخرج الامام البخارى بسنده :

(عن شعبة عن سليمان عن ابراهيم عن الأسود قال : "قضى فينا معاذ بن جبل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم : النصف للابنة ، والنصف للأخت ، ثم قال : سليمان : قضى فينا ولم يذكر على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم)(٢)

ثم ذكر الامام ابن حجر العسقلانى فى الفتح قال : قال : ابن بطال : اجمعوا على أن الأخوات

---

(١) جامع البيان فى تفسير القرآن جـ٦ ص٢٨ .

(٢) صحيح البخارى بشرح فتح البارى جـ١٢ ص٢٤ كتاب الفرائض / باب ميراث الأخوات مع البنات عصبة .

قال الامام ابن حجر : أن الأعمش ـ وهو سليمان روى الحديث أولا بالاثبات على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم فيكون مرفوعا على الراجح فى المسألة ، ومرة بدونها فيكون موقوفا .

قال الامام ابن حجر : وسياق الحديث مشعر بان ذلك كان فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم ، لأن النبى صلى الله عليه وسلم هو الذى أمره على اليمن وللدارقطنى فى وجه آخر عن الأسود : (قدم علينا معاذ حين بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكره باختصار .

عصبة البنات فيرثن ما فضل عن البنات ، فمن لم يخلف الا بنتا وأختا فللبنت النصف ، وللأخت النصف الباقي كما في حديث معاذ بن جبل السابق . وان خلف بنتين وأختا فلهما الثلثان وللأخت مابقى ، وان خلف بنتا وأختا وبنت ابن فللبنت النصف ولبنت الابن تكملة الثلثين وللأخت مابقى على مافى حديث ابن مسعود ، لأن البنات لا يرثن أكثر من الثلثين .(١)

وأخرج الامام البخارى أيضا :

(عن هُزَيل قال : قال عبد الله - ابن مسعود - لأقضين فيها بقضاء النبى صلى الله عليه وسلم ، أو قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم للابنة النصف ولابنة الابن السدس ومابقى فللأخت) (٢)

وأخرج الامام البخارى بسنده :-

(عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : ألحقوا الفرائض بأهلها فما بقي فهو لأولى رجل ذكر) .(٣)

(فَإِن كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ) فان كان من يرث بالاخوة اثنتين فما فوق فلهما أو لهن الثلثان بالأولى ولم يكن للمرء ولد كما سبق .

---

(١) صحيح البخارى شرح فتح البارى جـ١٢ ص٢٤ كتاب الفرائض / باب ميراث الأخوات مع البنات عصبة .

(٢) أو قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم " قال الامام ابن حجر : شك من بعض الرواه وأكثر الرواة اثبتوا الزيادة . وفى رواية النسائى وغير سأقضى فيها بما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم .
ومراده بالقضاء بالنسبة اليه الفتيا فان ابن مسعود لم يكن قاضيا ولا أميرا يومئذ .

(٣) صحيح البخارى بشرح فتح البارى جـ١٢ ص١١ كتاب الفرائض / باب ميراث الولد من أبيه وأمه قال الامام ابن حجر : المراد بالفرائض هنا الانصاب المقدرة فى كتاب الله تعالى وهى النصف ، ونصفه ، نصف نصفه ، والثلثان ، ونصفهما ، والمراد بأهلها من يستحقها بنص القرآن . (فهو لأولى) أفعل التفضيل وهو القرب ، أى لمن يكون أقرب فى النسب الى المورث ، وليس المراد هنا الأحق ، وقال الخطابى : أقرب رجل فى العصبة .
وقال ابن بطال : المراد بأولى رجل أن الرجال من العصبة بعد أهل الفروض اذا كان فيهم من هو أقرب الى الميت استحق دون من هو أبعد ، فان استووا اشتركوا .
قال : ولم يقصد فى الحديث من يلى بالآباء والأمهات مثلا لأنه ليس فيهم من هو أولى من غيره اذا إستووا فى المنزلة . وقال ابن التين : انما المراد به العمة مع العم ، وبنت الأخ مع ابن الأخ ، وبنت العم مع ابن العم ، وخرج من ذلك الأخ أو الأخت لأبوين أو لأب فانهم يرثون بنص قوله (ان كانوا اخوة رجالا ونساء فللذكر مثل حظ الانثيين) الآية .
(رجل ذكر) هكذا فى جميع الروايات .

(وَإِن كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ) : أى فان كان من يرث بالأخوة مختلطين ذكورا واناثا فللذكر منهم تعصيب مثل مايكون للأنثيين فيقسمون التركة على طريقة التعصيب .

(يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا) يوضح ويعلم الله تعالى لكم أحكام الكلالة ، وسائر الأحكام كراهية أن تضلوا عن الصواب والحق الى الباطل .

وقيل : لئلا تضلوا عن الصواب .

(وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) : أى الله تعالى يعلم الأشياء بكنهها قبل كونها وبعده . ومنها هذه الأحكام فهو بليغ العلم بها وبغيرها فبين مافيه مصلحتكم ومنفعتكم .[١]

---

(١) تفسير ابى السعود جـ٢ ص٥٤٣-٥٤٤ ، والنسفى جـ١ ص٢٦٧ .

ثانيا : أسئلة المشركين التي وجهت الى النبي صلى الله عليه وسلم ومنها :-

(١) السؤال عن الجبال .

(٢) السؤال عن الساعة .

(٣) سؤالهم آلهتهم خير أم عيسى عليه السلام .

(٤) السؤال عن القتال في الشهر الحرام .

(١) السؤال عن الجبـــال

قال تعالى :

(وَيَسألُونَكَ عَنِ الجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسفًا ، فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا . لا ترى فيهـا عوجًا ولَا أمتـــًا)(١)

التمهيد للآيـــــات :-

لقد علم الحق تعالى أن المشركين المستهزئين المنكرين للبعث والجزاء سوف يسألون النبي صلى الله عليه وسلم عن حال الجبال يوم القيامة على طريقة الاستهزاء والتشكيـــك والتعجيز والطعن في الحشر والبعث والنشر في يوم القيامة والتكذيب بما يحصل فيها مـــن أهوال ، وليس سؤالا للمعرفة والتثبت من الحق . وقد أجاب الحق تعالى عن ذلك بالجواب المقرون بالفاء وأمر رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم أن يجيبهم به وذلك للمسارعة لإجابتهم والإلزام بالحجة الواضحة ليستعظموا أهوال هذا الموقف وشدائده التي سوف يواجهونهـــا يوم القيامة فيخسر حينئذٍ المشركون الضالون ويفوز المؤمنون الموحدون .(٢)

وذكر في سبب نزول الآيات :-

(أخرج ابن المنذر عن ابن جريج قال : قالت قريش : يا محمد كيف يفعل ربك بهـــذه الجبال يوم القيامة فنزلت الآية (٣)

---

(١) سورة طه الآيات ١٠٥-١٠٦-١٠٧ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن جـ١١ ص٣٤٥ .

(٣) أسباب النزول للسيوطي ص١٤٦ وفتح القدير جـ٣ ص٣٨٧ .

وذكر الامام أبو السعود والخازن رحمهما الله مانقل عن ابن عباس رضى الله عنهما : قال : سأل رجلٌ من ثقيف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : كيف تكون الجبال يوم القيامة ؟(١)

فلاشك أن سؤالهم هذا للتشكيك والطعن فى الحشر والنشر والاستهزاء والسخرية من يوم القيامة وما يحصل فيه من شدائد وأهوال فتبقى الأرض مستوية لا شئ عليها ويتبع الناس داعى الله تعالى الى المحشر فلا يسمع لهم الا همس.(٢)
كما قال تعالى :
(يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا)(٣)

ايضاح الآيات :

(وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ) : أى عن مآلها وأمرها يوم القيامة .(٢)
أى يسألك كفار مكة على طريق الاستهزاء فقالوا له : انك تدعى أن هذه الدنيا تفنى واننا نبعث بعد الموت وأين تكون هذه الجبال ؟

(فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا) : جاء الجواب مقرونا بالفاء لأنه تضمن معنى جواب الشرط المقدر أى ان سألوك يا محمد عن الجبال فقل ، لان الحق تعالى علم أنهم يسألون عنها ، فاجابه به قبل سؤالهم هذا لأن قصدهم الطعن فى الحشر والنشر فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجواب مقرونا بالفاء للتعقيب لأن تأخير الجواب فى هذه المسألة الأصولية غير جائز أما تأخيره فى المسائل الفرعية فجائز ولذا لم يؤت بالفاء فى الأمر بالجواب فى أسئلة المسلمين السابقة كالسؤال عن الخمر والميسر ، والسؤال عن الأنفال وغيرها .(٤)

---

(١) تفسير أبى السعود جـ٦ ص٤٢ والخازن جـ٤ ص٢٢٧ .
(٢) الفتوحات الالهية جـ٣ ص١١١ .
(٣) سورة طه آية ١٠٨
(٤) تفسير ابى السعود جـ٦ ص٤٢ .

وقيل قرن الجواب بالفاء للمسارعة والالزام .(١)

(يَنسِفُهَا رَبِّىْ نَسْفاً) : يذهبها عن أماكنها ويقلعها من أصولها ويسيرها تسييرا (٢)

وان القرآن الكريم ذكر أحوال الجبال يوم القيامة وكيف تكون بوجوه مختلفة كما جاء في الآيات القرآنية التالية :

أ ـ الاندكاك فقال تعالى :

(وَحُمِلَتِ الأَرْضُ وَالجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً) (٣)

ب ـ تصير الجبال يوم القيامة كالعهن المنفوش أى الصوف الملون بالألوان المختلفة الذى نفش بالدف .(٤)

قال تعالى :

(وَتَكُونُ الجِبَالُ كَالعِهْنِ المَنفُوشِ)(٥)

جـ ـ تصير الجبال يوم القيامة كالهباء المتطاير فى الهواء .

فقال تعالى :

(وَبُسَّتِ الجِبَالُ بَساً . فَكَانَتْ هَبَاءً مُنبَثاً) .(٦)

د ـ تصير الجبال يوم القيامة كالسراب الذى يظنه الناظر اليه انه ماء وهو ليس بماء وانما هو خداع للناظر.(٧)

قال تعالى :

(وَسُيِّرَتِ الجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَاباً)(٨)

---

(١) تفسير ابى السعود جـ٦ ص٤٢ .
(٢) تفسير ابن كثير جـ٤ ص٥٣٨ .
(٣) سورة الحاقة آية ١٤ .
(٤) فتح القدير جـ٥ ص٤٨٦ .
(٥) سورة القارعة آية ٥ .
(٦) سورة الواقعة آية ٥-٦ .
(٧) فتح القدير جـ٥ ص٤٨٦ .
(٨) سورة النبأ آية ٢٠ .

هـ ـ ثم تنسف الجبال يوم القيامة وتحملها الرياح قال تعالى :

(وَترى الجبَالَ تحسَبُهَا جَامِدَةً وهَى تمرّ مَرّ السّحَابِ صُنعَ اللهِ الذى أتقَنَ كل شَئ إنه خبيرٌ بما تفعلُونَ)(١)

فهذا المشهد الرهيب الذى يحصل فيه مايحصل للجبال الشامخة الثابتة من شدة أهوال يوم القيامة وماذكره الله جل جلاله إلا ليستعد الناس لهذا الموقف الرهيب فى ذلك اليوم العظيم الذى فيه يخسر المشركون الضالون ويفوز المؤمنون الموحدون (٢)

(فيذرُها قاعاً صَفصَفاً) : أى يترك الجبال لأن الضمير راجع الى الجبال باعتبار أجزائها السافلة الباقية بعد النسف وهى مقارها ومركزها ، أى يترك ما انبسط منها وساوى سطوح سائر أجزاء الأرض بعد النسف أرضا ملساء بلانبات ولا بناء (٣)

ولأن الظاهر فى اللغة : أن القاع الموضع المنكشف ، والصفصف المستوى الأملس .

(لا ترَى فيهَا عِوَجاً ولاَ أمتاً) : لايرى الناظر فى الجبال أو الأرض واديا ولا رابية ولا تلالا .

لأن العوج : بكسر العين أى اعوجاجا ، والأمت التلال الصغار .(٤)

المعنى الكلى للآيـــات :-

ان القرآن الكريم يذكرنا بأهوال وشدائد يوم القيامة فقال تعالى :

(يا أيها النَاس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعةِ شئ عظيم . يوم ترونها تذهلُ كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى النَاسَ سكارى وماهم بسكارى ولكنّ عذاب الله شديد)(٥)

---

(١) سورة النمل آية ٨٨ .
(٢) فتح القدير جـ٥ ص٣٨٥ ، جـ٣ ص٣٨٦ .
(٣) روح المعانى جـ١٦ ص٢٦٣ .
(٤) تفسير أبى السعود جـ٦ ص٤٢ .
(٥) سورة الحج آية ١-٢ .

فهؤلاء المتعنتون الذين يطعنون في الحشر والنشر والقيامة علم جل جلاله أنهم سوف يسألون النبي صلى الله عليه وسلم عن حال الجبال الشامخة كيف تكون ؟ بطريقة الاستهزاء والتشكيك والطعن في البعث فأمر اللّه تعالى رسوله محمدا صلى اللّه عليه وسلم أن يجيبهم إن سألوه عن ذلك للمسارعة لهم والالزام عليهم بالحشر والنشر فسؤالهم ليس سؤالا للمعرفة والتثبت من الحق .

فقل يا محمد مجيبا عليهم إن ربي تعالى يقلقها من أصولها فيترك مواضعها أرضا ملساء مستوية لا إرتفاع فيها ولا انخفاض ، أرضا مكشوفة لا نبات فيها ولا بناء .

فالجبال الشامخة تقلع من أصولها ، ثم تصير رملا دقيقا ثم تصير كالصوف المندوف ، ثم تكون كالهباء منثورا تحطها الرياح فيتجلى المشهد الرهيب في ذلك اليوم العظيم يوم القيامة ويتبع الناس داعي الله تعالى اسرافيل اذا نفخ في الصور الى المحشر للجزاء والحساب (١)

◊◊

---

(١) في ظلال القرآن جـ٤ ص٢٣٥٢ .

(٢) السؤال عن الساعة :

قال تعالى فى سورة الأعراف

(يسألونك عن الساعة أيان مرساها قل إنما علمها عند ربى لا يجليها لوقتها الا هو ثقلت فى السموات والأرض لا تأتيكم الا بغتة يسئلونك كأنك حفى عنها قل انما علمها عند الله ولكن أكثر الناس لا يعلمون).[1]

وقال تعالى فى سورة الأحزاب :

(يسألك الناس عن الساعة قل إنما علمها عند الله ومايدريك لعل الساعة تكون قريبا)[2]

وقال تعالى فى سورة النازعات :

(يسألونك عن الساعة أيان مرساها . فيم أنت من ذكراها . إلى ربك منتهاها . إنما أنت منذر من يخشاها . كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية أو ضحاها .)[3]

التمهيد للآيـــــات :

لقد كان المتعنتون المستهزئون من المشركين واليهود يسألون النبى صلى الله عليه وسلم عن الساعة استهزاء وتعجيزا وامتحانا وتشكيكا وذلك لما سمعوا أوصاف أهوال يـــوم القيامة وشدائدها وما فيها من بعث ونشور وجزاء وحساب فهم يطعنون فى هذا ويشككون فيه فسؤالهم سؤال المستهزئ المتعنت الممتحن فمتى يستقر موعدها ؟

ولكن الحق تعالى استأثر بعلمها ولم يطلع عليه أحدا من الخلق - فلا يعلم وقتهـا الا الله تعالى والرسول صلى الله عليه وسلم بشر لا يدعى علم الغيب ، فيجب أن يستعدوا لها قبل وقوعها لأنها لا تأتيهم الا بغتة فالأولى لهم الايمان بالله تعالى والتصديق برسوله محمد صلى الله عليه وسلم .

---

(١) سورة الأعراف آية ١٨٧ .
(٢) سورة الأحزاب آية ٦٣ .
(٣) سورة النازعات الآيات ٤٢، ٤٣، ٤٤، ٤٥، ٤٦ .

وان سبب اخفائها على العباد أن يكونوا على حذر وخوف فهذا أدعى لهم الى الطاعات والكف عن المعاصي فقال تعالى :-

(اللَّهُ الذِى أنزل الكِتَابَ بالحق والميزانَ وما يدريك لعل الساعة قريب . يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها والذين آمنوا مشفقون منها ويعلمون أنها الحق ألا إن الذين يمارون في الساعة لفي ضلال بعيد)(١)

فالقرآن الكريم لم يفصح عن وقت الساعة المحدود بل رد علمها الى الله تعالى ووضح أنها من الأسرار التى لم يعلم بها أحد فقال تعالى :

(ان اللهَ عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدرى نفس ماذا تكسب غداً وما تدرى نفس بأى أرض تموت إن الله عليم خبير)(٢)

واختلف فى السائلين عن الساعة فقيل : هم المشركون . وقد سألوا عنها تكذيبا واستهزاء وسخرية لانكار البعث والجزاء .

قال قتادة : قالت قريش : لمحمد : ان بيننا وبينك من القرابة فأسر الينا متى تكون الساعة؟(٣)
فأنزل الله تعالى (يسألونك عن الساعة أيان مرساها .)(٤)

قال الامام ابن جرير الطبرى :

اختلف أهل التأويل فى الذين عنوا بقوله تعالى :

(يسألونك عن الساعة أيان مرساها) (٥)

فقال بعضهم : هم قوم الرسول صلى الله عليه وسلم من قريش كانوا سألوا عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ونقل ما ذكر عن قتادة قال : قالت قريش لمحمد صلى الله عليه وسلم ان بيننا وبينك من القرابة فأسر الينا متى الساعة ؟ (٦)

---

(١) سورة الشورى ١٧-١٨ .
(٢) سورة لقمان آية ٣٤ .
(٣) أسباب النزول للواحدى ص١٥٣ .
(٤) ،(٥) سورة الأعراف آية ١٨٧ .
(٦) جامع البيان فى تفسير القرآن جـ٩ ص٩٣ .

فقال تعالى :

(يسألونك كأنك حفى عنها قل إنما علمها عند الله . . . .) الآية (١)

وقيل هم اليهود سألوا عنها امتحانا وتعجيزا فقد سألوا النبى صلى الله عليه وسلم قائلين أخبرنا عن الساعة إن كنت نبيا كما تقول فإنا نعلم متى هى .

ونقل عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال جبل بن أبى قشير ، وشمويل بن زيد ، لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا محمد ، أخبرنا متى الساعة ان كنت نبيا كما تقول ؟(٢)

فأنزل الله تعالى :

(يسألونك عن الساعة أيان مرساها . . . .) الآية (٣)

ولا مانع أن السؤال صدر من قريش ، ثم صدر من قوم من اليهود ثم نزلت الآيات عقب ذلك فتكون من أسئلة المشركين واليهود بقصد الاستهزاء والطعن فى الحشر والنشر وبقصد الامتحان والتعجيز للنبى صلى الله عليه وسلم وقد ذكر القرآن الكريم العديد من الآيات فيها متى هذا الوعد ان كنتم صادقين .

(ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين . قل لا أملك لنفسى ضرا ولا نفعا إلا ماشاء الله لكل أمة أجل اذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون)(٤)

وقال تعالى :

(ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين . لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم ولا هم ينصرون . بل تأتيهم بغتة فتبهتهم فلا يستطيعون ردها ولا هم ينظرون) (٥)

وقال تعالى :

(ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين . قل لكم ميعاد يوم لا تستأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون) (٦)

---

(١) سورة الأعراف آية ١٨٧ .
(٢) أسباب النزول للسيوطى ص١٠٥ ، وأسباب النزول للواحدى ص١٥٣ والسيرة النبوية لابن هشام جـ٢ ص٥٦٩ وجامع البيان فى تفسير القرآن جـ٩ ص٩٤ .
(٣) سورة الأعراف آية ١٨٧ .
(٤) سورة يونس الآيتان ٤٨ ، ٤٩ .
(٥) سورة الأنبياء الآيات ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠ .
(٦) سورة سبأ الآيتان ٢٩ ، ٣٠ .

وقال تعالى :

(وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ . مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ . فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ)(١)

وقال تعالى :

(وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ . قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِندَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ . فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَٰذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تَدَّعُونَ)(٢)

وعجيب من هؤلاء المتعنتين الذين يسألون نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم عن الساعة إنهم لا يدركون حقيقة الرسالة ، وأن الرسول صلى الله عليه وسلم بشر وإنما هو بشير ونذير فكيف يكشف عنها وهو لا يعلم موعدها .

وأخرج الامام البخاري بسنده :

فى حديث جبريل عليه السلام وسؤاله النبى صلى الله عليه وسلم عن الايمان والاسلام والاحسان وعن الساعة ؟(٣)

قال : متى الساعة ؟ قال : ما المسئول عنها بأعلم من السائل .

وسأخبرك عن أشراطها : اذا ولدت الامة ربها (٣) واذا تطاول رعاة الإبل البهم فى البنيان فى خمس لا يعلمهن إلا الله . ثم تلا النبى صلى الله عليه وسلم :

(إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) (٤)

---

(١) سورة يس ٤٨، ٤٩، ٥٠ .

(٢) سورة الملك ٢٥، ٢٦، ٢٧ .

(٣) صحيح البخارى بشرح فتح البارى جـ١ ص٤٠ (كتاب الايمان / باب سؤال جبريل النبى صلى الله عليه وسلم عن الايمان والاسلام والاحسان وعلم الساعة وبيان النبى صلى الله عليه وسلم له : قال ابن حجر : (اذا ولدت الامة ربها) : اذا ولدت السرايا المالك أو السيد .
(اذا تطاول رعاة الابل البهم فى البنيان) اذا تفاخروا فى تطويل البنيان وتكاثروا به .

(٤) سورة لقمان آية ٣٤ .

ثم أدبر فقال : ردوه فلم يروا شيئاً . فقال : هذا جبريل جاء يعلم الناس دينهم)(١)

ايضاح الآيـــات :

(يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ) : اختلف في السائلين قيل قريش ، وقيل اليهود كما سبق يسألونك يا محمد عن وقت قيام الساعة وحصولها .

والساعة جزء غير معين من الزمان ، وهى القيامة لانها من الأسماء الغالبة لها .
واطلاقها على القيامة لوقوعها بغتة وغفلة ، أو لسرعة حسبها .(٢)

(أَيَّانَ مُرْسَاهَا) : أيان ظرف زمان مبنى على الفتح ، ومعناه أى متى وقت ارسائهـــا أى اثباتها وتقريرها .(٢)

(قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي) : قل يا محمد اجابة عليهم لا يعلم وقتها الذى تقوم فيه أحـــد إلا الله تعالى فقد استأثر الله تعالى به فلم يطلع عليه أحدا ، فعلمها باعتبار وقوعهـــا عند الله تعالى لا يعلمها غيره ولا يهتدى اليها سواه .

(لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ) : أى لا يظهر أمرها ولا وقتها المعين المحدود الا اللـــه تعالى ولا يقدر غيره على ذلك ، ولأن التجلية : اظهار الشىء(٣) .

(ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) : عظمت وعظم وصفها على أهل السموات وهم الملائكـــة ومن فيها ، وكذلك على أهل الأرض ومن عليها من الثقلين الجن والانس .

(لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً) إلا فجأة على حين غفلة من الخلق .(٤)

---

(١) صحيح البخارى بشرح فتح البارى جـ١ ص١١٤ كتاب الأنبياء .
(٢) تفسير ابى السعود جـ٢ ص٣٠٠ .
(٣) فتح القدير جـ٢ ص٢٧٣ .
(٤) النسفى جـ٢ ص٨٩ ، وفتح القدير جـ٢ ص٢٧٣ .

(يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا) : أى يسألك قومك عن الساعة كأنك تحفى بهم فتخصهم بتعليم وقتها لأجل القرابة التى بينك وبينهم .

الحفى العالم بالشئ ، والحفى المستقصى فى السؤال . كما يقال : أحفى فى المسألة وفى الطلب فهو محف ، وحفى على التكثير .

فيسألونك يا محمد كأنك عالم بها ، أو كأنك مستقص للسؤال عنها ومستكثر عنه لأنه فى زعمهم أنه صلى الله عليه وسلم عالم بالمسئول عنه أو أن العلم بذلك من مواجب الرسالة .(١)

(قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ) أمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم أن يجيب بما أجاب به عليهم سابقا لتقرير الحكم وتأكيده بأن لا يعلم وقت الساعة إلا الله تعالى .

(وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) : أى باستئثار الله تعالى بهذا وعدم علم أحد من الخلق به فلم يعلم به ملك مقرب ولا نبى مرسل .(٢)

قال الامام الألوسى :

إنما أخفى الله سبحانه وتعالى أمر الساعة لاقتضاء الحكمة التشريعية وذلك فإنه أدعى الى الطاعات وأذجر عن المعاصى كما أخفى الأجل الخاص للانسان كذلك(٣) .

(يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ) : أى عن وقتها وقيامها فكان المشركون يسألون الرسول صلى الله عليه وسلم عن ذلك استعجالا بطريقة الاستهزاء ، واليهود يسألون النبى صلى الله عليه وسلم امتحانا مع علمهم بأن الله تعالى أخفى وقتها فى التوراة والانجيل وكذلك سائر الكتب .

(قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا) : أمر الله رسوله محمد صلى الله عليه وسلم بأن يجيبهم بأن علم الساعة - القيامة - قد استأثر الله تعالى به ثم بين لرسوله صلى الله عليه وسلم أنها قريبة الوقوع تهديدا للمستعجلين ، واسكاتا للمتحنين(٤).

---

(١) فتح القدير جـ٢ ص٢٧٣ وتفسير ابى السعود جـ٢ ص٣٠١ .
(٢) فتح
(٣) روح المعانى جـ٩ ص١٣٤ .
(٤) تفسير ابى السعود جـ٧ ص١١٦ .

لقوله تعالى :

(وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيباً) (١)

أى أى شئ يعلمك بوقت قيامها فهذا لزيادة التهويل والتقريع .(٢)

(يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا) : أى متى اقامتها وثبوتها (٣)

(فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَاهَا) : انكار ورد لسؤال المشركين عنها أى فى أى شئ أنت من تذكر لهم وقتها وتعلمهم به حتى يسألونك بيانها .(٤)

فهو مثل قوله (يسألونك كأنك حفى عنها)(٥)

(إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَاهَا) : أى علمها بكنهها وتفاصيل أمرها ووقت وقوعها لا الى أحد غيره وانما وظيفتهم أن يعلموا باقترابها ومشارفتها وقد حصل لهم ذلك بمبعثك .

وأخرج الامام البخارى بسنده :

(عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : بُعِثتُ أنا والسَّاعَةِ كهاتين . يعنى إصبعين) (٦)

قال الامام ابن حجر فى الفتح :-

(أشار بهذا الحديث على اختلاف ألفاظه الى قلة المدة بينه عليه الصلاة والسلام وبين الساعة ، والتفاوت أما فى المجاورة واما فى قدر ما بينهما) (٧)

---

(١) سورة الأحزاب آية ٦٣ .

(٢) تفسير ابى السعود جـ٧ ص١١٦ .

(٣) تفسير النسفى جـ٤ ص٣٣١ .

(٤) تفسيرابى السعود جـ٩ ص١٠٥ .

(٥) سورة الأعراف آية ١٨٧ .

(٦) صحيح البخارى بشرح فتح البارى جـ١١ ص٣٤٧ كتاب الرقاق / باب قول النبى صلى الله عليه وسلم (بعثت أنا والساعة كهاتين) .

(٧) فتح البارى بشرح صحيح البخارى جـ١١ ص٣٤٧ . كتاب الرقاق / باب قول النبى صلى الله عليه وسلم (بعثت أنا والساعة كهاتين) .

والأرجح : تقريب أمر الساعة وسرعة مجيئها .
(إنما أنتَ منذِر من يَخشاها) : أى انما شأن النبى صلى الله عليه وسلم أن ينذر ويحذر من أهوال وشدائد الساعة .(١)

(كأنهم يوم يرونَها لم يلبثوا إلا عشيةً أو ضحاها) : يخبر الحق تعالى عن هؤلاء المتعنتين المكذبين للساعة كأنهم يوم يرون الساعة قد قامت من عظيم هولها لم يلبثوا فى الدنيا الا عشية يوم أو ضحا تلك العشية .(٢)

وذكر الامام الطبرى ما قاله قتادة فى تفسير قوله :
(كأنهم يوم يرونَها لَم يَلبثوا إلا عشِيَةً أو ضحَاها) .
وقت الدنيا فى أعين القوم حين عاينوا الآخرة .(٢)

المعنى الكلى للآيـــــات :-

كان المستهزئون من المشركين المنكرين للبعث يسألون النبى صلى الله عليه وسلم عن الساعة استعجالا بها وتشكيكا فى أمرها . وكذلك اليهود سألوا عنها امتحانا وتعجيزا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولكن الحق تعالى أخفى علم الساعة ولا يعلم الوقت المحدود الذى تستقر فيه الا الله تعالى فهو مما استأثر الله تعالى بعلمه وحده تعالى فلم يطلع عليها أحدا من الخلق .

فعليهم أن ينصرفوا الى الاهتمام بالايمان والاستعداد لها قبل وقوعها فلا تأتيهم الا على حين غفلة من الزمان فقال تعالى :-
(فهل يَنظرون إلا الساعةَ ان تأتيهم بغتةً فقد جاء اشراطها فأنى لهم اذا جاءتهم ذكراهم) (٣)

---

(١) النسفى جـ٤ ص٣٣٢ ، وفتح القدير جـ٥ ص٣٨٠ .
(٢) جامع البيان فى تفسير القرآن جـ٣٠ ص٣٢ .
(٣) سورة محمد آية ١٨ .

وأخرج البخارى بسنده :

(عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فإذا طلعت فرآها الناس آمنوا أجمعون ، فذاك حين لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى إيمانها خيرا . ولتقومن الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما فلا يتبايعانه ، ولا يطويانه ، ولتقومن الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته فلا يطعمه ولتقومن الساعة وهو يليط حوضه فلا يسقى فيه . ولتقومن الساعة وقد رفع أحدكم أكلته الى فيه فلا يطعمها) (١)

وفى كل الآيات يرد الله تعالى علم الساعة اليه تعالى فهو الذى يعلم بها وحده والرسول صلى الله عليه وسلم بشير ونذير وليس له الا الانذار والتخويف والتحذير من قربها لأن هذا أدعى الى فعل الطاعات والكف عن المعاصى ، فهى قريبة الوقوع لتهديد المستعجلين ، واسكات الممتحنين فلا تشغل نفسك بالجواب عما يسألون فإذا بغتتهم هذا اليوم فإنه يخيل اليهم أنهم لم يمكثوا من يوم الخلق الى يوم البعث الا طرفا من نهار أوله أو آخره فتبدو فى حس هؤلاء المتعنتين كأنها بعض يوم ...... عشية أو ضحاها .

◊◊

---

(١) صحيح البخارى بشرح فتح البارى جـ١١ ص٣٥٢ كتاب الرقاق .

(٣) سؤال المشركين أآلهتهم خير أم عيسى عليه السلام :-

هذا من الأسئلة التي وجهت الى النبى صلى الله عليه وسلم بغرض التعجيز والجدال الغير مجدى .

قال تعالى :-
(وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلاً إذا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ . وَقَالُوا أَآلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَاضَرَبُوهُ لَكَ الاَّ جَدَلاً بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ . إِنْ هُوَ الاَّ عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلاً لِبَنِى اسْرائيل)(١).

التمهيد للآيات :

حينما حاول المشركون الدفاع عن عقائدهم الباطلة بطريقة الجدال الغير مجدى ضربوا مثلا بعيسى عليه السلام فقد عبده المنحرفون من النصارى- من دون الله تعالى وكان نبيا وعبدا صالحا - وكذلك عزير والملائكة عبدوا من دون الله تعالى . فيكونون كما ذكر القرآن من حصب جهنم فقد ذكر أن الكفار ومعبوداتهم فى النار، فبهذا احتج المشركون .

قال تعالى :
(إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ .لَوْ كَانَ هَؤُلاَءِ آلِهَةً مَاوَرَدُوهَا وَكُلٌ فِيهَا خَالِدُونَ . لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لاَ يَسْمَعُونَ)(٢)

فهذا احتجاج المشركين بعيسى وعزيز عليهما السلام والملائكة .

لكن الله تعالى أنزل مايكذب هؤلاء المشركين بان هؤلاء مكرمون ومبعدون عن النار.

فقال تعالى :
(اِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الحُسْنَى أُولئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ) (٣)

---

(١) سورة الزخرف الآيات ٥٧-٥٨-٥٩ .
(٢) سورة الأنبياء الآيات ٩٨-٩٩-١٠٠ .
(٣) سورة الأنبياء آية ١٠١ .

فقد استثنى الحق جل جلاله من هؤلاء ـ الذين سبقت لهم من الله تعالى الحسنى فهم مبعدون عن النار لأنهم عليهم السلام لم يأمروا أو يطلبوا من المشركين الضالين أن يعبدوهم فليس عليهم ذنب يستحقون به النار ثم إنهم من الأنبياء المقربين عند الله تعالى ومن الصالحين المبعدين عن النار .

ونقل الامام ابن كثير ما ذكر عن محمد بن اسحاق فى السيرة قال : وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيما بلغنى يوما مع الوليد بن المغيرة فى المسجد ، فجاء النضر ابن الحارث حتى جلس معهم ، وفى المجلس غير واحد من رجال قريش ، فتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فعرض له النضر بن الحارث فكلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أفحمه ، ثم تلا عليه وعليهم :

(إِنكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ) (١)

ثم قام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقبل عبد الله بن الزبعرى التميمى حتى جلس فقال الوليد بن المغيرة له : والله ما قام النضر بن الحارث لابن عبد المطلب وما قعد وقد زعم محمد أنا وما نعبد من آلهتنا هذه حصب جهنم ، فقال عبد الله بن الزبعرى أما والله لو وجدته لخصمته ، سلوا محمدا أكل ما يعبد من دون الله فى جهنم مع من عبد فنحن نعبد الملائكة ، واليهود تعبد عزيرا ، والنصارى تعبد المسيح عيسى بن مريم (عليه السلام) فعجب الوليد ومن كان معه فى المجلس من قول عبد الله بن الزبعرى ، ورأوا أنه قد احتج وخاصم ، فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : (كل من أحب أن يعبد من دون الله فهو مع من عبده فإنهم إنما يعبدون الشيطان ومن أمرهم بعبادته)(٢)

فأنزل الله تعالى :

(إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ) (٣)

أى عيسى عليه السلام وعزير عليه السلام ، ومن عبد معهما من الأحبار والرهبان ، الذين

---

(١) سورة الأنبياء آية ٩٨ .

(٢) تفسير ابن كثير جـ٦ ص٢٣٣ .

(٣) سورة الأنبياء آية ١٠١ .

مضوا على طاعة الله تعالى ، فاتخذهم من بعدهم من أهل الضلالة أربابا من دون الله تعالى .

ونزل فيما يذكر من أمر عيسى عليه السلام ، وانه يعبد من دون الله تعالى وعجب الوليد ومن حضره من حجته وخصومته .

فقال تعالى :

(وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلاً إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ)(١)

فمن هذا يتبين لنا جدلهم الباطل .

وأخرج الحاكم والترمذى :

(عن أبى أمامة رضى الله عنه قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم : " مَا ضَلَّ قَوْمٌ بَعْدَ هُدًى كَانُوا عَلَيْهِ إِلاَّ أُوتُوا الجَدَلَ "(٢)

ثم تلا أو قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(فما ضَرَبُوهُ لَكَ إِلاَّ جَدَلاً بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ) (٣)

وقد ذكر الحق تعالى طرفا من قصة عيسى عليه السلام يكشف حقيقته عليه السلام واختلاف قومه من بعده ثم هدد المنحرفين عن العقيدة باتيانهم بالساعة بغتة وهم لا يشعرون ولأن نزول عيسى عليه السلام من علامات يوم القيامة ثم بين حقيقة المشركين الضالين وطبيعتهم فإنهم ذوو الدد فى الخصومة عظيمو الجدل (٤)

ايضاح الآيات :

(وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلاً) : يخبر الله تعالى عن تعنت قريش فى كفرهم وتعمدهم العناد والجدل ولما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى :

---

(١) سورة الزخرف آية ٥٧ .

(٢) المستدرك على الصحيحين جـ٢ ص٤٤٨ كتاب التفسير / سورة الزخرف ، وسنن الترمذى جـ٥ ص٥ كتاب التفسير وسورة الزخرف .

(٣) سورة الزخرف آية ٥٧ .

(٤) فتح القدير جـ٤ ص٥٦١ وفى ظلال القرآن جـ٥ ص٣١٩٧ .

(إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون).(١)

غضبت قريش وقالوا : يا محمد أخاصة لنا ولآلهتنا أم لجميع الأمم ، فقال : رسول الله صلى الله عليه وسلم : هو لكم ولآلهتكم ، ولجميع الأمم .

ثم قالوا : ألست تزعم أن عيسى بن مريم نبى وتثنى عليه وعلى أمه خيرا وقد علمت أن النصارى عبدوهما من دون الله تعالى ، وكذلك عزير والملائكة عبدوا من دون الله .

فان كان هؤلاء فى النار فقد رضينا أن نكون نحن وآلهتنا معهم ففرحوا وضجوا بذلك المثل المضروب ورأوا أنهم قد احتجوا وخاصموا .

وذكر أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : " كل من أحب أن يعبد من دون الله فهو مع من عبده فانهم انما يعبدون الشيطان ومن أمرهم بعبادته)(٢)

فأنزل الله تعالى :

(إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون)(٣)

(إذا قومك منه يصدون) : أى إذا قريش يضحكون ويصيحون فرحا بالمثل المضروب لأن المراد بقومه كفار قريش .

وقيل معنى (يصدون) بالضم : يعرضون من الاعراض ، وبالكسر فى الضجيج .(٤)

(وقالوا أآلهتنا خير أم هو) : أى ان آلهتنا عندك يا محمد ليست خيرا من عيسى عليه السلام فاذا كان عيسى من حصب جهنم كان أمر آلهتنا هينا .(٥)

---

(١) سورة الأنبياء آية ٩٨ .
(٢) تفسير ابن كثير جـ٦ ص٢٣٣ ، والنسفى جـ٤ ص١٢٢ .
(٣) سورة الانبياء آية ١٠١ .
(٤) فتح القدير جـ٤ ص٥٦١ .
(٥) تفسير النسفى جـ٤ ص١٢٢ .

وقيل المراد بقوله (أَمْ هُوَ) محمد صلى الله عليه وسلم .(١)

ولكن الأرجح : قوله (أَمْ هُوَ) عيسى عليه السلام .

قال السدى وابن زيد : خاصموه وقالوا : إن كان كل من عبد من دون الله فى النار فنحن نرضى أن تكون آلهتنا مع عيسى وعزير والملائكة .(٢)

ولكن الله تعالى أنزل براءتهم من النار فقال تعالى :

(إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ) (٣)

(مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا) : ما مثلوا لك يا محمد عليه الصلاة والسلام ، ولا قالوا هذا القول إلا لأجل الجدل والخصومة يخاصمونك به وليس لطلب الحق

(بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ) : أى شديدوا الخصومة كثيروا اللدد عظيموا الجدل (٤)

وقال الامام ابو السعود :-

أ - وقيل : لما سمعوا قول الله تعالى :

(إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ)(٥)

قالوا : نحن أهدى من النصارى لأنهم عبدوا آدميا .

فنزلت (٦)

فقولهم : أآلهتنا خير أم هو حينئذ تفضيل لآلهتهم على عيسى عليه السلام .

وما قالوا هذا الا للجدل .

ب - ولما نزلت الآية من قوله تعالى :

(إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ)(٧)

---

(١) جامع البيان فى تفسير القرآن جـ٢٤ ص٥٣ .
(٢) فتح القدير جـ٤ ص٥٦١ .
(٣) سورة الانبياء آية ١٠١ .
(٤) جامع البيان فى تفسير القرآن جـ٢٤ ص٥٣ .
(٥) سورة آل عمران آية ٥٩ .
(٦) سورة الزخرف الآيتان ٥٧-٥٨ .
(٧) سورة آل عمران آية ٥٩ .

قالوا مايريد محمد بهذا إلا أن نعبده ،وأنه يستأهل أن يعبد وأن كان بشرا كما عبدت النصارى المسيح وهو بشر.

فمعنى (يصدون) : يضجون ويضجرون والضمير فى قوله (أَمْ هُوَ) عائد على محمد صلى الله عليه وسلم وغرضهم بالموازنة بينه عليه الصلاة والسلام وبين آلهتهم الاستهزاء .(١)

ولكن الأرجح :

أن الضمير فى قوله (أَمْ هُوَ) عائد على عيسى عليه السلام والآية تذكر أنهم قد خاصموا وجادلوا النبى صلى الله عليه وسلم فى أمر عيسى عليه السلام انه عبد من دون الله تعالى كما سبق وان الحق تعالى برأه من ذلك فقال :

(إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ)(٢)

(إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ)(٣)

أن عيسى عليه السلام عبد كسائر العبيد وأنعم الله عليه بالنبوة والمعجزات وجعله وصيره الحق تعالى آية وعبرة لسائر بنى اسرائيل ليعرفوا به عليه السلام قدرة الله تعالى فى خلقه عليه السلام من غير أب .

قال تعالى :

(قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ۝ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا)(٤)

وغير ذلك من المعجزات التى كانت على يديه عليه السلام من احياء الموتى وابراء الأكمه والأبرص وكل مريض باذن الله تعالى .(٥)

---

(١) تفسير ابى السعود جـ٨ ص٥١-٥٢ .
(٢) سورة الانبياء آية ١٠١ .
(٣) سورة الزخرف آية ٥٩ .
(٤) سورة مريم الآيتان ٢٠-٢١ .
(٥) تفسير النسفى جـ٤ ص١٢٢ وفتح القدير جـ٤ ص٥٦٢ .

المعنى الكلى للآيـــــات :

يكشف الحق تعالى الالتواء فى هذا الجدل الباطل الغير مجدى ويبرئ نبيــه عيسى عليه السلام مما ارتكبه المنحرفون من قومه ـ بعض النصارى وعبدوه وهو برئ .

وقد روى أن ابن الزبعرى قال للنبى صلى الله عليه وسلم فى محاجته الباطلـة ألست تزعم ان عيسى عليه السلام نبيا وتثنى عليه بالخير وعلمت أن النصارى عبدوه مـن دون الله تعالى فان كان هو فى النار فقد رضينا أن نكون نحن وآلهتنا معهم كما ذكرت أن كل مايعبد من دون الله يكون حصب جهنم .

ففرحت قريش بهذه المحاجة الباطلة وضجوا وارتفعت أصواتهم بالضحك ولكن الحـق تعالى أبرأه من ذلك فقال تعالى :

(إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ)(١)

قال الامام القرطبى :-

(لو تأمل عبدالله بن الزبعرى الآية الكريمة من قوله تعالى :

(إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ)(٢)

لما اعترض عليها) لأن الحق تعالى قال : (وما تعبدون) ولم يقل (ومن تعبدون) فـأراد الله تعالى الأصنام ونحوها مما لا يعقل ولم يرد به سيدنا عيسى عليه السلام ولا عزيــرا ولا الملائكة وذلك لأن الله تعالى أبرأهم وهم مبعدون عن النار كما قال تعالى :

(إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ) (٣)

ثم الخطاب فى الآية الكريمة :-

(إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ)(٤)

للمشركين عبدة الأصنام والأوثان فهم وأصنامهم وقود للنار .(٥)

---

(١) سورة الأنبياء آية ١٠١ .

(٢) سورة الأنبياء آية ٩٨ .

(٣) سورة الأنبياء آية ١٠١

(٤) سورة الانبياء آية ٩٨ .

(٥) الجامع لأحكام القرآن جـ١١ ص٣٤٣ ، جـ١٦ ص١٠٢-١٠٣ .

ثم قال الامام القرطبى :

إن رسول الله صلى الله عليه وسلم رد عليه بقوله : (ماأجهلك بلغة قومك)

ولأن (ما) لما لا يعقل .

فحينئذٍ لا تقع على الذين اتخذهم المنحرفون آلهة كالأنبياء والملائكة والصالحين وغيرهم بل إنما هى على الأصنام التى عبدها المشركون فهى مما لا يعقل .

ثم بين الحق تعالى شأن عيسى عليه السلام وحقيقته : فهو عبد من عباد الله تعالى لكن خصه الله تعالى بالنبوة وجعله قدوة لبنى اسرائيل ليقتدوا به ولكن انحرف فريق منهم وعبدوه من دون الله تعالى ونسوا أنه عليه السلام عبد وأنه خلق من خلق الله تعالى والعبادة لا يستحقها إلا الخالق القادر الموجد ، وليست مخالفة العادات توجب العبادة كما ضل بعض النصارى وانحرفوا بعبادتهم لسيدنا عيسى عليه السلام.[1]

---

(١) تفسير ابى السعود جـ٨ ص٥١-٥٢ ، والجامع لأحكام القرآن جـ١١ ص٣٤٣ وجـ١٦ ص١٠٢-١٠٣ وفى ظلال القرآن جـ٥ ص٣١٩٦ .

(٤) السؤال عن القتال فى الشهر الحرام :

قال تعالى :

(يَسألونكَ عَنِ الشَهرِ الحَرَامِ قِتَالٍ فيه قُلْ قِتَالٌ فيه كَبيرٌ وصَدٌّ عَن سَبيلِ اللّهِ وكُفرٌ بِـه والمَسْجِدِ الحَرَامِ وإِخراجُ أَهلِه مِنهُ أَكبرُ عندَ اللّهِ والفتنةُ أكبرُ مِنَ القَتلِ ولاَ يَزالُونَ يُقاتِلُونَكُم حتّى يَرُدّوكُمْ عَن دِينِكُم إِنِ استَطاعُوا وَمَن يرتَدِد مِنكُم عَن دِينِه فَيمُتْ وهُوَ كافِرٌ فأولئِـك حَبِطَتْ أعمالُهُم فِى الدُّنيا والآخِرةِ وأُولئكَ أَصحابُ النَارِ هُم فيها خَالِدُونَ)(١)

التمهيد للآية الكريمـة :

كان على اثر بعث النبى صلى الله عليه وسلم سرية عبد الله بن جحش ترصد عيـر لقريش وتعلم للنبى صلى الله عليه وسلم أخبارهم ، وقد وقع قتال فقتل ابن الحضرمـى فى اليوم الآخر من جمادى الآخر والتبس عليهم برجب فشنعت قريش على المسلمين بفعلهم هذا وقالوا استحل محمد وأصحابه الشهر الحرام وسفكوا فيه الدماء وأخذوا الأمـوال وأسروا فيه الرجال .(٢)

وقالت اليهود ـ تفاءل بذلك على محمد ـ عمر الحضرمى قتله واقد بن عبد اللـه ، عمرو ، عمرت الحرب ، والحضرمى ، حضرت الحرب ، وواقد بن عبد الله وقدت الحرب .(٣)

وقد رأيت أن هذا السؤال من ضمن أسئلة المشركين للنبى صلى الله عليه وسلـم وذلك لإحراج المصطفى صلى الله عليه وسلم والتشهير به وبالمسلمين والنيل من الاسـلام لوقوع القتال فى الشهر الحرام الذى حرمته قائمة قبل الاسلام ، وحرمته ثابتة للمسلمـين فى ذلك الوقت لأن النبى صلى الله عليه وسلم لما رجعت السرية بالعير والاسيريـن قال لهم : (ما أمرتكم بقتال فى الشهر الحرام) .

---

(١) سورة البقرة آية ٢١٧ .
(٢) السيرة النبوية لابن هشام جـ٢ ص٢٧٦ .
(٣) " " " جـ٢ص٢٨٠ .

وقد أوقف الأسيرين والعير - وندم أصحاب السرية على فعلهم هذا ، وظنوا إنهم قد هلكوا وعنفهم اخوانهم من المسلمين فيما صنعوا ، ونزلت الآية الكريمة .(١) وبينت حرمة القتال وانه أمر مستنكر أنذاك ولكن المسلمين لم يبدأوا بالقتال والعدوان أنذاك فالمشركون هم الذين منعوهم عن المسجد الحرام وأخرجوهم منه وآذوهم وفتنوهم حتى هاجروا وتركوا خيراتهم وأموالهم وديارهم ، فالمشركون كانوا ارتكبوا ذنبا أكبر من مجرد القتال الذى حصل فى سرية عبد الله بن جحش وقتل ابن الحضرمى حينما كانوا متأولين فى قتالهم ظانين انهم أصابوه فى اليوم الآخر من جمادى الآخر وليس بداية رجب فان كانوا مقصرين بعض التقصير فان الله يغفر لهم فى جنب مافعلوه من التوحيد والطاعات والهجرة مع النبى صلى الله عليه وسلم ونصرة الاسلام والمسلمين وايثار ماعند الله على الدنيا ومافيها .

فالآية الكريمة بينت ووضحت حرمة القتال فى الشهر الحرام الا أنه للدفاع جائز والأرجح أن حرمته قائمة الى يوم القيامة .(٢)

ذكر سرية عبد الله بن جحش

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن جَحْش بن رئاب الأسدى فى رجب مقفلة من بدر الأولى ، وبعث معه ثمانية رهط من المهاجرين ليس فيهم أحد من الأنصار، وكتب له كتابا ، وأمره أن لا ينظر فيه حتى يسير يومين ثم ينظر فيه ، فيمضى لما أمره به ، ولا يستكره أحدا من أصحابه .

فلما سار عبد الله بن جحش يومين فتح الكتاب ، فنظر فيه فاذا فيه اذا نظرت فى كتابى هذا فامضى حتى تنزل نخلة ، بين مكة والطائف ، فترصد بها قريشا وتعلم لنا أخبارهم .

فلما نظر عبد الله بن جحش فى الكتاب ، قال سمعا وطاعة ، ثم قال لأصحابه : قد أمرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أمضى الى نخلة ، أرصدُ بها قريشا

---

(١) سورة البقرة آية ٢١٧ .
(٢) جامع البيان فى تفسير القرآن جـ٢ ص ٢٠١-٢٠٢ وتفسير ابن كثير جـ١ ص ٤٤٧-٤٤٨ .

، حتى آتيه منهم بخبر ، وقد نهانى أن أستكره أحدا منكم ، فمن كان منكم يريد الشهادة ويرغب فيها فلينطلق ، ومن كره ذلك فليرجع ، فأما أنا فماضٍ لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فمضى ومضى معه أصحابه ولم يتخلف منهم أحد .

فلما رآهم القوم هابوهم وقد نزلوا قريبا منهم ، فأشرف عكاشة بن محصن وكان قد حلق رأسه ، فلما رأوه أمنوا ، وقالوا : عمار لا بأس عليكم منهم .

وتشاور القوم فيهم وذلك فى آخر يوم من رجب(١) فقال القوم والله لان تركتم القوم هذه الليلة ليدخلن الحرم فليمتنعن منكم به(٢) ولان قتلتموهم لتقتلنهم فى الشهر الحرام ، فتردد القوم وهابوا الاقدام عليهم فأجمعوا على قتل من قدروا منهم وأخذ مامعهم ، فرمى واقد ابن عبد الله التميمى عمرو بن الحضرمى بسهم فقتله واستأسر عثمان بن عبد الله والحاكم ابن كيسان وأفلت القوم نوفل بن عبد الله فأعجزهم وأقبل عبد الله بن جحش وأصحابه بالعير والأسيرين حتى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، فلما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم (ما أمرتكم بقتال فى الشهر الحرام) فأوقف العير والأسيرين (٣) وأبى أن يأخذ من ذلك شيئا ، فلما قال ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم سقط فى أيدى القوم(٤) وظنوا انهم قد هلكوا وعنفهم اخوانهم من المسلمين فيما صنعوا .

---

(١) وهناك رواية تفيد أن ذلك كان فى آخر يوم من جمادى الآخرة .
وأرجح الرواية الأولى (ابن هشام)
اذ أن عبد الله بن جحش ورفاقه تشاوروا هل يقتلونهم فى آخر يوم من رجب ويقع القتال فى الشهر الحرام أو يتركونهم حتى ينتهى رجب لكن سيدخل عمرو بن الحضرمى ورفاقه الحرم فيقع القتال فى الحرم وهو محرم شرعا من أجل هذا تشاوروا .

(٢) فانه لا يجوز قتالهم فى الحرم الا اذا هم بدأوا بالقتال فيه لقوله تعالى :
(ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه) .

(٣) حبسها حتى ينزل حكم الله فيها .

(٤) ندموا على فعلتهم .

وقالت قريش : قد استحل محمد وأصحابه الشهر الحرام ، وسفكوا فيه الدم وأخذوا فيه الأموال ، وأسروا فيه الرجال ، فقال : من يرد عليهم من المسلمين ، ممن كان بمكة إنما أصابوا ما أصابوا فى شعبان .

وقالت اليهود - تفاءل بذلك على محمد صلى الله عليه وسلم - عمرو الحضرمى قتله واقد بن عبد الله ، عمرو ، عمرت الحرب ، والحضرمى ، حضرت الحرب ، وواقد بن عبد الله ، وقدت الحرب .

فجعل الله ذلك عليهم لا لهم .

فلما أكثر الناس فى ذلك أنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم :

(يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ..) الآية(١)

فلما نزل القرآن بهذا الأمر ، فرج الله تعالى على المسلمين ما كانوا فيه من حرج وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم العير والأسيرين ، وبعثت اليه قريش فداء عثمان بن عبد الله ، والحكم بن كيسان ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا نفديكموهما حتى يقدم صاحبانا - سعد بن أبى وقاص ، وعتبة بن غزوان ، فإنا نخشاكم عليهما ، فان تقتلوهما نقتل صاحبيكم فقدم سعد ، وعتبة ، فأفداهما رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم .(٢)

ايضاح الآية الكريمة :

(يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ) : يسألك يا محمد كفار قريش عن القتال فى الشهر الحرام .

وقيل يسألك أصحابك عن القتال فى الشهر الحرام .

(قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ) : قل يا محمد جوابا لهم هو أمر مستنكر وعظيم وزره وحرام استحلال سفك الدماء فيه .(٣)

وكانت العرب لا تسفك فيه دما ولا تغير على العدو فى الاشهر الحرم وهى ذو القعدة ،

---

(١) سورة البقرة آية ٢١٧ .

(٢) السيرة النبوية لابن هشام جـ٢ ص٢٧٦-٢٨١ .

(٣) جامع البيان فى تفسير القرآن جـ٢ ص٢٠١ .

وذو الحجة ، والمحرم ، ورجب .

(وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ) منع وصرف عن دينه الموصل الى رضوانه ، أو عن البيت الحرام ، والهجرة ، وقيل هو كل مايوصل العبد الى الله تعالى من الطاعات وهذا هو الأرجح .(١)

(وَكُفْرٌ بِهِ) أى بالله تعالى .

(والْمَسْجِدِ الْحَرَامِ) عطف على (سَبِيلِ اللَّهِ) أى وصدٌّ عن سبيل الله وعن المسجد الحرام .

(وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ) أى أهل المسجد الحرام - وهم الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنون الذين هم أولياؤه لأنهم قائمون بحقوق المسجد الحرام دون المشركين .(٢)

(أَكْبَرُ عِندَ اللَّهِ) : أى أعظم إثما وأشد ذنبا من القتال فى الشهر الحرام .

(والْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ) أما ما ارتكبتموه من الشرك بالله وصد الناس عن الاسلام ابتداء وبقاء فهو أفظع من قتل ابن الحضرمى فى الشهر الحرام .

وقد فعل المشركون فى المسجد الحرام ماهو أكبر من القتل فيه ، وحرمة المسجد الحرام كحرمة الشهر الحرام .(٣)

(ولَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا) : اخبار من الله تعالى : بأن هؤلاء الكفار لا يزالون مستمرين على قتالكم وعداوتكم حتى يرجعوكم عن دينكم الاسلام الى الكفر (إِنِ اسْتَطَاعُوا) أى قدروا وتهيأ لهم ذلك منكم .

وفى هذا استبعاد له ، وفيه تحذير للمؤمنين .(٤)

(وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ) : تحذير من الله تعالى للمؤمنين من الاغترار بالكفار والدخول فيما يريدونه فهم يريدون أن يرجعوكم عن دينكم الاسلام فهو الغاية من مقاتلتهم للمؤمنين .(٥)

---

(١) روح المعانى جـ٢ ص١٠٩ .
(٢) تفسير ابى السعود جـ١ ص٢١٧ وفتح القدير جـ١ ص٢١٧-٢١٨ .
(٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل جـ١ ص٢٣٤-٢٣٥ والخازن جـ١ ص١٧٤ .
(٤) فتح القدير جـ١ ص٢١٨ ، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل جـ١ ص٢٣٤-٢٣٥ .
(٥) الخازن جـ١ ص١٧٤ .

والردة : الرجوع عن الاسلام إلى الكفر ، والتقيد بقوله (فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ) : لبيان أن عمل من أرتد عن الاسلام والعياذ بالله يبطل إذا مات على الكفر .

(فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ) بطلت جميع أعمالهم النافعة وردت عليهم " فى الدنيا) إذ يرفع الامان عنهم وعن أموالهم وأهليهم - (وَفِي الْآخِرَةِ) يسقط ثواب أعمالهم الصالحة ويبطل فلا يجزون عليها .

(وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) أى الموصوفون بتلك الصفات هم أهل النار وهم ملازمون لها كسائر الكفار لا يموتون ولا يخرجون منها أبداً .(١)

المعنى الكلى للآية الكريمة :

ان المسلمين يعلمون حرمة القتال فى الشهر الحرام وفى البلد الحرام وان الأمر به كان فى غير الاشهر الحرم والمسجد الحرام ، فحينما وقع القتال فى السرية التى بعثها رسول الله صلى الله عليه وسلم لترصد عير قريش وتأتيهم بأخباره وقد وقع منهم القتال لابن الحضرمى فى أواخر جمادى الآخرة ظنا منهم وليس فى أول رجب ، ولما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أوقف العير والأسيرين وقال : (ما أمرتكم بقتال فى الشهر الحرام) واختلف فى السائلين عن ذلك هل هم المسلمون أم المشركون ولكن الأرجح أنه صدر من المشركين وذلك لاحراج النبى صلى الله عليه وسلم والتشهير به وبالمسلمين والنيل من الاسلام والمسلمين الذين انتهكوا حرمة القتال فى الشهر الحرام فهذه الدعايا الباطلة والشبهات من اليهود ومن المشركين تنتشر بأن محمدا استحل هو وأصحابه الشهر الحرام وسفكوا فيه الدم وأخذوا الأموال وأسروا فيه الرجال وغير ذلك .

ثم ان اليهود كذلك قالت : عمرو بن الحضرمى قتله واقد بن عبد الله .... عمرو : عمرت الحرب ، والحضرمى : حضرت الحرب ، وواقد : وقدت الحرب . فهذه الأساليب الماكرة التى تظهر محمدا وأصحابه رضوان الله عليهم بمظهر المعتدى

---

(١) الخازن جـ١ ص١٧٤ وفتح القدير جـ١ ص٢١٨ .

تتشر بينهم الى أن أنزل الله تعالى تقرير حرمة القتال فى الشهر الحرام ، وأن القتال فيه أمر عظيم مستنكر انذاك ، ولكن المشركين هم الذين صدوا الناس عن الايمان بالله وبمحمد صلى الله عليه وسلم وأبعدوا المسلمين عن المسجد الحرام فمنعوا الطائفين و والعاكفين والركع السجود وأخرجوهم من المسجد الحرام بل من مكة حينما آذوهم حتى هاجروا وتركوا الأموال والديار والخيرات فقد انتهك هؤلاء المعتدون حرمات المسجد الحرام والبلد الحرام باخراج أهله منه وهم القائمون بحقوق المسجد الحرام فارتكابهم هذه الجرائم أكبر من القتال فى الشهر الحرام وكيف بهم وهم قد فعلوا هذا كله، ولكن الحق تعالى بين الحكم العادل بين أوليائه وأعدائه فلم يبرئ هؤلاء من ارتكاب الاثم بالقتال فى الشهر الحرام ولاسيما انهم كانوا متأولين فى قتالهم هذا ظانين انه وقع فى اليوم الآخر من جمادى الآخر فهم مقصرون نوع تقصير ولكن الحق تعالى يغفر لهم مافعلوه لما صدر عنهم من التوحيد والطاعات والهجرة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وايثار ماعند الله تعالى ثم يكشف الحق تعالى عن الشر الذى يحمله أعداء الاسلام والمسلمين فى عدوانهم ومقاتلتهم للمسلمين فليس لهم هم الا محاربة الاسلام وفتنة المسلمين عن دينهم ورجوعهم بعد الايمان الى الكفر والضلال . ولهذا حذر الله تعالى المؤمنين منهم فعليهم الصبر على مكائدهم لان من عرف الحق وسار على طريق النور لا يرجع الى الكفر والضلال والظلمات ومن رجع الى الكفر فانه يخسر الدنيا والآخرة ، ويخلد فى العذاب المهين .

بيان الخلاف فى نسخ الآية الكريمة :

لقد دلت الآية الكريمة على حرمة القتال فى الشهر الحرام ولكن اختلف فى هذا الحكم هل هو منسوخ أولا ؟ على رأيين :-

أ - أن الآية الكريمة محكمة وأنه لا يجوز الغزو فى الشهر الحرام إلا ان يقاتلوا فيه فيقاتلوا على سبيل الدفع فهو جائز .

أخرج الامام احمد بن حنبل :

(عن جابر بن عبد الله قال : لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يغزو فى الشهر الحرام الا أن يغزى أو يغزوا)(١)

(١) مسند الامام أحمد جـ٣ ص٣٤٥ .

ونقل عن عطاء أنه كان يحلف بالله مايحل للناس أن يغزوا فى الشهر الحرام ولا يقاتلوا فيه وما نسخت الآية .

وقال الامام ابن العربى : لأن الآيات بعدها عامة فى الأزمنة وهذا خاص، والعام لا ينسخ بالخاص باتفاق .(١)

ب ـ أن الآية الكريمة منسوخة وقتال المشركين فى الأشهر الحرم مباح ولكن اختلف فى ناسخها :ـ

فقيل نسختها آية براءة قول الله تعالى :ـ

(إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ)(٢)

وقيل نسختها الآية من قوله تعالى :

(فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ)(٣)

ولكن هذه الآية الكريمة تبين أنه بعد انقضاء الأشهر الحرم يجوز قتال المشركين حيث كانوا .

ثم قال ابن العربى :ـ

ان الآية الكريمة

(يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ) الآية (٤)

رد على المشركين حين أعظموا على النبى صلى الله عليه وسلم القتال فى الشهر الحرام .

---

(١) أحكام القرآن جـ١ ص١٤٧ ، والتفسير الكبير جـ٦ ص٣١ .
(٢) سورة التوبة ص٣٦ .
(٣) سورة التوبة آية ٥ .
(٤) سورة البقرة آية ٢١٧ .

فقال تعالى :-
(وَصَدٌ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ)[١]

ثم قال ابن العربى أيضا :

فإذا فعلتم ذلك كله فى الشهر الحرام تعين قتالكم فيه [٢]

والأرجح والأصح ان القتال فى الاشهر الحرم حرام كما كان قبل الاسلام وأن القتال فى الشهر الحرام على سبيل الدفع جائز لقوله تعالى :

(الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ)[٣]

◊◊

---
(١) سورة البقرة آية ٢١٧ .
(٢) أحكام القرآن لابن العربى جـ١ ص١٤٧ .
(٣) سورة البقرة آية ١٩٤ .

ثالثا : أسئلة اليهود التي وجهت الى النبي صلى الله عليه وسلم ومنها :

(١) السؤال عن سبب تحويل القبلة .

(٢) السؤال عن أصحاب الكهف .

(٣) السؤال عن ذى القرنين .

(٤) السؤال عن الروح .

١ - السؤال عن سبب تحويل القبلة من بيت المقدس الى الكعبة المشرفة .

قال تعالى :

(سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ)(١)

التمهيد للآية الكريمة :

لقد كان توجه المسلمين فى مكة الى بيت الله الحرام ـ الكعبة المشرفة ....

وفى المدينة بعد الهجرة كان توجههم الى بيت المقدس وأشاع اليهود أن اتجاه محمد ومن معه من المسلمين الى قبلتهم فى الصلاة دليل على أن دينهم هو الدين وأن قبلتهم هى القبلة ، فالأولى بمحمد ومن معه أن يتجهوا الى دينهم (اليهودية) ولا يدعوهم محمد الى الدخول فى الاسلام .(٢)

هل كان التوجه الى بيت المقدس بوحى من الله أو باجتهاد من الرسول ؟

(أ) قيل انه ليس فى ذلك نص قرآنى بل باختيار النبى صلى الله عليه وسلم .

ذكر الامام ابن جرير الطبرى ما نقل عن عكرمة والحسن البصرى قالا :

أول ما نسخ من القرآن القبلة ، وذلك أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يستقبل صخرة بيت المقدس وهى قبلة اليهود ، فاستقبلها النبى صلى الله عليه وسلم سبعة عشر شهرا

---

(١) سورة البقرة آية ١٤٢ .

(٢) فى ظلال القرآن جـ١ ص١٢٥ .

ليؤمنوا به ويتبعوه ، ويدعو بذلك الأميين من العرب)(١)

فقال الله عز وجل :

(ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله إن الله واسع عليم) (٢)

وذكر أيضا عن الربيع قال : قال : أبو العالية أن نبى الله صلى الله عليه وسلم خير أن يوجه وجهه حيث شاء فاختار بيت المقدس لكى يتألف أهل الكتاب - اليهود والنصارى - فكانت قبلته ستة عشر شهرا ، وهو يقلب وجهه فى السماء ثم وجهه الى بيته الحرام .(٣)

فقال تعالى :

(قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره وإن الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم وما الله بغافل عما يعملون)(٤)

ب - قيل بفرض الله تعالى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وعلى المسلمين :-

ذكر الامام ابن جرير الطبرى مانقل عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : لما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة وكان أهلها اليهود أمره الله أن يستقبل بيت المقدس ففرحت اليهود بذلك ، فاستقبلها رسول الله صلى الله عليه وسلم بضعة عشر شهرا ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب قبلة أبيه ابراهيم عليه السلام ، وكان عليه الصلاة والسلام يدعو وينظر الى السماء .

فأنزل الله تعالى :

(قد نرى تقلب وجهك فى السماء ......) الآية (٥)

فارتاب من ذلك اليهود وقالوا ماولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها .(٦)

فأنزل الله عز وجل :

(سيقول السفهاء من الناس ماولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب يهدى من يشاء الى صراط مستقيم)(٧)

---

(١) جامع البيان فى تفسير القرآن جـ٢ ص٤ .
(٢) سورة البقرة آية ١١٥ .
(٣) جامع البيان فى تفسير القرآن جـ٢ص٤ .
(٤)(٥) سورة البقرة آية ١٤٤ .
(٦) جامع البيان فى تفسير القرآن جـ٢ ص٤ .
(٧) سورة البقرة آية ١٤٢ .

وبهذا قال الجمهور واستدلوا بقوله تعالى :

(وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ)(١)

وهذا القول أميل اليه وأرجحه .

وان اليهود هم الذين أثاروا الضجة حول تحويل القبلة من بيت المقدس الى الكعبة للتشكيك والاعتراض على النبى صلى الله عليه وسلم ولكن الله تعالى أكرمه وأنزل عليه ما يرضيه وجعل ذلك حجة عليهم .

أخرج الامام البخارى :-

(عَنِ البَرَاءِ أَنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم كَانَ أَوَّلُ مَاقَدِمَ المَدِينَةَ نَزَلَ عَلَى أَجْدَادِهِ أو قَالَ أَخْوَالِهِ - مِنَ الأَنصار ، وأَنَّهُ صَلَّى قِبَلَ بَيْتِ المَقْدِسِ سِتَّةَ عَشَرَ شَهْرًا ، أو سَبْعَةَ عَشَرَ شَهْراً ، وكَانَ يُعْجِبُهُ أَنْ تَكُونَ قِبْلَتُهُ قِبَلَ البَيْتِ وأَنَّهُ صَلَّى أول صَلَاةٍ صَلَّاهَا(٢) صلاة العَصْرِ ، وَصَلَّى مَعَهُ قَوْمٌ ، فَخَرَجَ رَجُلٌ مِمَّنْ صَلَّى مَعَهُ فَمَرَّ عَلَى أَهْلِ مَسْجِدٍ وَهُمْ رَاكِعُونَ فقال : أَشْهَدُ(٣) باللَّهِ لَقَدْ صَلَّيْتُ مَعَ رسولِ اللَّه صلى الله عليه وسلم قِبَلَ(٤) مَكَّةَ ، فَدَارُوا - كما هُم - قِبَلَ البَيْتِ وكَانَتِ اليَهُودُ قد أَعْجَبَهُم اِذْ كَانَ يُصَلِّي قِبَلَ بَيْتِ المَقْدِسِ ، وأَهلُ الكِتَابِ(٥) ، فَلَمَّا وَلَّى

---

(١) سورة البقرة آية ١٤٣ .
قال ابن حجر : شك من أبى اسحاق ، فى اطلاق أجداده أو أخواله مجاز ، لأن الأنصار أقاربه من جهة الأمومة لأن أم جده عبد المطلب بن هاشم منهم ، وهى سلمى بنت عمرو أحد بنى عدى بن النجار . وانما نزل النبى صلى الله عليه وسلم على اخواتهم من بنى النجار .

(٢) قال الامام ابن حجر : وفى الكلام تقدير لم يذكر لوضوحه : أى أول صلاة صلاها متوجها الى الكعبة صلاة العصر .

(٣) أحلف بالله .

(٤) قبل البيت فى مكة .

(٥) (وأهل الكتاب) بالرفع عطف على اليهود ، من عطف العام على الخاص . وقيل المراد النصارى لأنهم أهل الكتاب ويحتمل انه بالنصب لأن الواو بمعنى مع أى يصلى مع أهل الكتاب الى بيت المقدس .

وَجْهه قِبَلَ البيتِ أنكرُوا ذلكَ)(١)

وذكر الامام الألوسي مانقل عن الامام القفال قال :

ان الآية الكريمة نزلت بعد تحويل القبلة لأن لفظ (سيقول) المراد منه الماضي

وذكر أن هذا يؤيده مارواه الامام البخاري بسنده :

(عن البراء رضى الله عنه " أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى الى بَيتِ المَقْدِس سِتَّةَ عشرَ شَهْراً أو سَبْعَةَ عَشَرَ شهراً ، وكان يُعْجِبُهُ أنْ تكونَ قِبلَتُه قِبَلَ البَيتِ .....)الحديث (٢)

المدة التى صلاها النبى صلى الله عليه وسلم ومن معه قبل بيت المقدس :-

هناك عدة روايات منها ماتذكر انها سِتَّةَ عشرَ شَهْراً ، ومنها ماتذكر سَبْعَةَ عَشَرَ شهراً .

ومنها ماتذكر أنها سَبْعَةَ عَشَرَ شهراً أو سِتَّةَ عَشَرَ شَهرا .(٢)

وكل الروايات فى الصحيحين ويمكن الجمع بينهما بما يأتى :

القول : انه عليه الصلاة والسلام قدم المدينة فى شهر ربيع الأول ، وحولت القبلة الى مكة ـ الكعبة المشرفة ـ فى منتصف شهر رجب فى السنة الثانية من الهجرة على الصحيح ، فمن جزم بستة عشر شهرا ، فقد لفق من شهر القدوم ، وشهر التحويل شهرا ، وألغى الزائد .

ومن جزم بسبعة عشر شهرا عدهما معا ،

ومن شك تردد فى ذلك ، لأن القدوم كان من شهر ربيع الأول بلا خلاف ، وكان التحويل الى الكعبة المشرفة فى منتصف شهر رجب من السنة الثانية من الهجرة على الصحيح ، وبهذا جزم الجمهور .(٣)

---

(١) صحيح البخارى بشرح فتح البارى جـ١ ص٩٥ ، كتاب الايمان .

(٢) صحيح البخارى بشرح فتح البارى جـ٨ ص١٧١ كتاب التفسير / باب (سيقول السفهاء من الناس .....) الآية ١٤٢ (البقرة وجـ١ ص٩٥ كتاب الايمان / باب الصلاة من الايمان وقول الله (وما كان الله ليضيع ايمانكم) يعنى صلاتكم .

(٢) صحيح مسلم بشرح النووى جـ٥ ص٩ باب تحويل القبلة من بيت المقدس الى الكعبة .

(٣) فتح البارى شرح صحيح البخارى جـ١ ص٩٦ كتاب الايمان .

ايضاح الآية الكريمـــــــــة :

(سَيَقُولُ السفهاءُ مِنَ النَّاسِ) : (سَيَقُولُ) بمعنى قال ، وعبر عن الماضى بالمستقبـــل للدلالة على استدامة ذلك وأنهم مستمرون على هذا القول ،

(السُّفهاءُ) جمع سفيه وهو الخفيف العقل ، والمراد بهم اليهود بالمدينة .

وقد قيل فيهم انهم : المنافقون ، وقيل انهم كفار قريش ، وقيل انهم من اليهود والمنافقين وقيل اللفظ للعموم فيدخل فيه الكل . وهذا على أن الآية نزلت بعد التحويل .

وقيل : ان الآية نزلت قبل التحويل .

وهذا اخبار من الله تعالى لنبيه محمد صلى اللّه عليه وسلم والمؤمنين كان قبل التحول الـى الكعبة لأن الاخبار بالمكروه اذا وقع قبل وقوعه كان فيه تهوين لصدمته وتخفيف لروعتـــــه وكسر لسورته ، وأمدوا بالجواب قبل ذلك لخصم العدو والرد عليه ، وفيه دليل على النبوة حيث الاخبار عن الغيب قبل وقوعه معجزة (١) .

وقال الامام الخازن :

أمكن حمل هذا اللفظ على اليهود ، والمشركين ، والمنافقين .

وذلك لأن اليهود طعنوا فى تحويل القبلة عن بيت المقدس الى مكة ـ الكعبة لأنهم لا يرون النسخ .(٢)

قال تعالى :

(مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)(٣)

وقال الامام ابن حجر العسقلانى فى الفتح :(٤)

اليهود قالوا : خالف قبلة الأنبياء ولو كان نبيا لما خالف ، فلما كثرت الأقاويل نزلت هـذه

---

(١) روح المعانى جـ٢ ص٢ ، وفتح القدير جـ١ ص١٥٠ .
(٢) تفسير الخازن جـ١ ص١٠٠ .
(٣) سورة البقرة آية ١٠٦ .
(٤) فتح البارى بشرح صحيح البخارى جـ٨ ص١٧١ كتاب التفسير / باب (سيقول السفهاء .. ..) الآية ١٤٢ البقرة .

الآية من سورة البقرة قال تعالى :-
(مانَنسَخْ مِنْ آيةٍ أوْ نُنسِهَا نأْتِ بخَيرٍ مِنْهَا أوْ مِثلِهَا ألَمْ تعْلَمْ أن اللهَ علَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)(١)
ثم قال الامام ابن حجر فى قوله تعالى :
(ومِنْ حَيثُ خَرجْتَ فوَلِّ وجْهكَ شَطْرَ المَسْجِدِ الحَرامِ وحَيثُ مَا كُنتُمْ فوَلُّوا وُجُوهَكُم شَطْرَهُ لِئَلا يَكُونَ لِلنَّاسِ علَيكُمْ حُجَّةٌ إلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُم فَلاَ تَخْشَوْهُم واخْشَونِي ولأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيكُمْ ولعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ)(٢)

وقد قيل انها نزلت فى مشركى مكة حينما قالوا : تردد محمد على أمر واشتاق الى مولده وقد توجه الى بلدكم فلعله يرجع الى دينكم لأنه علم اننا على الحق . وقيل انها نزلت فى المنافقين لأنهم قالوا ذلك استهزاءً بالاسلام .

قال الامام ابن حجر :-
أهل النفاق قالوا : انه كان أولا على الحق فالذى انتقل اليه باطل وبالعكس.(٣)
قال الامام الخازن :
لهذا احتمل اللفظ العموم فيدخل فيه الجميع ، وهذا الكلام وقع منهم فلا فائدة فى التخصيص لأن أعداء الاسلام يبالغون فى الطعن والتشكيك والندم اذا وجدوا مجالا(٤)
(مَاوَلاَّهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِم التِي كَانُوا عَلَيهَا) : الاستفهام للانكار والنفى .
ماصرفهم عن الجهة التى يستقبلونها فى الصلاة ، والمراد بها بيت المقدس وقد كانوا مستمرين على التوجه اليها .
وسميت القبلة بذلك لأن المصلى يقابلها وتقابله .
(قُلْ لِلَّهِ المَشْرِقُ والمَغْرِبُ) أى قل لهم جوابا على ذلك أن لله تعالى ناحيتا الأرض - الجهات

---

(١) سورة البقرة آية ١٠٦ .
(٢) سورة البقرة آية ١٥٠ .
(٣) تفسير الخازن جـ١ ص١٠٠ وفتح البارى شرح صحيح البخارى جـ٨ ص١٧١ كتاب التفسير .
(٤) الخازن جـ١ ص١٠٠ .

كلها له تعالى ملكا وملكا وتصرفا ولا اختصاص لناحية منها دون الأخرى لذاتها وكونها قبلة بدون ماعداها بل انما هو أمر الله تعالى ومشيئته واضافها اليه تعالى تشريفا وتخصيصا .(١)

قال الامام الشوكانى :

فله تعالى أن يأمر العباد بالتوجه الى أى جهة شاء ، وهذا اشعار بأن تحويل القبلة الى الكعبة من الهداية للنبى صلى الله عليه وسلم ولأهل ملته الى الصراط المستقيم(٢)

قال تعالى :

(وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ....) الآية (٣)

(يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ) : أى طريق مستوى بما تقتضيه الحكمة والمصلحة من التوجه الى بيت المقدس تارة والى الكعبة أخرى (٤) .

المعنى الكلى للآية :-

لقد علم الله سبحانه وتعالى أنه عند تحويل القبلة من بيت المقدس الى - مكة - الكعبة المشرفة سيطلق اعداء الاسلام الأقاويل والتشكيك للطعن فى الدين الاسلامى وسيقولون أى شئ صرف المسلمين عن قبلتهم التى كانوا عليها ، فأخبر الله تعالى به رسوله - صلى الله عليه وسلم - قبل وقوعه ولقنه الحجة الواضحة ليوطن نفسه عليه الصلاة والسلام لأن الاخبار بالمكروه قبل وقوعه فيه تهوين لصدمته وتخفيفا لروعته واعداد للجواب

---

(١) تفسير ابى السعود جـ١ ص١٧١ .
(٢) فتح القدير جـ١ ص١٥٠ .
(٣) سورة البقرة آية ١٤٣ .
(٤) أنوار التنزيل وأسرار التأويل جـ١ ص١٩٤ .

بما يكبت العدو اللدود وفيه دليل على النبوة .

فاخبار النبى صلى الله عليه وسلم بذلك قبل وقوعه من دلائل النبوة .

وقد تعجب وأنكر أعداء الاسلام والمسلمين هذا الانصراف والتولى عن الجهة التى كانوا ثابتين عليها . ولكن الله تعالى أمر رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم أن يرد عليهم ويكبتهم بأن لله تعالى ناحيتا المشرق والمغرب فلا اختصاص لناحية دون الأخرى فله سبحانه وتعالى ان يأمر عباده بالتوجه الى أى جهة شاء لانها كلها له ملكا وملكا وخلقا وانما أضافها تعالى اليه تشريفا وتخصيصا وجعلها للناس قبلة لتكون جامعة لهم فى عباداتهم فلهم ان يمتثلوا لكل ما يأمر به تعالى ؛ لأن فيه المصلحة لهم فانه جل ثناؤه يهديهم ويوفقهم الى طريق مستقيم .

◊◊

وقد رأيت أن الأسئلة الثلاثة وهى :

السؤال عن : أصحاب الكهف ، ذى القرنين ، الروح

من أسئلة اليهود وان كان المشركون هم الذين باشروا سؤال النبى صلى الله عليه وسلم -عنها فقد كانت بايعاز اليهود لهم لأن عندهم خبرها وهم أهل كتاب ، وقد أشاروا بها عليهم عند ما بعث المشركون لليهود نفرا يطلبون منهم شيئا ليختبروا به النبى ويمتحنوه .

فأخبروهم عن هذه الأشياء الثلاثة .

(٢) السؤال عن أصحاب الكهف قال تعالى :

(نَّحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ نَبَأَهُم بِالۡحَقِّ إِنَّهُمۡ فِتۡيَةٌ آمَنُواْ بِرَبِّهِمۡ وَزِدۡنَاهُمۡ هُدًى)[1]

التمهيد للآية الكريمة :

ان أصحاب الكهف فتية فى الدهور الأولى أووا الى الكهف -والكهف فتح فى الجبل وكانوا قد آمنوا وفروا من قومهم الكفار والتجأوا الى الكهف .

وقد ضرب الله تعالى على آذانهم فى الكهف سنين عددا فناموا الى أن بعثهم الله تعالى :

وذكر فى سبب النزول :

ان قريشا سألوا أحبار اليهود عن النبى صلى الله عليه وسلم ووصفوا لهم صفته وأخبروهم بقوله فحرضوهم أن يسألوا النبى صلى الله عليه وسلم سؤال اختبار وتعجيز عن ثلاثة أشياء : عن الفتية فى الدهور الأولى ماهو خبرهم ، وعن الرجل الطواف ، وعن الروح .

وقد ذكر الامام ابن جرير مانقل عن ابن اسحاق عن شيخ مصر عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : (بعثت قريش النضر بن الحرث ، وعقبة بن أبى معيط الى احبار

---

(١) سورة الكهف آية (١٣)

اليهود بالمدينة ، فقالوا لهم : سلوهم عن محمد ، وصفوا لهم صفته وأخبروهم بقوله ، فانهم أهل كتاب ، وعندهم ماليس عندنا من علم الانبياء .

فخرجا حتى أتيا المدينة فسألوا أحبار اليهود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ووصفوا لهم أمره ، وبعض قوله ، فقالوا : سلوه عن ثلاث أشياء فان أخبركم بهن فهو نبي مرسل ، وان لم يفعل فالرجل متقول .

سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول ، ماكان أمرهم فانه كان لهم أمر عجيب ، وسلوه عن رجل طواف بلغ مشارق الأرض ومغاربها ، ماكان نبؤه - أي خبره - ، وسلوه عن الروح - ماهو ؟ .

فأقبلا حتى قدما على قريش ، فقالا : قد جئناكم بفصل ما بينكم وبين محمد ، فجاءوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألوه ، فقال : أخبركم غدا بما سألتم ، ولم يستثن - أي يقول انشاء الله ، فانصرفوا ، ومكث رسول الله صلى الله عليه وسلم خمس عشر ليلة ، لايحدث الله في ذلك اليه وحيا ، ولا يأتيه جبريل ، حتى أرجف المشركون ، وحتى أحزن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وشق عليه ماتكلم به أهل مكة ثم جاء جبريل من الله تعالى بسورة الكهف ، وفيها معاتبته اياه على حزنه عليهم ، وخبر ماسألوه عنه من أمر الفتية - والرجل الطواف ، وقول الله تعالى(١)

(وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا)(٢)

---

(١) جامع البيان في تفسير القرآن جـ٥ ص١٢٧ ، وذكر الحديث ابن كثير جـ٤ ص١٣٦ ، وذكر أيضا في أسباب النزول للسيوطي ص١٤٣ .

(٢) سورة الاسراء آية ٨٥ .

اجمال قصة أهل الكهف فى القرآن الكريم :

لقد ذكر الحق تعالى قصة أصحاب الكهف فى الآيات التالية :-

قال تعالى :

(أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَباً . إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَداً . فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَداً . ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَداً)(١)

اجمال قصة أهل الكهف وسبب خروجهم اليه :(٢)

ان قصة أصحاب الكهف ـ الفتية ـ نموذج للايمان الحقيقى وايثار ماعند الله تعالى وترك الدنيا ونعيمها الفانى ، فهؤلاء شباب آمنوا بربهم ايمانا صادقا بعيدا عن الشرك والضلال والأهواء ، فألهمهم الله تعالى رشدهم فاعترفوا بالوحدانية له تعالى .

قال الامام ابن كثير ذكر انهم كانوا على دين المسيح عيسى ابن مريم عليهما السلام ، فالله أعلم ؛

قال الامام ابن كثير :

والظاهر انهم كانوا قبل ملة النصرانية بالكلية ، فلو كانوا على دين النصرانية لما اعتنى بخبرهم أحبار اليهود ، ثم حرضوا قريشا على أن يسألوا محمدا عن خبرهم كما سبق ذكر ذلك فى سبب النزول .

وهذا لمباينتهم لهم ، وأن هذا أمر محفوظ لديهم فى كتبهم السابقة ، فانهم كانوا متقدمين على ملة النصرانية والله أعلم .(٣)

---

(١) سورة الكهف الآيات ٩ ، ١٠ ، ١١ ، ١٢ .

(٢) ذكر فى كتب التفاسير وكتب السيرة النبوية لابن هشام جـ٢ ص٣٠٣ -٣٠٦ .

(٣) ابن كثير جـ٤ ص٢٧٠ .

فالتجأ هؤلاء الشباب الى كهف ليعزلهم عن قومهم الذين عبدوا مع الله آلهة أخرى ويريدونهم على ما هم عليه من الضلال والخسران ، وقد كان معهم كلبهم باسطا ذراعيه كأنه يحرسهم، وشملهم الله برحمته بعيدا عن الفتنة . ولا يعلم عددهم الا الله تعالى وضرب الله على آذانهم فلم يسمعوا شيئا فناموا فى الكهف سنين معدودة لا يعلم عددها الا الله تعالى.

ومرت السنوات وتعاقب الزمان وتغيرت الملوك ، وقد اختلف الناس حينئذ فى أمر الساعة ، فمنهم المؤمن بها ومنهم الكافر بها وأراد الله تعالى أن يرى الناس آية على البعث وأن الساعة لا ريب فيها وأن الله يبعث من فى القبور .

فبعث الله تعالى هؤلاء الفتية ، ويقال : ان وجوههم مسفرة وقد حفظها الله وكذلك أبدانهم فهم على هيئتهم التى ناموا عليها ، وقد كان لأحدهم نقود فضية أرسلوا بها أحدهم ليأتيهم بشئ من الطعام وكانوا على حذر من أن يكشف أمرهم . ثم ذهب رفيقهم وقد رأى المدينة تغير حالها وأهلها وملكها وغير ذلك . وقد أصبح أهل المدينة مؤمنين شديدى الحفاوة بالفتية بعد أن انكشف أمرهم بذهاب أحدهم الى المدينة ، وقد عرف الناس أنهم فروا بدينهم منذ عهد بعيد وان قصتهم على غرابتها ليست بأعجب من آيات الله تعالى فى الكون وقدرته وسلطانه فى جميع الأشياء .(١)

ايضاح الآية الكريمة :

(نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ) : الله تعالى ينبئك نبأ هؤلاء الفتية الشباب - حينما أووا الى الكهف - الفتح فى الجبل نبأ حق وصدق لا ريب فيه .

قال الامام الألوسى :

لعل فى التقييد (بالحق) اشارة الى أن فى عهده صلى الله عليه وسلم من يقص نبأهم لكن لا بالحق .(٢)

---

(١) جامع البيان فى تفسير القرآن جـ ١٥ ص ١٣٠-١٣٧ ، وتفسير ابن كثير جـ ٤ ص ٣٦٩-٣٧٣ . وحاشية الصاوى على تفسير الجلالين جـ ٣ ص ٥-٧ وفى ظلال القرآن جـ ٤ ص ٢٢٦١-٢٢٦٤ ، والسيرة النبوية لابن هشام جـ ٢ ص ٣٠٣-٣٠٦ .

(٢) روح المعانى جـ ١٥ ص ٢١٦ .

(إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ) : هم الشباب الذين هم أقبل للحق وأهدى للسبيل من الشيوخ الذين عتوا وانغمسوا فى الباطل .

وقال الامام ابن كثير :

لهذا كان أكثر المستجيبين لله تعالى ولرسوله محمد صلى الله عليه وسلم شبابـــا ، وأما المشايخ من قريش ، فعامتهم بقوا على دينهم ولم يسلم منهم الا القليل .(١)

(وَزِدْنَاهُمْ هُدًى) : قويناهم على قول الحق وذلك بترجيح جانب الله تعالى على جانب أنفسهم وبالتثبيت على الإيمان والتوفيق والعمل الصالح .(٢)

---

(١) تفسير ابن كثير جـ٤ ص٣٦٩ .
(٢) حاشية الصاوى على تفسير الجلالين جـ٣ ص٦ .

(٣) السؤال عن ذى القرنين :

قال تعالى :

(وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا . إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا . فَأَتْبَعَ سَبَبًا .)(١)

التمهيد للآيات :

لقد وجهت اليهود الى النبى صلى الله عليه وسلم على لسان المشركين سؤالا عن ذى القرنين بقصد الامتحان والتعجيز.

فأوحى الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم الآيات التى تذكر قصته ، ورحلاته التى بلغ بها أقصى الشرق والغرب ، وطريقا ثالثا معترضا بين الشرق والغرب وبناء السد فى وجه يأجوج ومأجوج .

وقد وردت قصة ذى القرنين فى كتب أخرى وتفاسير فيها بعض الأقوال الغير موثوق بها فينبغى الحذر منها لما فى بعضها من الاسرائيليات لأن القرآن الكريم لم يذكر لنا شيئا عن أوصافه - ولا عن زمانه - أو مكانه والعرب لم تعرف عنه شيئا ، ولكن الله تعالى بين لنا قصته فى القرآن الكريم . فالعبرة المستفادة أن الله تعالى مكن له فى الأرض وأعطاه السلطان والجاه ويسر له أسباب الحكم والفتح وأسباب العمران والبناء وأتاه من الأسباب لكل شىء أراده فى الملك وسهل له كل طريق يوصل اليه فاتبع الأسباب حتى بلغه وذلك بقدرة الله تعالى فلولا الله تعالى لما استطاع ذو القرنين أن يبلغ ذلك .

وقد ذكرت سابقا سبب النزول :-

حينما بعثت قريش لأحبار اليهود نفرا يطلبون منهم شيئا يسألون به النبى صلى الله عليه وسلم بقصد الامتحان والتعجيز فقالوا لهم : اسألوه : عن ثلاثة أشياء - أصحاب الكهف - ذى القرنين - الروح ؟

---

(١) سورة الكهف آية ٨٣ ، ٨٤ ، ٨٥ .

فاليهود هم الذين أوعزوا الى المشركين بالسؤال ، فاليهود هم السبب فى السؤال وان لم تقع منهم المباشرة بالسؤال .(١)

من هو ذو القرنين ؟

لقد كان ذو القرنين عبدا صالحا عادلا ملك أقطارا فى الأرض وقهر بعض ملوكها ودانت له البلاد ، وكان داعيا لله تعالى بالحسنى ، فقد مكن الله له فى الأرض وأعطاه الجاه والسلطان ويسر له أسباب الحكم والفتح والبناء والعمران وغير ذلك .

وقد نقل الامام ابن كثير ماذكره الازرقى وغيره أنه طاف بالبيت مع ابراهيم الخليل هو واسماعيل عليهما السلام ، أول ما بناه ، وآمن به ، واتبعه ، وروى انه حج ماشيا ، فلما سمع ابراهيم عليه السلام بقدومه تلقاه ودعا له ، وأوصاه بوصايا(٢)

ويقال : ان الخضر عليه السلام على مقدمة جيشه بمنزلة المستشار .

قال الامام أبو السعود :

هو من الملك بمنزلة الوزير .(٣)

ونقل الامام ابن جرير عن ابى الطفيل قال : سئل على رضوان الله عليه عن ذى القرنين فقال : كان عبدا ناصح الله فناصحه فدعا قومه الى الله فضربوه على قرنه فمات فأحياه الله فدعا قومه الى الله فضربوه على قرنه فمات فسمى ذا القرنين .(٤)

ثم ذكر الامام ابن جرير مانقل عن وهب بن منبه قال : كان ذو القرنين ملكا فقيل له فلما سمى ذا القرنين قال : اختلف فيه أهل الكتاب فقال : بعضهم ملك الروم وفارس ، وقال بعضهم الآخر كان فى رأسه شبه القرنين ، وقيل انه سمى بذلك لأن صفحتى رأسه كانتا

---

(١) حاشية الصاوى على تفسير الجلالين جـ٣ ص٢٤ .
(٢) تفسير ابن كثير جـ٤ ص٤١٨ .
(٣) تفسير ابى السعود جـ٥ ص٢٤٠ .
(٤) جامع البيان فى تفسير القرآن جـ١٦ ص٨ .

من نحاس[١]

وقال الامام سليمان بن عمر العجيلي الشافعي الشهير بالجمل :-
ذو القرنين أي الأكبر وهو ولي الله تعالى من أولاد سام بن نوح ، وكان ابن عجوز ليس لهما غيره ، وكان أسود اللون وكان على شريعة ابراهيم الخليل فانه أسلم على يده ودعا له وأوصاه بوصايا وكان يطوف بالبيت معه ، وكان وزيره الخضر فكان يسير معه على مقدمة جيشه ، وهذا بخلاف ذي القرنين الأصغر .

فانه من ولد العيص بن اسحاق وكان كافرا عاش ألفا وستمائة سنة وكان قبل المسيح بثلثمائة سنة .[٢]

فهذا يؤيد ما نقل عن ابن كثير فيما سبق .
ثم قال الامام ابن كثير :
وأما الثاني : فهو اسكندر بن فيلبس المقدوني اليوناني ، وكان وزيره أرسطاليس الفيلسوف المشهور والله أعلم

فالذي أرجحه كما نقل عن السهلي قال : الظاهر من علم الأخبار أنهما اثنان الأول : كان في عهد سيدنا ابراهيم الخليل كما ذكره الامام ابن كثير .
والثاني : كان قريبا من عهد عيسى عليه السلام فهذا هو الذي تؤرخ من مملكته ملة الروم وكان قبل المسيح عليه السلام بنحو من ثلثمائة سنة [٣]
وكل هذه أقوال الله أعلم بحقيقتها .

---

(١) جامع البيان في تفسير القرآن جـ ١٦ ص ٨ .
(٢) الفتوحات الالهية جـ ٣ ص ٤١ .
(٣) تفسير ابن كثير جـ ٤ ص ٤١٨ .

لماذا سمى بذى القرنـــــــين ؟

يقال سمى بذى القرنين لأنه بلغ قرنى الشمس مشرقها ومغربها .(١)

وقيل : انه انقرض فى وقته قرنان من الناس .

وقيل : كان فى رأسه أو فى تاجه مايشبه القرنين .

وقيل : سمى بذلك لشجاعته كما يسمى الشجاع كبشا كأنه ينطح أقرانه ، وكما يسمـــــى الشجاع أسدا .(٢)

ولكن الذى أرجحه فى تسمية بذى القرنين لشجاعته

ايضاح الآيــــــات:

(وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِى الْقَرْنَيْنِ) : ويسألك يا محمد والسائلون هم المشركون بتحريـــض اليهود سؤال تعنت وامتحان عن ذى القرنين - الرجل الطواف الذى بلغ أقصى المشرق والمغرب .

وقد ذكرت مارجحه الامام ابن كثير عن السهيلى أنهما اثنان والخبر فى هـــذه الآيات عن الأول .

(قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا) : أى سأقص عليكم أيها السائلون خبره بوحى الله تعالـــى المتلو على

(إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِى الْأَرْضِ) :

التمكين الاقدار والتمهيد للأسباب .

قدر ومهد له أمره من التصرف فيها كيف يشاء ، بما مهد له من الأسباب وجعل له قـــدرة على التصرف فيها ، وسهل عليه المسير فى مواضعها وذلك له طرقها حتى تمكن منهـــا أين شاء وكيف شاء .(٣)

---

(١) تفسير ابن كثير جـ٥ ص١٨٤ .

(٢) تفسير ابى السعود جـ٥ ص٢٤٠ .

(٣) فتح القدير جـ٣ص٣٠٨ ، والفتوحات الالـهية جـ٣ ص٤٣ .

ولكن هذا بقدرة الله تعالى وقوته وسلطانه جل جلاله .

(وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَباً) : أى من كل شئ يحتاج اليه الخلق أو كل شئ يستعين به الملوك من الفتح للمدن وقهر للاعداء وغير ذلك (١) .

ونقل عن ابن عباس قال : من كل شئ علما يتسبب به الى مايريد (٢).

(فَأَتْبَعَ سَبَباً) : طريقا يتوصل بها الى مايريده .

ونقل عن مجاهد قوله (سَبَباً) قال : منزلا وطريقا مابين المشرق والمغرب (٣)

المعنى الكلي للآيات :

أخبر الحق جل جلاله نبيه صلى الله عليه وسلم خبر ذى القرنين وقص عليه فى شأنه قرآنا يتلى على أمته على مر الدهور .

وقد مكن الله تعالى له فى الأرض ، وأعطاه السلطان ويسر له كل الأسباب فى الحكم والفتح والبناء والعمران ، وجعل له القدرة ومكنه من التصرف فيها بما يشاء ، وآتاه من الأسباب لكل شئ أراده فى ملكه سببا وطريقا يوصله اليه فأتبع سببا يوصله الى غاية . ثم أن القرآن الكريم ذكر لذى القرنين ثلاث رحلات الى المغرب - والى المشرق ، والى مابين السدين .

فحينما بلغ ذو القرنين مغرب الشمس - نهاية الأرض من جهة المغرب وجد الشمس تغرب فى عين حمئة - كثيرة الحمأة فهى الطينة السوداء .

وقال الامام القرطبى :-

انه انتهى الى آخر العمارة من جهة المغرب ومن جهة المشرق ، فوجدها فى رأى العين تغرب فى عين حمئة ، كما نشاهدها فى الأرض الملساء كأنها تدخل فى الأرض.(٤)

---

(١) الجامع لأحكام القرآن جـ١١ ص٤٨ .

(٢،٣) جامع البيان فى تفسير القرآن جـ١٦ ص٨

(٤) الجامع لأحكام القرآن جـ١١ ص٥٠ .

لهذا قال تعالى :

(وَجَدَهَا تَطْلُعُ على قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا)(١)

ثم قال القرطبى :

لم يرد أنها تطلع عليهم بأن تمسهم وتلاصقهم ، بل أراد أنهم أول من تطلع عليهم.

ولعل ذا القرنين لما بلغ ساحل البحر من جهة المغرب ، وجد الشمس كذلك فى نظره ، ثم وجد عندها قوما كفروا ونشروا فى الأرض الفساد ، فخيره ربه بين أمرين فيهم كما قال عز وجل :(٢)

(إِمَّا أن تُعَذِّبَ وإِمَّا أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا)(٣)

فاختار ذو القرنين الإمهال والدعوة بالحسنى بعد أن خُيِّر بين القتل والابادة لهم جزاء كفرهم وطغيانهم ، أو يمهلهم ويدعوهم بالحسنى فقال تعالى عنه :

(قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا . وأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَى وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا)(٤)

فأقام ذو القرنين فيهم مدة يأخذ على يد الظالم وينصرُ المظلوم ، ويقيمُ العدل الى أن بدا له أن يتجه الى المشرق فسار اليه وقد اتبع لذلك سببا ـ أى طريقا موصلا اليه ـ حتى بلغ مطلع الشمس من جهة المشرق ، ووجد أقواما تطلع عليهم الشمس وليس لهم ساتر يسترهم كالبيوت أو غيرها كما فى البلاد الصحراوية ولعلهم على نصيب من الجهل والفوضى .

فخير فيهم كما خير فى أهل المغرب .

ثم اتجه الى الشمال فاتبع لذلك الأسباب حتى وصل الى بلاد بين جبلين يسكن هذه البلاد أقوام جاوروا يأجوج ومأجوج وهم متخلفون لا يفهمون قولا فقال تعالى :

---

(١) سورة الكهف آية ٩٠ .
(٢) الجامع لأحكام القرآن جـ ١١ ص ٥٠ .
(٣) سورة الكهف آية ٨٦ .
(٤) سورة الكهف آية ٨٧-٨٨ .

(حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْماً لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلاً) (١)

وقد وجد هؤلاء فى ذى القرنين فاتحا له القوة والقدرة والسلطان فقالوا له كما ذكر القرآن الكريم فى قوله تعالى :

(قالوا ياذَا القَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجاً عَلَىٰ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدّاً)(٢)

وقد أجابهم ذو القرنين بذلك ، وطلب منهم أن يساعدوه بالقوة والرجال وغير ذلك من الحديد والنحاس والخشب والوقود حتى وضعوا ذلك أمام السد ثم أوقدوا النار فيها وأفرغ على ذلك ذائب النحاس مرة بعد الأخرى حتى أصبح بين الجبلين سد منيع ، ولم يستطع يأجوج ومأجوج وقبيلهما أن يعلوا ويظهروا عليه لارتفاعه ولشدة نعومته ، وكذلك ما استطاعوا له نقبا . أى فتحا لقوته وسمكه ، وأن الله تعالى قد أراح منهم شعوبا وقبائل ولكن ذو القرنين لما شاهد هذا السد فى شدته وقوته قال كما ذكر فى قوله عز وجل :

(قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقّاً)(٣)

فكل هذه القوة وهذه الشدة والمناعة من آثار رحمة الله تعالى وتهيأته لهؤلاء المجاورين للسد ، ولمن خلفهم ممن يخشى معركة يأجوج ومأجوج فنجد أن جميع الخيرات عند تحقيقها راجعة الى رحمة الله تعالى وفضله العظيم وتسخيره البديع ثم لا ننسى أن الوعد بالثواب أو العقاب حق معهود ثابت لا يخلف .(٤)

قال تعالى :

(رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ)(٥)

---

(١) سورة الكهف آية ٩٣ .

(٢) سورة الكهف آية ٩٤ .

(٣) سورة الكهف آية ٩٨ .

(٤) تفسير ابى السعود جـ٥ ص٢٣٩-٢٤٢ ، وفتح القدير جـ٣ ص٣٠٧-٣١٠ . وفى ظلال القرآن جـ٤ ص٢٢٩٠ .

(٥) سورة آل عمران آية ٩ .

(٤) السؤال عن الـــــروح :

قال تعالى :

(ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم الا قليلا)[١]

التمهيد للآية الكريمـــة :

سأل بعض اليهود النبى صلى الله عليه وسلم عن الروح بغرض الامتحــان ليعلموا صدق رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم مع علمهم من كتبهم أن الروح قد أخفى الله تعالى العلم به ولكن جحودهم وعنادهم جعلهم لا يؤمنون به بعد أن أجابهــم بمثل ما عندهم .

أخرج الامام البخارى بسنده :

(عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : "بينا أنا مع النبى صلى الله عليه وسلــم في حرث[٢] وهو متكئ[٣] على عسيب ـ إذ مر اليهود ، فقال بعضهم لبعض سلوه عن الــروح ، فقال ما رابكم[٤] إليه ـ وقال بعضهم لا يستقبلكم بشئ تكرهونه ـ فقالوا سلوه فسألــوه عن الروح ، فأمسك النبى صلى الله عليه وسلم فلم يرد عليهم شيئاً ، فعلمت أنه يوحــى إليه فقمت مقامى ، فلما نزل الوحى قال :[٥]

(ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً)[٦]

(١) سورة الاسراء آية ٨٥ .

(٢) قال الامام ابن حجر فى الفتح :
الحرث : فتح المهملة وسكون الراء بعدها مثلثة
وأخرج مسلم من طريق مسروق عن ابن مسعود بلفظ (كان في نخل) وزاد فــى رواية العلم (بالمدينة) ولابن مردويه عن الأعمش (فى حرث الأنصار)

(٣) (وهو متكئ) :
وقال الامام ابن حجر فى الفتح :
قوله (يتوكأ) يعتمد ـ على عسيب الجريد التى لا خوص فيها . وفى رواية ابن حيان (ومعه جريدة) وقال فارس : العسبان من النخل كالقضبان من غيرها .
قوله (اذ مر اليهود) كذا فيه اليهود بالرفع على الفاعلية ، وفى بقية الروايات .
وكذا عند مسلم (إذ مر بنفر من اليهود) وعند الطبرى من وجه آخر عن الأعمش (إذ مررنا على يهود) ويحتمل هذا الاختلاف على أن الفريقين تلاقوا فيصدق ان كلامــر بالآخر .

(٤) (ما رابكم اليه) : بصيغة الماضى من الريب .
وقال الخطابى : الصواب (ما أربكم) بتقديم الهمزة وفتحتين من الأرب وهو الحاجــة
قوله (وقال بعضهم لا يستقبلكم بشئ تكرهونه) : وفى رواية أخرى (لا يجئ فيه تكرهونه .
وفى رواية (لا يسمعكم ما تكرهونه ـ وهى بمعنى واحد .

(٥) صحيح البخارى بشرح فتح البارى جـ٨ ص٤٠١ كتاب التفسير / باب (ويسألونــــك عن الروح) .

(٦) سورة الاسراء آية ٨٥ .

فهذا يدل على أن الآية نزلت بالمدينة عند ما سأل اليهود النبى صلى الله عليه وسلم عن الروح بالمدينة . وقيل ان الآية نزلت بمكة عند ما طلبت قريش من أحبار اليهود أن يعطوهم شيئا يسألوا عنه محمدا .

وأخرج الامام الترمذى بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : " قالت قُرَيْشٌ لِيَهُود : أَعْطُونَا شيئاً نَسْأَلُ عَنْهُ هَذَا الرَّجُلَ : فقالوا : سَلُوهُ عَنِ الرُّوحِ . فَسَأَلُوهُ عَنِ الرُّوحِ[1] ، فنزلت الآية الكريمة [2]

وكذلك أخرج الحديث الامام أحمد فى مسند ابن عباس[3]

ثم ذكر الخطيب الشربينى فى تفسيره :

(ان ابن عباس رضى الله عنهما قال : إن قريشا أجتمعوا ، وقالوا : إن محمدا نشأ فينا بالأمانة والصدق ، وما اتهمناه بالكذب ، وقد ادعى ما أدعى ، فابعثوا نفراً إلى اليهود بالمدينة ، واسألوهم عنه ، فإنهم أهل كتاب ، فبعثوا جماعة إليهم .

فقال اليهود : سلوه عن ثلاث أشياء فإن أجاب عن كلها ، أو لم يجب عن شئ منها فليس بنبى ، وان أجاب عن اثنتين ، ولم يجب عن واحد فهو نبى ، فاسألوه عن فتية فقدوا فى الزمن الأول ، وماكان أمرهم ، فإنه كان لهم حديث عجيب ، وعن رجل طواف بلغ مشرق الأرض ومغربها ما خبره ، وعن الروح ؟

فسألوا النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال : أخبركم بما سألتم غدا ، ولم يقل ان شاء الله

فقال مجاهد :

فلبث الوحى اثنى عشر يوما ، وقيل خمسة عشر يوما ، وقيل اربعين يوما .

وأهل مكة يقولون : وعدنا محمد غدا ، وقد أصبحنا لا يخبرنا بشئ ، حتى حزن رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكث الوحى ، وشق عليه مايقوله أهل مكة ، ثم نزل جبريل عليه السلام بقوله تعالى :-

---

(١) سنن الترمذى جـ٤ ص٣٦٦ أبواب تفسير القرآن .

(٢) سورة الاسراء آية ٨٥ .

(٣) مسند الامام أحمد مسند ابن عباس .

(وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا . إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا)(١)

ونزل فى الفتية ـ أصحاب الكهف قوله تعالى :
(أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا)(٢)

ونزل فى الرجل الطواف الذى بلغ المشرق والمغرب قوله :-
(وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا)(٣)

وقد قال الامام أبو السعود :
فبين لهم القصتين ، وأبهم أمر الروح وهو كذلك فى التوراة مبهم .(٤) ولكن يلاحظ من الروايتين السابقتين المبينة لسبب النزول اختلاف بينهما ، فأحداهما تذكر أن السائلين هم اليهود ، وأن الآية مدنية ، رغم أن السورة مكية .
وأما الرواية الأخرى فذكرت أن السائلين قريش ، وان الآية مكية كما أن السورة مكية ، فكيف نوفق بينهما ؟

التوفيق بينهما بما يأتى :-

أ ـ ان الآية نزلت مرتين ، مرة بمكة ، والأخرى بالمدينة حينما سأل اليهود النبى صلى الله عليه وسلم عنها ـ أى الروح ، فنجد أنه لا مانع من تكرار النزول لتكرار السبب .

ب ـ أن الوحى قد نزل على النبى صلى الله عليه وسلم بأن يجيب اليهود عما سألوه بالمدينة بالآية المتقدم نزولها عليه صلى الله عليه وسلم بمكة وهى قوله تعالى :(٥)
(وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا) .(٦)

---

(١) سورة الكهف الآيتان ٢٣-٢٤ .
(٢) سورة الكهف آية ٩ .
(٣) سورة الكهف آية ٨٣ .
(٤) تفسير ابى السعود جـ٥ ص١٩٢ .
(٥) تفسير ابن كثير جـ٤ ص٣٤٥ .
(٦) سورة الاسراء آية ٨٥ .

وقال الامام ابن حجر العسقلانى فى الفتح :

ويمكن الجمع بأن يتعدد النزول بحمل سكوته صلى الله عليه وسلم فى المرة الثانية على توقع مزيد بيان فى ذلك ، وإن يساغ هذا والا فما فى الصحيح أصح .(١)

وقال الدكتور محمد أبو النور الحديدى فى الضياء (٢) :-

أو أنه قد نزل الوحى عليه بأن يجيبهم عما سأله اليهود بالمدينة بالآية المتقدم نزولها بمكة وهى قوله (يسألونك عن الروح ......) الآية (٣)

اطلاقات لفظ الروح فى القرآن الكريم

(أ) أطلق لفظ الروح على سيدنا جبريل عليه السلام حامل الوحى من الله تعالى لنبيه ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم فقال تعالى :

(نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ . عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ)(٤)

(ب) وأطلق لفظ الرُّوحُ أيضا على القرآن الكريم الذى أنزل على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فيه حياة القلوب والنفوس وهدايتها فقال تعالى :-

(وكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنَ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِى مَا الْكِتَابُ ولا الإِيمَانُ ولَكِن جَعَلْنَاهُ نُوراً نَهْدِى بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وإنكَ لَتَهْدِى إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ)(٥)

(جـ) وأطلق أيضا على الوحى الذى يوحيه عز وجل الى أنبيائه عليهم السلام فقال تعالى :

(رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِى الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ) (٦)

---

(١) فتح البارى بشرح صحيح البخارى جـ٨ ص٤٠١ كتاب التفسير / باب (يسألونك عن الروح) .

(٢) الضياء فى تفسير سورة الاسراء ص٢٧٦ / للدكتور محمد أبو النور الحديدى .

(٣) سورة الاسراء آية ٨٥ .

(٤) سورة الشعراء آيتان ١٩٣-١٩٤ .

(٥) سورة الشورى آية ٥٢ .

(٦) سورة غافر آية ١٥ .

(د) ولفظ الروح أطلق أيضا فى القرآن الكريم على القوة والشدة فقال تعالى :
(لَا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)(١)

(هـ) وأطلق لفظ الروح أيضا على سيدنا عيسى ابن مريم عليهما السلام فقال تعالى :
(يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْراً لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلاً)(٢)

(و) اما لفظ الروح كما فى الآية الكريمة من سورة الاسراء
(وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً)(٣)
والتى سئل عنها نبينا صلى الله عليه وسلم فهى التى تحيا بها الأبدان وتكون الحياة بها وبمفارقتها يموت الانسان وتذهب الحياة .

فالحق عز وجل أخبر عنها بأنها من أمر الله تعالى وقدرته ولا يعلمها أحد غيره جل جلاله وقد استأثر بها وبالعلم بها ولا داعى للخوض فى شأنها ومعرفتها والتكليف فى ايضاحها وبيان حقيقتها وماهيتها فهذا غير مجدى ولا فائدة منه فى دين أو دنيا .(٤)

---

(١) سورة المجادلة آية ٢٢ .
(٢) سورة النساء آية ١٧١ .
(٣) سورة الاسراء آية ٨٥ .
(٤) فتح البارى شرح صحيح البخارى جـ٨ ص٤٠٢ وتفسير الخازن جـ٤ ص١٤٨ والتفسير الكبير جـ٢١ ص٣٦ .

الحكمة فى ابهام الــــروح

إن الحق جل ثناؤه قد أبهم حقيقة الروح عن العباد جميعا فلم يعرف حقيقتهــا أى انسان فى الوجود وذلك لحكمة هى أن تعجز العقول عن إدراك مخلوق متصل بجسم الانسان ، وان هذا مما يدل على أنها مما استأثر الله تعالى بالعلم بها وحده جل جلاله فلم يعلم أحدا عنها أى شئ وإن اتسعت مداركه فان له حدودا يقف عندها ، ولا يمكــن تجاوز ذلك المجال فيها .

فالروح من الأشياء التى يجب التسليم والإيمان بها كما ورد فى القرآن الكريــــم انها من أمر الله تعالى ولا يجب تحكيم العقل فيها لأنها فوق متناوله (١) .

هل الروح هى النفس أو غيرهــا ؟

قد ذكر السهيلى ـ كما نقل عنه الامام ابن كثير الخلاف بين العلماء فى أن الــروح هى النفس أو غيرها .

قال : وقرر أنها ذات لطيفة كالهواء سارية فى الجسم كسريان الماء فى عروق الشجر .

وأن الروح التى ينفخها الملك فى الجنين هى النفس بشرط اتصالها بالبدن ، واكتسابه بسببها صفات مدح أو ذم ، فهى نفس مطمئنة أو أمارة بالسوء .

ثم قال ابن كثير أيضا :ـ

كما أن الماء هو حياة الشجر يكتسب بسبب اختلاطه معها اسما خاصا ، فــإذا اتصل بالعنبه وعصر منها صار خمرا ، ولا يقال له : ماء حينئذ إلا على سبيل المجــاز ، وكذلك لا يقال : للنفس روح الا على هذا النحو .

---

(١) الضياء فى تفسير سورة الاسراء ص ٢٧٧ .
ثم قال الدكتور محمد أبو النور الحديدى : الاظهار فى مقام الاضمار فى قوله تعالى (قل الروح من أمر ربى) حيث لم يقل (فقل) وهو اكمال الاعتناء بشأن الروح . و (من) بيانية . و (أمر) بمعنى شأن واضافة أمر الى (رب) للاختصاص العلمى أى لاختصاص الله تعالى بعلم شأن الروح ، والكل من ايجاد الله تعالى وليــس الروح فقط .

وكذا لا يقال : للرّوح نفس إلا باعتبار ماتئول اليه فحاصل مانقول :
ان الرّوح هى أصل النفس ومادتها ، والنفس مركبة منها ومن اتصالها بالبدن - فهى
من وجه لا من كل وجه ، وهذا معنى حسن . والله أعلم .(١)

ثم قال الامام ابن حجر ومما يدل على تغاير الروح والنفس الآيات القرآنية :
قال تعالى : (فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ)(٢)
وقال تعالى : (تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ)(٣)

فلا يصح جعل أحدهما موضع الآخر ولولا التغاير لساغ ذلك .
من هم المقصودون بقوله تعالى (وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا)(٤)
أن المقصود بقوله تعالى :
(وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا)(٥)
هو رد على اليهود حينما قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم أوتينا التوراة وفيها العلم
الكثير .
ونقل الامام ابن جرير عن عطاء بن يسار قال : نزلت بمكة
(وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا)(٦)

فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة أتاه أحبار يهود فقالوا :
يا محمد ألم يبلغنا أنك تقول : (وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا)(٧)

---

(١) تفسير ابن كثير جـ٤ ص٣٤٧ وفتح البارى بشرح صحيح البخارى جـ٨ ص٤٠٣ كتاب التفسير / باب (ويسألونك عن الروح) .
(٢) سورة الحجر آية ٢٩ .
(٣) سورة المائدة آية ١١٦ .
(٤) ، (٥) ، (٦) ، (٧) سورة الاسراء آية ٨٥ .

أفعنيتنا أم قومك ؟ قال : كلا قد عنيتُ ، قالوا : فانك تتلو (يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ)(١)

انا أوتينا التوراة وفيها تبيان كل شئ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
هى فى علم الله قليل ، وقد أتاكم ما ان عطتم به انتفعتم)(٢)
فأنزل الله تعالى الآية :
(ولو أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)(٣)

وعلم التوراة قليل فى جنب علم الله تعالى لأن القلة والكثرة من الأمور الاضافية فالحكمة التى أوتيها العبد خير كثير فى نفسها إلا أنها إذا أضيفت إلى علم الله تعالى فهى قليل ومما يدل على سعة علم الله تعالى ما أخرجه الامام البخارى بسنده :
من حديث موسى عليه السلام والخضر عليه السلام كما فى الصحاح :-
(فجاء عصفورٌ فوقع على حرف السَّفينة ، فنقر نقرةً ، أو نقرتين فى البحر ، فقال الخضر يا موسى : مانقص علمى وعلمك من علم الله تعالى إلا كنقرة هذا العصفور فى البحر)(٤)

قال الامام ابن جرير:
(خرج الكلام خطابا لمن خوطب به ، والمراد به جميع الخلق لأن علم كل أحد سوى الله تعالى وأن كثر فى علم الله تعالى قليل) .

فما أوتيتم أيها الناس من العلم إلا قليلا من كثير مما يعلم الله تعالى .(٥)
وأؤيد أن الخطاب فى قوله تعالى (وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا) .(٦)
عام لليهود ولجميع الخلق ومن جملتهم النبى صلى الله عليه وسلم والله أعلم .

---

(١) سورة البقرة آية ٢٦٩ .
(٢) جامع البيان فى تفسير القرآن جـ ١٥ ص ١٠٦
(٣) سورة لقمان آية ٢٧ .
(٤) صحيح البخارى بشرح فتح البارى جـ ١ ص ٢١٨ كتاب العلم .
(٥) جامع البيان فى تفسير القرآن جـ ١٥ ص ١٠٦
(٦) سورة الاسراء آية ٨٥ .

مسألتان فى الصيغ التى حكيت بها الأسئلة وفى الأغراض منها :

المسألة الأولــــى :

فى الصيغ التى حكيت بها الأسئلة فى القرآن الكريم من السؤال - والاستفتـــاء - وصيغ الاستفهام الأخرى .

المسألة الثانيــــة :

فى الأغراض التى من أجلها وجهت الأسئلة الى النبى صلى الله عليه وسلم وهى : الاستعلام - فى أسئلة المسلمين - والامتحان فى أسئلة اليهود - والتعجيز والاختبــــار - كذلك فى أسئلة المشركين .

وفيما يأتى توضيح المسألة الأولى :

إن القرآن الكريم أورد الأسئلة التى وجهت الى النبى صلى الله عليه وسلم كما سبق من الطوائف المختلفة المسلمين والمشركين واليهود بصيغ منها مايأتى :-

* صيغ السؤال :- فى

(١) السؤال عن الله تعالى .

(٢) السؤال عن الأهلة .

(٣) السؤال عما ينفقون .

(٤) السؤال عن الخمر والميسر .

(٥) السؤال عن اليتامى

(٦) السؤال عن المحيض .

(٧) السؤال عما أحل لهم .

(٨) السؤال عن الأنفال .

* وأما صيغ الاستفتاء فقد وردت فى :-

(١) الاستفتاء فى النساء .

(٢) الاستفتاء فى الكلالة .

فحينما طلب المسلمون وتوجهوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم افتاءهم واظهـــار ما أشكل عليهم فى ميراث النساء والأولاد اليتامى حيث أن أهل الجاهلية كانوا يحرمونهـم

من الميراث بين لهم الحق تعالى ما أشكل عليهم ووضحه لهم على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم بما يتلوه من القرآن عليهم ؛ فكانوا بحاجة ماسة الى معرفة أحكام دينهم الجديد وقد سبق ايضاح ذلك فى الفصل الأول .

ثم أيضا حينما طلبوا منه صلى الله عليه وسلم افتاءهم فى أمر الكلالة - وهى من لا يرثه والد ولا ولد وقد سبق ايضاح ذلك فى الفصل الأول .

* وأما صيغ الاستفهام التى حكيت بها بعض الأسئلة كما سبق ذكرذلك فمثل همزة الاستفهام ، و (أم) فى قوله تعالى :

(وَقالوا أآلهتنا خيرٌ أمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إلَّا جدَلا بَلْ هُمْ قومٌ خَصِمُونَ) (١)

أى ان آلهتنا - كما قال المشركون - عندك يا محمد لست خيرا من عيسى عليه السلام فإذا كان عيسى عليه السلام من حصب جهنم كان أمر آلهتنا أهون علينا ، فالمقصود التعجيز والافحام .

قال الامام أبو حيان فى البحر المحيط :-

ان الاستفهام المقصود به الافحام ويتضمن أن آلهتهم ليست خيرا من سيدنا عيسى عليه السلام .

(مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إلاَّ جدلاً)

أى ما مثل المشركون هذا التمثيل إلاَّ لأجل الجدل والغلبة والمغالطة وليس لتمييز الحق واتباعه .(٢)

وقيل ان الاستفهام للتقرير ذكره الامام القرطبى .(٣)

(وقالوا أآلهتنا خير أم هو)

أى أآلهتنا خير من عيسى عليه السلام؟

---

(١) سورة الزخرف آية ٥٨ .

(٢) تفسير البحر المحيط جـ ص ٢٥

(٣) الجامع لأحكام القرآن جـ ١٦ ص ١٠٤ .

قال السدى : خاصموه ـ أى المشركون خاصموا النبى صلى الله عليه وسلم وقالوا :
إن كان كل من عبد من دون اللّه تعالى فى النار ، فنحن نرضى بأن تكون آلهتنا مع عيسى، والملائكة وعزير وغيرهم من الصالحين .

فأنزل الله تعالى :
(إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ)(١)
وقال قتادة : قوله (أم هو) أى يعنون محمداً صلى الله عليه وسلم .
وفى قراءة ابن مسعود رضى الله عنه (أآلهتنا خير أم هذا)
ويقوى قول قتادة : أن الاستفهام لتقرير أن آلهتهم خير (٢)
ولكن الأرجح أن الضمير فى (أم هو) المقصود به سيدنا عيسى ابن مريم عليهما السلام . ولأن المشركين ضربوا هذا المثل للنبى صلى الله عليه وسلم لأجل الجدل الغير مجدى والمغالطة .

وسبق ايضاح ذلك لأن قصدهم التعجيز والتشهير برسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن الحق تعالى بين أنهم شديدو الخصومة كثيرو اللدد وعظيمو الجدل .

وكذلك حكى القرآن العظيم السؤال بصيغة (ما) الاستفهامية فى السؤال الذى أثاره أعداء الاسلام والمسلمين عند تحويل القبلة من بيت المقدس الى مكة ـ الكعبة المشرفة فهذا للطعن فى الدين والتشكيك والنيل من الاسلام والمسلمين كما سبق ايضاح ذلك .

فقال تعالى :
(سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) (٣)
فأى شئ صرف المسلمين عن جهتهم التى يستقبلونها فى الصلاة (بيت المقدس) الى مكة

---

(١) سورة الأنبياء آية ١٠١ .
(٢) الجامع لأحكام القرآن جـ ١٦ ص ١٠٤ .
(٣) سورة البقرة آية ١٤٢ .

ـ الكعبة المشرفة بعد ماكانوا مستمرين ثابتين فى التوجه الى بيت المقدس . فالحق تعالى وضح لهم أن له جل جلاله ناحيتا الأرض المشرق والمغرب ملكا وخلقا وتصرفا فلا اختصاص لناحية منها دون الأخرى بل إنما هذا بمشيئته وقدرته وحكمته فلا اعتراض عليه سبحانه وتعالى(١)

فان (ما) الاستفهامية فى قوله (ماولاهم) للانكار والنفى (١)

وقال الامام الألوسى :
ان الاستفهام للإنكار فى قوله (ماولاهم) أى أى شئ صرفهم(٢)

المسألة الثانية :

ان الأسئلة التى وجهت الى النبى صلى الله عليه وسلم بأغراض شتى منها :
الاستعلام والاسترشاد كأسئلة المسلمين ـ والامتحان كأسئلة اليهود ـ والتعجيز ـ والاختبار ـ كذلك كأسئلة المشركين .

وفيما يأتى توضيح ذلك :ـ
الاستعلام : من استَعلِم لى خبر فلان ، وأعلِمْنيه حتى أعلَمَهَ ، واستَعلَمنى الخبر فأعلَمْتُه (٣) والهمزة والسين والتاء فى استعلم للطلب ، فالاستعلام طلب معرفة وعلم ما خفى أو التبس على السائل .

فان المسلمين سألوا النبى صلى الله عليه وسلم ليتعلموا ماخفى وأشكل عليهم أو التبس عليهم أمر ذلك ، لأنهم رضوان الله عليهم لا سبيل لهم الى الخروج من كل مايعرض لهم من الأمور التى لا يعرفونها ، ولا يعلمون كيف التصرف فيها ، وما الحكم فيها ؟ الا بالسؤال

---

(١) تفسير ابى السعود جـ١ ص١٧١ .
(٢) روح المعانى جـ٢ ص٢ .
(٣) لسان العرب / لابن منظور مادة علم ص١٤٨ .

والاستعلام عنها ، فبهذا يستطيعون تطبيق أحكام دينهم الجديد لأنهم كانوا قد انتقلوا من الجاهلية الى الاسلام فإشفاقهم وحذرهم من الأمور التى كانت متداولة فيما بينهم فى الجاهلية قبل الاسلام جعلهم يسألون المعصوم سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم لمعرفة كل ذلك منه عليه الصلاة والسلام فلا شك عندهم أن كل مايوحيه الحق تعالى لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم خير وأصلح مما هم عليه فقد انتفعوا رضوان الله عليهم بكل ما سألوا ونفعوا به من بعدهم ، وعملوا بما علموه واستقاموا على طريق الحق والصواب. وكل هذا سبق ذكره فى الفصل الأول .

أما الأسئلة التى وجهت من اليهود الى النبى صلى الله عليه وسلم فكانت بغرض الامتحان ليختبروا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهل هو رسول حقاً بالرغم من أن كتبهم فيها البشارة بقدومه وأنه رسول من رب العالمين وخاتم الأنبياء والمرسلين ، فعنادهم وحسدهم جعلهم يعرضون عنه ولم يتبعوه بالرغم من أنه عليه الصلاة والسلام كان يخبرهم ويعلمهم ويجيبهم بما يوحى اليه من ربه تعالى مطابقا لما فى كتبهم مثل سؤالهم عن الفتية فى الدهور الأولى وعن الرجل الطواف الذى بلغ المغرب والمشرق - وعن الرُّوح .
فقد سبق ايضاح هذا فى الفصل الأول .

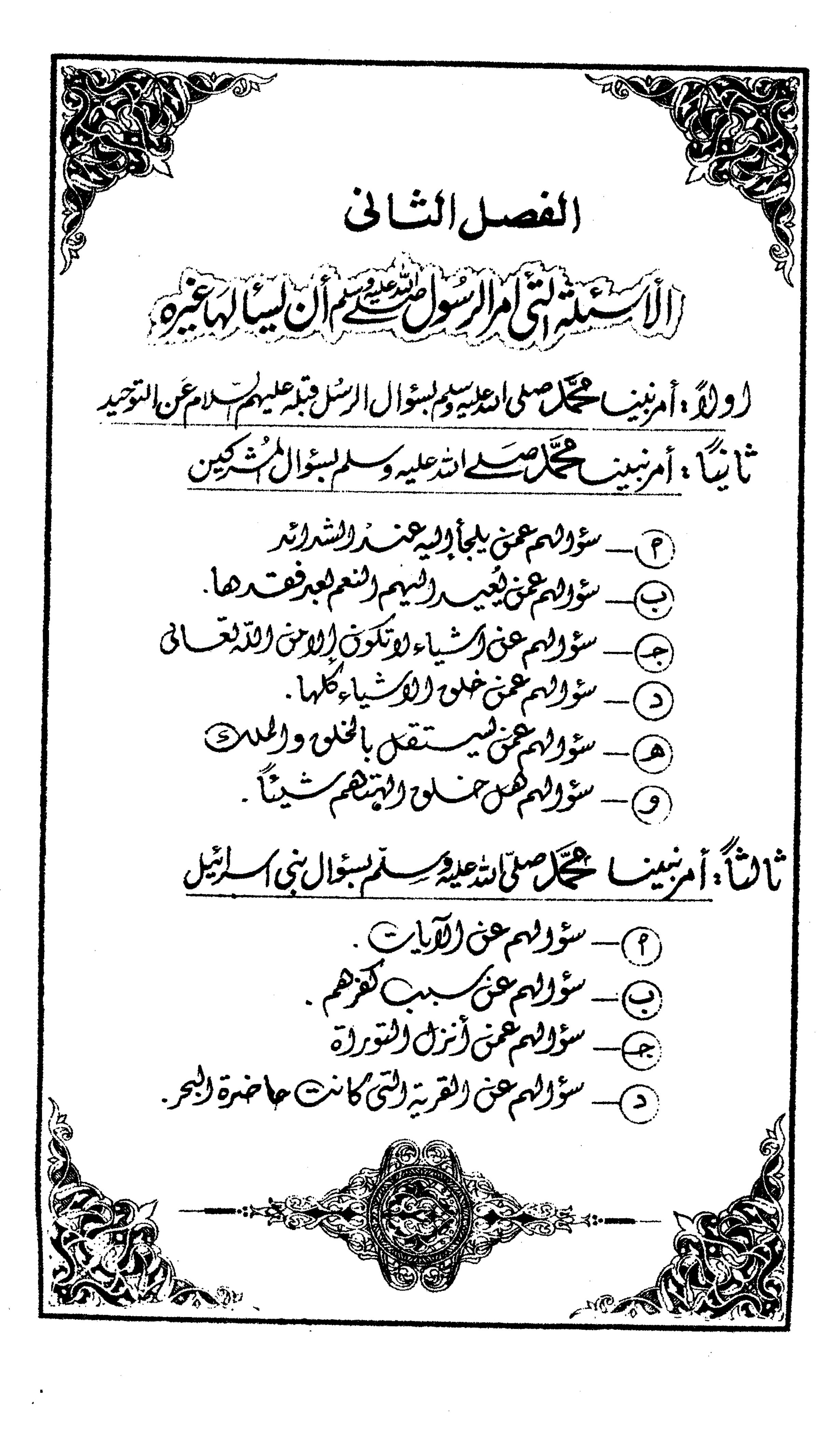
وأما الاسئلة التى وجهت من المشركين الجاحدين الى النبى صلى اللّٰه عليه وسلم فهى بغرض التعجيز والاختبار ، فحينما أرسلوا الى أحبار اليهود بالمدينة يطلبون منهم أن يعطوهم شيئا يسألونه محمدا - رسول الله صلى الله عليه وسلم - فقصدهم التشهير برسول الله صلى الله عليه وسلم والتعجيز كما سبق فى قولهم : أآلهتنا خير أم هو؟

وسؤالهم أيضا عن الجبال فإن قصدهم الاستهزاء والتعجيز والطعن فى الحشر والنشر وليس سؤالا للمعرفة والتثبيت من الحق .

وكذلك سؤالهم عن الساعة وأهوال القيامة عند ما سمعوا مايكون فيها من بعث وجزاء وحساب وجنة ونار فكانوا يسألون عنها استهزاء وسخرية كما ذكرت سابقا .

وكذلك أيضا سؤالهم عن القتال فى الشهر الحرام فقصدهم الطعن فى الاسـلام والتشهير برسول الاسلام محمد صلى الله عليه وسلم والمسلمين والتعييب عليهم واظهارهم بمظهر المعتدى المخالف الذى انتهك حرمات الشهر الحرام بالرغم من انهم هم الأعداء للاسلام وهم المعتدون الذين انتهكوا الحرمات والشهر الحرام كما سبق ايضاح ذلـك فى الفصل الأول .





الفصل الثاني

الأسئلة التي أمر الرسول صلى الله عليه وسلم أن يسأل لها غيره

أولاً: أمر نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بسؤال الرسل قبله عليهم السلام عن التوحيد

ثانياً: أمر نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بسؤال المشركين

أ- سؤالهم عمن يلجأ إليه عند الشدائد

ب- سؤالهم عمن يعيد إليهم النعم بعد فقدها.

ج- سؤالهم عن أشياء لا تكون إلا من الله تعالى

د- سؤالهم عمن خلق الأشياء كلها.

هـ- سؤالهم عمن يستقل بالخلق والملك

و- سؤالهم هل خلق آلهتهم شيئاً.

ثالثاً: أمر نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بسؤال بني إسرائيل

أ- سؤالهم عن الآيات.

ب- سؤالهم عن سبب كفرهم.

ج- سؤالهم عمن أنزل التوراة

د- سؤالهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر.

((الفصل الثاني))

الأسئلة التي أُمر الرسول محمد صلى الله عليه وسلم أن يسألها غيره من الرسل قبله ، والمشركين وبني اسرائيل

أولا : أُمر نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بسؤال الرسل قبله عليهم السلام عن التوحيد :-

قال تعالى :-

﴿ وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ ﴾(١)

التمهيد للآية الكريمة :-

أن القرآن الكريم يقرر حقيقة التوحيد لله تعالى فهو أساس الأديان السابقة التي جاء بها المرسلون والأنبياء السابقون عليهم السلام كما أرسلهم بها رب العالمين .

فعلام يركن هؤلاء المنحرفون الذين اتخذوا مع الله جل جلاله آلهة أخرى يعبدونها من دونه جل جلاله ، وتكون السبب الأساسي في بغضهم لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وانكار رسالته ودينه الاسلام الذى هو خاتمة الأديان؟ والله جل جلاله أمر رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم أن يسأل إخوانه الرسل عليهم السلام عن قضية التوحيد وبهذا يقرر لعباد الأوثان والأصنام إنهم على باطل وبعد عن الحق والطريق المستقيم لأن شرائع الأنبياء عليهم السلام وأديانهم متفقة على توحيد الله تعالى واخلاص العبادة لله تعالى دون سواه بحيث انهم لو سُئلوا هل جعل الله تعالى من دونه آلهة يعبدون لأنكروا هذا، وأعلنوا التوحيد .

المعنى الكلي للآية الكريمة :-

لقد ذكر جمهور المفسرين أن الآية الكريمة تدور حول معاني ثلاثة :

أ - أمر نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بسؤال الرسل قبله عليهم السلام حينما اجتمعوا به صلى الله عليه وسلم في ليلة الاسراء والمعراج ، عندما أسرى بالنبي صلى الله عليه وسلم

---

(١) سورة الزخرف آية ٤٥ .

من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى .(١)

قال تعالى :

(سُبْحَانَ الَّذِى أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيلاً مِّنَ المَسْجِدِ الحَرَامِ إِلَى المَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِى بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ)(٢)

ونقل عن ابن عباس رضى الله عنهما قال :

(لما أسرى بالنبى صلى الله عليه وسلم الى المسجد الأقصى بعث الله تعالى له آدم وجميع المرسلين من ولده ، فأذن جبريل عليه السلام ، ثم أقام ، فقال : يا محمد تقدم فصل بهم فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من الصلاة ، قال : له جبريل عليه السلام ، اسأل يا محمد من أرسلنا من رسلنا الآية ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا أسأل لأنى لست شاكا فيه)(٣)

وقال الامام الخازن :

(فقال النبى صلى الله عليه وسلم لا أسأل قد اكتفيت وهذا قول الزهرى وسعيد بن جبير، وابن زيد قالوا : جمع له الرسل ليلة أسرى به ، وأمر أن يسألهم فلم يشك ولم يسأل ، فعلى هذا القول قال بعضهم هذه الآية نزلت ببيت المقدس ليلة أسرى بالنبى صلى الله عليه وسلم (٤)

ب - أُمر نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بسؤال أمم من أرسلوا قبله - مؤمنى أهل الكتابين - التوراة والانجيل هل جاءتهم الرسل إلاّ بالتوحيد ومعنى الأمر بالسؤال التقرير لمشركى قريش أنه لم يأت رسول ولا كتاب بعبادة غير الله عز وجل .(٥)

---

(١) جامع البيان فى تفسير القرآن جـ٢٤ ص٤٦ ، والتفسير الكبير جـ٢٧ ص٢١٦ ، وتفسير ابن كثير جـ٦ ص٢٢٨ . وتفسير النسفى جـ٤ ص١٢٠ .
(٢) سورة الاسراء آية (١)
(٣) التفسير الكبير جـ٢٧ ص٢١٦ .
(٤) تفسير الخازن جـ٦ ص١٠٤ .
(٥) الخازن جـ٦ ص١١٤ .

ونقل عن مجاهد والسدى قالا : فى قراءة عبد الله بن مسعود رضى الله عنه (سل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك) أى مؤمنى أهل الكتاب .

وقال قتادة فى معنى الآية (وَاسأَل مَن أَرسَلنَا مِن قَبلِكَ مِن رُسُلِنَا) الآية[١] قال : سل أهل التوراة والانجيل هل جاءتهم الرسل إلا بالتوحيد أى أن يوحدوا الله تعالى لا شريك له .[٢]

وقال الامام ابن كثير:

هذا كأنه تفسير لا تلاوة والله أعلم أى قراءة ابن مسعود رضى الله عنه[٣] .

ولكن الامام ابن جرير رجح هذا القول وقال :

وأولى القولين بالصواب فى تأويل ذلك قول من قال به : سل مؤمنى أهل الكتاب . لأن معنى سل الرسل أى سل المؤمنين بهم وبكتابهم لأنهم أهل بلاغ عنهم ما أتوهم به عن ربهم ، فالخبر عنهم وعما جاءوا به من ربهم إذا صح بمعنى خبرهم ، والمسألة عما جاءوا بمعنى مسألتهم ، اذا كان المسؤل من أهل العلم بهم والصدق عليهم .

ثم قال الامام ابن جرير :

وذلك نظير أمر الله جل ثناؤه ايانا برد ما تنازعنا فيه الى الله والى الرسول[٤]

يقول تعالى :

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمرِ مِنكُم فَإِن تَنَازَعتُم فِى شَىءٍ فَرُدُّوهُ الى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُم تُؤمِنُونَ بِاللَّهِ وَاليَومِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيرٌ وَأَحسَنُ تَأوِيلاً).[٥]

---

(١) سورة الزخرف آية ٤٥ .

(٢) جامع البيان فى تفسير القرآن جـ٢٤ ص٤٦ ، والتفسير الكبير جـ٢٧ ص٢١٦ .

(٣) تفسير ابن كثير جـ٦ ص٢٢٨ .

(٤) جامع البيان فى تفسير القرآن جـ٢٤ ص٤٦ .

(٥) سورة النساء آية ٥٩ .

جـ - أمر نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بسؤال الرسل قبله لم يرد سؤالهم حقيقة ولكن مجازا عن النظر فى أديانهم وشرائعهم المتفقة على توحيد الله تعالى بحيث لو سُئِلوا هل مع اللّه تعالى آلهة يعبدون لأنكروا هذا وأعلنوا التوحيد .(١)

وقد قال الامام النسفى :

ليس المراد بسؤال الرسل حقيقة ولكنه مجاز عن النظر فى أديانهم والفحص عن مللهم هل جاءت عبادة الأوثان فى ملة من ملل الأنبياء ، وكفاه نظرا وفحصاً نظره فى كتاب الله المعجز المصدق لما بين يديه وإخبار الله فيه بأنهم لم يعبدوا من دون الله مالم ينزل به سلطانا .

ثم قال الامام النسفى : والآية فى نفسها كافية لا حاجة الى غيرها(٢)

وأرجح هذا القول وأميل اليه وذلك لأن جميع الرسل عليهم السلام أرسلوا بالتوحيد وأمروا بعبادة الله تعالى وحده لا شريك له ولا معبود سواه ، وقد نهوا عن عبادة مادون الله تعالى من الآلهة الأخرى كالأصنام والأوثان والطواغيت وغيرها .

فقال تعالى :

(وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِى الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ)(٣)

فالمقصود من سؤال الرسل التقرير لأنهم عليهم السلام أجمعوا على مبدأ التوحيد للّه تعالى والاخلاص له وعبادته وحده لا شريك له ولا معبود بحق سواه جل جلاله ولم يسوح سبحانه وتعالى لأحد من الانبياء والرسل السابقين عليهم السلام ان معه آلهة أخرى .

والله أعلم بالصواب .

---

(١) كتاب التسهيل لعلوم التنزيل / للامام الكلبى جـ٤ ص٤٠ .
(٢) تفسير النسفى جـ٤ ص١٢٠ .
(٣) سورة النحل آية ٣٦ .

ثانيا : أمر نبينا صلى الله عليه وسلم بسؤال المشركين :-

(أ) سؤالهم عمن يلجأ اليه عند الشدائد :-

قال تعالى :

(قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ . بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ .)(١)

التمهيد للآيات :

ان الآيتين تقرران أنه عند الشدائد والأهوال ينسى المشركون المعاندون تلك الآلهة المزعومة عندهم .

فتتجه الخلائق الى خالقها وربها وتدعوه وتسأله النجاة والغوث والخلاص مما هي فيه ، فمعرفتها بربها وخالقها عز وجل حقيقة مستقرة فيها .

وأما الشرك فهو الزيف الخارج عليها فيزول عنها عند الشدائد ثم تلجأ الى الخالق العظيم والرب الكريم تسأله النجاة .(٢)

ايضاح الآيتان :

(قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ) : أخبروني .

قال الامام أبي السعود :

أمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يبكتهم ويلقمهم الحجر ولا سبيل لهم بالانكار

(إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ) : حسبما أنزل على الأمم السابقة حينما جحدوا وأنكروا أنواعا من العذاب في الدنيا .

(أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ) : القيامة بعذابها وشدائدها .(٣)

---

(١) سورة الأنعام ٤٠-٤١ .

(٢) ظلال القرآن جـ٢ ص١٠٨٦ وتفسير المراغي جـ٧ ص١٢٠ - ١٢١ .

(٣) تفسير أبي السعود جـ٣ ص١٣٢ .

(أغيرَ اللهِ تدعُونَ) : الاستفهام للتوبيخ .
على طريقة التبكيت والتقريع أى أتدعون فى هذه الحالة الأصنام التى عبدتموها أم الله تعالى .(١)
(إن كُنتمُ صادِقينَ) : تأكيد لتوبيخهم أى أغير الله من الأصنام تدعون إن كنتم صادقين أن أصنامكم تضر وتنفع وأنها آلهة كما تزعمون .(٢)

وقال الامام الخازن فى تفسير الآية :-

إن الكفار كانوا إذا نزلت بهم الشدة والبلاء والمحن رجعوا الى الله تعالى بالتضرع والدعاء وتركوا الأصنام التى يعبدونها وقيل لهم أترجعون الى الله تعالى فى حالة الشدة ولا تعبدونه وتطيعونه فى حال اليسر والرخاء .
(بَلْ إياهُ تدعُونَ فيكشِفُ مَا تدعُونَ إليهِ إن شاءَ) : أى بل تدعون الله تعالى ولا تدعون غيره ليكشف ما نزل بكم من الضر الذى من أجله دعوتم الله فيه .
ثم قال :

وانما قيد الاجابة بالمشيئة رعاية للمصلحة وان كانت الأمور كلها بمشيئة تعالى(٣)
(وَتنسَونَ مَا تشركُونَ) : أى تتركون دعاء الأصنام التى جعلتموها آلهة من دون الله تعالى عندما يأتيكم العذاب فلا تدعونها ولا ترجون كشف ما نزل بكم منها بل تتصرفون وتعرضون عنها اعراض الناسى.(٤)

المعنى الكلى للآيتين :

أمر الحق تعالى رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم ان يواجه المشركين المعاندين بسؤال توبيخ وتقريع لهم وتبكيت مذكرا اياهم ما أودعه الخالق فى نفوسهم من فطرة

---

(١) فتح القدير جـ٢ ص١١٥ .
(٢) فتح القدير جـ٢ ص١١٧ .
(٣) الخازن جـ٢ ص١٠٩ .
(٤) فتح القدير جـ٢ ص١١٧ .

التوحيد لله عز جلاله ، وأن كل أنواع الالحاد والشرك الزائل باطل ينكشف عنهم وخاصة عند الشدائد .

قائلا لهم : أخبرونى إن أتاكم عذاب الله تعالى كما نزل بالأمم السابقة المكذبة لرسلهم فى الدنيا ،أو جاءتكم الساعة - القيامة - بأهوالها وشدائدها وبعثتم للجزاء والحساب، أغير الله تعالى تدعون ؟ لينجيكم ويكشف عنكم كل مانزل وحل بكم من أنواع العذاب الدنيوى أو الأخروى - إن كنتم صادقين فى دعواكم الالوهية لهؤلاء المزعومين الذين اتخذتموهم شركاء وشفعاء فلماذا لا تدعونهم وتضرعون إليهم لكشف مانزل بكم ؟

ولكن الحق يبادرهم بالجواب استجابة لفطرة التوحيد ولو لم تنطق به ألسنتهم - بل - اضراب - لابطال الشرك والالحاد - أى بل اياه وحده تدعون وتتركون دعاء آلهتكم المزعومة عندكم كالناسى لها أو المعرض عنها . وقال تعالى يصور حالهم :-

(فَإِذَا رَكِبُوا فِى الفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى البَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ)(١)

فإذا شاء الحق جل جلاله كشف عنكم مانزل بكم من الضر اما كله أو بعضه وان شاء لم يستجب لكم دعاءكم فهذا وفق حكمته ومشيئته .(٢)

---

(١) سورة العنكبوت آية ٦٥ .

(٢) التفسير الكبير جـ١٢ ص١٢٢ وتفسير أبى السعود جـ٣ ص١٣٢ ، فى ظلال القرآن جـ٢ ص١٠٨٦ .

(ب) سؤال المشركين عمن يعيد اليهم النعم بعد فقدها :-

قال تعالى :

(قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ أنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ . قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ)(١)

التمهيد للآيتين :

لقد تنوعت أساليب الانكار والتوبيخ والتقريع فى القرآن الكريم للمشركين لاقامة الحجة عليهم فذكروا بأنواع النعم التى أنعم الله تعالى عليهم بها فهى من دلائل قدرة الله تعالى وحكمته ، فلو زالت هذه النعم التى هى محل القوة والسيطرة لاختلت المصالح وأصبح الانسان عاجزا عن ردها أو صونها من الآفات أو الأمراض ، فان القادر على هذه النعم العظيمة هو خالقها جل جلاله ، وكذلك صونها عن الآفات أو الأمراض أو كل مايطرأ عليها ، فاذا كان الأمر كذلك يجب أن يفرد بالتعظيم والثناء وأن يعبد دون سواه .

ولكنهم بعد هذا الاحتجاج عليهم ينصرفون ويعرضون عن الدلائل والبراهين الساطعة عنادا وكفرا وجحودا كالبعير الذى يميل بخفه الى الجانب الآخر من المرض الذى أصابه ، وهذا المثل يثير السخرية بهم .

فحينما يباغتهم عذاب الله تعالى أو يواجههم به وهم على غرة لا يتوقعونه أو وهم متأهبون له ، فان الهلاك والخسران سيحل بهم ، ولا أحد يستطيع أن يدفعه عنهم من الشركاء المزعومين .(٢)

---

(١) سورة الأنعام الآيتان ٤٦ ، ٤٧ .

(٢) فى ظلال القرآن جـ٢ ص١٠٩٠ وتفسير المراغى جـ٧ ص١٢٦-١٢٧ .

ايضاح الآيتين :

(قُلْ أَرَأَيْتُمْ) : أخبروني .

قال الامام الشوكاني :

هذا التكرير للتوبيخ والتقريع بقصد تأكيد الحجة على المشركين (١)

(إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ) : وذلك بأن أخذ منكم هذه النعم التى أنعم بها عليكم بأن أصمكم ، وأعماكم بالكلية ، وغطى على قلوبكم بما لا يبقى لكم عقلا ولا تمييزا ولا إدراكا فأصبحتم مجانين .

(مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ) : الاستفهام للتوبيخ والتقريع من هذا الذى يستطيع أن يمنحكم ما أخذ منكم .

(انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ) : الأمر بالنظر لعدم تأثرهم بكل ما يعاينون من الآيات والدلائل كيف نكررها ونقررها مصروفة من أسلوب الى آخر تارة بترتيب المقومات العقلية ، وأخرى بطريقة الترغيب والترهيب ، وثالثة بالتنبيه والتذكير وغيره .

(ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ) : أى يعرضون عن هذه الآيات والعلامات بعد تصريفها على وجوه متكررة وفيها البديع الموجب للايمان والتصديق والاقبال .(٢)

(قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ) أى أخبرونى هل آلهتكم تنفعكم إذ تدعونها .

قال الامام أبى السعود :

هذا تبكيت آخر لهم بإلجائهم الى الاعتراف باختصاص العذاب بهم .(٣)

(إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً) : أى العاجل الخاص بكم كما أتى الأمم السابقة

---

(١) فتح القدير جـ٢ ص١١٥-١١٧ .

(٢) فتح القدير جـ٢ ص١١٧ وتفسير أبى السعود جـ٣ ص١٣٤ .

(٣) تفسير أبى السعود جـ٧ ص١٥٤ .

قبلكم المكذبة (بَغْتَةً) أى فجأة من غير ظهور أمارات .

(أَوْ جَهْرَةً) أى بعد ظهور علاماته .

وقيل : ان معنى بغتة أن يأتيهم ليلا ، وجهرة أن يأتيهم نهارا .(١)

(هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ) : مايهلك هلاك تعذيب وسخط الا الذين ظلموا أنفسهم بكفرهم وجحودهم .(٢)

المعنى الكلى للآيتين :

ان الآيتين بينتا عجز المشركين الجاحدين المعاندين لتوحيد خالقهم ، فانهم أمام بأس الله تعالى عاجزون عن دفعه أو منعه عنهم .

فأمر محمد صلى الله عليه وسلم ان يواجههم بسؤال تقريع وتوبيخ وانكار عليهم فبهذا تقام عليهم الحجج .

قائلا لهم : أخبرونى أن سلب الله تعالى مشاعركم بإن أخذ سمعكم وأبصاركم وختم على قلوبكم اذ هو الذى وهب لكم هذه النعم فمن إله غيره يستطيع أن يرد عليكم ماسلب منكم ؟ وماذا تفعل آلهتكم المزعومة التى تدعونها وترجون شفاعتها ولو فعل الخالق تعالى هذا بكم فلاشك أنه لا يستطيع أحد أن يرد عليكم تلك الأعضاء التى هى محل القوة والسيطرة .

فإن كنتم تعلمون أن آلهتكم المزعومة لا تنفع ولا تضر بشئ فلماذا تدعونهم ، وهذا إحتجاج عليهم يقرر بطلان عقيدة الالحاد والشرك . لأن الله تعالى هو المستحق للعبادة والتعظيم وحده وكل شئ دونه باطل فهو المعبود بحق سبحانه وتعالى .

فانظر يامن يتأتى منه النظر عدم تأثرهم بكل مايعاينون من الدلائل والبراهين فإن عنادهم وجحودهم وتكذيبهم جعلهم يعرضون وينصرفون عنها وهذا يثير السخرية بهم لأنهم لم يعتبروا ولم يتذكروا ولم يتعظوا ولم يرجعوا عن ضلالهم وجحودهم وكفرهم

---

(١) روح المعانى جـ٧ ص١٥٤ .

(٢) تفسير النسفى جـ٢ ص١٣ .

وشركهم بل استمروا في العناد والتكذيب والضلال .

ثم هددهم الحق تعالى بأنه سوف يأتيهم بالعذاب كما آتى الأمم السابقة المكذبة إما بلا مقدمات ولا علامات ينظرونها وإما بعلامات يرونها ، فهل يهلك بهذا العذاب إلا القوم الظالمون الذين ظلموا أنفسهم وأصروا على الجحود والكفر والضلال.(١)

---

(١) روح المعاني جـ٧ ص١٥٤-١٥٥ ، تفسير أبي السعود جـ٣ ص١٣٤ . وفتح القدير جـ٢ ص١١٧-١١٨ .

(جـ) سؤال المشركين عن أشياء لا تكون الا من اللّه تعالى :-

قال تعالى :

(قُل مَن يَرزقكم مّنَ السَّماءِ والأَرض أمَّن يملك السمع والأبصار وَمَن يُخرجُ الحيّ مِنَ الميت ويُخرج الميّتَ مِنَ الحيّ وَمَن يُدبّر الأمر فسيقولون اللّه فقل أفلا تتقون) .(١)

التمهيد للآية الكريمة :

إن مشركى العرب لم ينكروا وجود الله تعالى وانه جل جلاله هو الخالق الرازق المدبر ولكن لجهلهم وضلالهم كانوا قد اتخذوا الأصنام والأنداد والشركاء من دونه تعالى زاعمين أنها تقربهم من اللّه تعالى زلفى ، ولما كانوا على خطأ فى هذا ، أمر الله تعالى رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم أن يحذرهم من عذاب اللّه تعالى ونقمته عليهم فى الدنيا والآخرة إن استمروا على ضلالهم وعبادتهم لهذه الآلهة المزعومة التى لا تقدر على شئ أبداً ، ثم لا تقربهم الى الله زلفى بل هى من أسباب الضلال والبعد عن خالقهم ورازقهم جل جلاله .(٢)

ايضاح الآية الكريمة :

(قُلْ) : يا محمد لهؤلاء المشركين احتجاجاً على حقيقة التوحيد وبطلان ما هم عليه من الشرك .

(مَن يرزقكم مّن السّماءِ والأرض) : أى منهما جميعا لأن الارزاق تحصل منها من السماء بالأمطار والحرارة من الشمس المنضجة للخيرات ، ومن الأرض بالنباتات والمعادن وغيرها .(٣)

قال الامام الشوكانى :

فان اعترفوا حصل المطلوب ، وان لم يعترفوا فلابد لهم من أن يعترفوا بأن اللّه تعالى هو الذى خلقهما .(٤)

---

(١) سورة يونس آية ٣١ .
(٢) فى ظلال القرآن جـ٣ ص١٧٨٠-١٧٨١ .
(٣) روح المعانى جـ١١ ص١١٠ .
(٤) فتح القدير جـ٢ ص٤٤٣ .

(أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ) : أم منقطعة ومافيها من كلمة بل للاضراب عن الأول ولكن ليس على طريقة الابطال بل على وجه الانتقال أى الانتقال من سؤال الى سؤال .

أى من يستطيع خلقها وتسويتها على هذه الصفة الغريبة فأعطاهم هذه الحواس التى يسمعون بها ويبصرون منها .(١)

قال الامام الشوكانى :

وخص السمع والبصر بالذكر لما فيهما من الصنعة العجيبة والقدرة الباهرة البديعة فمن يستطيع ملكهما وتسويتهما على هذه الصنعة والخلق حتى انتفعتم بهما هذا الانتفاع العظيم وحصلتم بهما من الفوائد مالا يدخل تحت الحصر .(٢)

(وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ) المراد فى الاستفهام فمن يحيى ويميت فهذا من دلائل البعث الذى أنكروه وجحدوا الاعادة بعد الموت ، فهو جل جلاله يخرج الانسان حياً من النطفة وهى ميته ، وكذلك الطير من البيضة ، وكذلك يخرج النطفة الميتة من الانسان الحىّ ، ويخرج البيضة الميته من الطائر الحىّ .(٣)

(وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ) : أى من يلى تدبير أمر العالم .

(فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ) : فسيجيبون عند سؤالك أن القادر على هذا كله هو الله تعالى .(٤)

قال الامام الشوكانى :

سيكون قولهم فى الجواب عن هذه الاستفهامات إن الفاعل لهذه الأمور هو اللّه تعالى إن أنصفوا وعملوا بما يوجبه الفكر الصحيح والعقل السليم (٥)

(فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ) : أمر الله تعالى رسوله محمدا صلى اللّه عليه وسلم بعد أن يجيب

---

(١) تفسير ابى السعود جـ٤ ص١٤١ .
(٢) فتح القدير جـ٢ ص٤٤٣ .
(٣) تفسير الخازن جـ٣ ص١٥٤ .
(٤) النسفى جـ٢ ص١٦٢ .
(٥) فتح القدير جـ٢ ص٤٤٣ .

المشركون بهذا الجواب أن يقول لهم : (أَفَلَا تَتَّقُونَ) فتفعلون مايوجبه هذا العلم من تقوى الله الذى يفعل هذه الأفعال وتخافون نقمته فى الدنيا والآخرة .

والهمزة فى قوله (أَفَلَا تَتَّقُونَ) للانكار عليهم والفاء للعطف على مقدر أى أتعلمون ذلك فلا تتقون عذابه الذى سوف يأتيكم .(١)

المعنى الكلى للآيـــة :

لقد أورد الحق تعالى الحجج بأسلوب الاستفهام وتفويض الجواب الى المسؤلين ليكون أبلغ فى الزامهم بالحجة وأوقع فى نفوسهم الضالة عن الحق .

فأمر الله سبحانه نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم أن يقول للمشركين المعاندين من أهل مكة احتجاجا عليهم بحقيقة التوحيد وبطلان ما هم عليه من الشرك والضلال .

من الذى يدر عليهم الأرزاق من السماء والأرض بما ينزل عليكم من الأمطار التى بها حياة الكل ، ومن يرزقكم من الأرض بما ينبته لكم من النباتات والأشجار التى تأكلون منها وتأكل أنعامكم وكذلك يخرج لكم مافى الأرض من المعادن التى تنتفعون بها فإذا اعترفوا بذلك حصل المطلوب وان لم يعترفوا بأن الله تعالى هو الذى يفعل هذه الأشياء وهو خالقها فيقرر عليهم الحجة ويلزمهم بها .

ثم أمره أن يسألهم سؤالا آخر من أعطاكم ووهب لكم هذه الحواس وحفظها مما يعتريها من الضعف والآفات ؟ فلاشك أن الجواب عن هذا ، هو الله فان تأملوا ذلك زادوا ايمانا وعلما واعجابا بكل ما أنعم الله عليهم فلا يقدر غيره على ايجاد ذلك .

وينتقل الحق تعالى الى كشف أسرار الموت والحياة واخراج الحى من الميت واخراج الميت من الحى بصيغة الاستفهام فمن ذا الذى يقدر على الموت والحياة ؟ فيخرج

---

(١) فتح القدير جـ٢ص٤٤٣ .

الانسان الحى من النطفة الميته وكذلك يخرج الطير من البيضة ويخرج الميت من الحى أى يخرج النطفة الميته من الانسان الحى ويخرج البيضة من الطائر الحى ويخرج النبات من الأرض الميتة بعد انزال المطر عليها من السماء كما قال تعالى :

(أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ)(١)

ثم أمر نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم أن يسأل المشركين عمن يلى تدبير أمور العالم كله بما فيه من دقة ونظام وحكمة فى جميع الأشياء وهم سيجيبون على هذه الأسئلة بلا تلعثم بأن فاعل كل هذه الأشياء هو الخالق جل جلاله فهو رب العالمين ومليكه .

وبعد أن يجيبوا عن ذلك . أمره عز وجل أن يقول لهم على سبيل الانكار أفلا تخافون سخط خالقكم وعقابه لكم فى الدنيا والآخرة لشركم وعبادتكم آلهة أخرى لا يملكون لكم ضرا ولا نفعا وهو الذى يملك هذه الأشياء كلها وهو رب العالمين وهو خالق الجميع والرب المعبود المستحق للعبادة وما دونه باطل .(٢)

وقال عز وجل فى نفس السورة :

(قُلْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلِ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ . قُلْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّي إِلَّا أَن يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ)(٣)

---

(١) سورة الزمر الآية ٢١ .
(٢) التفسير الكبير جـ٧ ص٨٦ ، ٨٧ ، فى ظلال القرآن جـ٣ ص١٧٨٠-١٧٨٢ .
(٣) سورة يونس الآية ٣٤ ، ٣٥ .

التمهيد للآيتين :

فى هاتين الآيتين يأمر الله تعالى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم أن يسأل المشركين الجاحدين عمن يبدأ الخلق ثم يعيده ، وعمن يهدى الى الحق .

(هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ) ؟ و (هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ) ؟(١)

ولما كان الجواب واضحا وهو انه لا يبدؤ الخلق ثم يعيده ولا يهدى الى الحق إلا الله تعالى سواء نطقوا بذلك أم سكتوا ، أمره تعالى أن يجيب نيابة عنهم ثم يبكتهم على تحويل العبادات وصرفها عن الله تعالى إلى شركائهم غير المستحقين لها .

ايضاح الآيتين:

(قُلْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُمْ) : قل يا محمد لهؤلاء المشركين المعاندين هل من آلهتكم ومعبوداتكم المزعومة وفى هذا تقريع وتوبيخ لهم .(٢)

(مَّن يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ) : أى ينشئ الخلق من العدم الى الوجود ، ثم يعيده بعد الفناء أى بعد الموت ، يعيد الخلق يوم القيامة للحساب والجزاء .

قال الامام الصاوى :

وإنما لم يجيبوا عن هذا السؤال وتولى الله عز وجل الجواب عنه لأنهم منكرون للبعث بعد الموت ، فلو أجابوا لكان ذلك اقرارا منهم بالبعث ، ويصح أن يكون حجة وبرهانا عليهم لقيام الأدلة والبراهين عليه فلا يستطيعون أن ينازعوا فى ذلك .(٣)

(قُلِ اللَّهُ يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ) أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بأن ينوب

---

(١) سورة يونس الآيتان ٣٤، ٣٥ .
(٢) الجامع لأحكام القرآن جـ٨ ص٣٤١ .
(٣) حاشية الصاوى على تفسير الجلالين جـ٢ ص١٨٧-١٨٨ .

عنهم فى الجواب بأن الله سبحانه هو الذى يفعلهما لا أحد غيره ،أى أنهم لا تدعهم مكابرتهم أن ينطقوا بكلمة الحق تعالى فتكلم عنهم بأن الله هو القادر على الابتداء والاعادة.

(فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ) : الافك الصرف ، والقلب عن الشئ .

وقد يختص بالقلب عن الرأى فهذا أنسب أى كيف تقلبون من الحق الى الباطل .

فكيف تصرفون عن قصد السبيل ، والمراد من هذا التعجب من أحوالهم كيف تركوا هذا الأمر الواضح وعدلوا عنه الى الباطل .(١)

(قُلْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَهْدِى إِلَى الْحَقِّ) : احتجاجا آخر والزاماً وافحاماً على طريقة التوبيخ والتقريع قل يا محمد هل من يهدى الى الحق باعطاء العقل وبعثة الرسل وانزال الكتب والتوفيق الى النظر والتدبير بما فى الآفاق والأنفس الى غير ذلك هو الله أم شركاؤكم؟(٢)

(قُلِ اللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ) : تولى الحق تعالى الجواب عنهم ، فقل يا محمد موبخا ومقررا الله تعالى يهدى الى طريق الحق والصواب ، فهو أحق بالاتباع لا هذه الأصنام التى لا تهتدى بنفسها .(٣)

(أَفَمَن يَهْدِى إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ) الاستفهام للتقرير والزام الحجة لأن قوله (أفمن يهدى الى الحق) المقصود به التعميم فان الله تعالى هو الهادى . أى أفمن يهدى الى الحق بالاتباع أم من لا يهدى اليه .(٤)

(أَمَّن لَّا يَهِدِّى إِلَّا أَن يُهْدَى) : أى لا يهتدى بحال من الأحوال الا فى حال أن يهديه الغير بانتقاله من مكان لآخر كالأصنام .(٥)

---

(١) تفسير النسفى جـ٢ص١٦٣ .
(٢) روح المعانى جـ١١ ص١١٣ .
(٣) الخازن جـ٣ ص١٥٤ .
(٤) الجامع لأحكام القرآن جـ٨ ص٣٤١ .
(٥) فتح القدير جـ٢ ص٤٤٤ .

أو المعنى كما ذكر الامام النسفى :

أم من لا يهتدى من الأصنام والأوثان الى مكان فينتقل اليه الا أن ينقل اليه أو الا أن ينقله الله تعالى من حاله الى أن يجعله حيا ناطقا فيهديه .(١)

(فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ) : تعجيب من حال المشركين باستفهامين متواليين أى أى شىء لكم كيف تحكمون باتخاذ هؤلاء الشركاء والأنداد لله عز وجل .(٢)

المعنى الكلى للآيتين :

إن الله تعالى يأمر رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم أن يسأل المشركين الجاحدين سؤال توبيخ وتقريع هل من شركائكم الذين أخلصتم لهم بالعبادة دون خالقكم يستطيع ويقدرعلى انشاء الخلق فى أطواره المختلفة من العدم الى الوجود ثم يعيده بعد الفناء والموت ؟ مرة ثانية ، ولكنهم لم يستطيعوا أن يجيبوا على ذلك لانكارهم البعث بعد الموت ، فان الحق تعالى لقن رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم الجواب بالأدلة والبراهين عليه فلا يستطيعون أن ينازعوا فى ذلك سواء سكتوا أم نطقوا به ، فالقادر على بدء الخلق وانشائه من العدم الى الوجود يكون أقدر بالاعادة مرة ثانية بالأولى .

أفلا يحكمون عقولهم ؟ فيسلمون بمبدأ البعث والجزاء بعد الفناء - أى بعد الموت يوم القيامة .. ثم أمر تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم أن ينبئهم بجهلهم وضلالهم المتمثل فى انصرافهم عن الحق الى الباطل والضلال والالحاد والاشراك بالله تعالى ولا يتفكرون فى مصيرهم المنتظر ، ثم أمره باحتجاج آخر ليكون الزاما لهم بالحجة القاطعة عليهم هل من شركاؤكم من يهدى الى الحق ؟ أى هداية بالطبيعة والفطرة أو بالتشريع والتلقين ، أوبالتوفيق ومنع الصوارف ، فكل هذه الهداية بأنواعها من تتمة الخلق والتكوين

---

(١) تفسير النسفى جـ٢ ص١٦٣ .

(٢) فتح القدير جـ٢ ص٤٤٥ .

قال تعالى :
(قَالَ رَبُّنَا الَّذِى أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ) (١)

فلما كانوا لا يستطيعون أن يدعوا هذا لأحد من هؤلاء الشركاء المزعومين ، لقَّن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجواب ليكون أوقع فى نفوسهم الضالة فإن اللّه سبحانه وتعالى هو يهدى للحق والى الطريق المستقيم ، ولا أحد غيره أفمن يهدى الى الحق ؟ وهو اللّه أحق وأولى أن يتبع فيما يشرعه للعباد ، أم من لا يهدى غيره الخير أبداً ولا يهتدى بنفسه إلَّا أن يهديه غيره ويرشده وهذا كالأصنام فهى لا تهتدى أبداً الى الخير ولا تهدى اليه أبداً فكيف تكون هدايتها ، فبهذا يلزمهم قيام الحجة عليهم وتوضيح ضلالهم وبعدهم عن الحق .

ثم تعجب الحق تعالى من حالهم بالاستفهامين التاليين فأى شىء أصابكم حتى اتخذتموهم شركاء ووسطاء بينكم وبين خالقكم وربكم ، ورازقكم وهاديكم الى الخير ، فكيف تحكمون بهذا الضلال وهذا الانحراف لتلك الآلهة المزعومة وفى هذا التعجيب بيين سوء حالهم وقبح صنيعهم ودناءة أفعالهم .(٢)

---

(١) سورة طه آية ٥٠ .
(٢) تفسير المراغى جـ١١ ص١٠٣-١٠٤ وحاشية الصاوى على تفسير الجلالين جـ٢ ص١٨٨ وفتح القدير جـ٢ ص٤٤٤ .

(د) سؤال المشركين عمن خلق الأشياء كلها :

قال تعالى :

(قل من رب السموات والأرض قل الله قل أفاتخذتم من دونه أولياء لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً قل هل يستوى الأعمى والبصير أم هل تستوى الظلمات والنور أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم قل الله خالق كل شيء وهو الواحد القهار)(١)

التمهيد للآية الكريمة :

لقد ذكر القرآن العظيم اعتراف المشركين المعاندين بأن الله تعالى خالق السموات والأرض فى الكثير من الآيات الكريمة فقال تعالى :ـ

(ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فأنى يؤفكون)(٢)

وقال عز وجل يصور اعتراف المشركين بأن الخالق للسموات والأرض هو الله تعالى.

قال تعالى :

(ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون)(٣)

وقد سجل الحق تعالى اعتراف المشركين وبين ضلالهم وبعدهم من الحق فى قوله تعالى :

(ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله إن أرادنى الله بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادنى برحمة هل هن ممسكات رحمته قل حسبى الله عليه يتوكل المتوكلون)(٤)

---

(١) سورة الرعد آية ١٦ .

(٢) سورة العنكبوت آية ٦١ .

(٣) سورة لقمان آية ٢٥ .

(٤) سورة الزمر آية ٣٨ .

وقال الحق جل جلاله مسجلا اعترافهم فى سورة الزخرف .
(وَلئِنَ سألتهم من خَلَق السَّموات والأَرْض ليقولنّ خَلَقهنّ العَزيزُ العَليمُ) (١)

فبعد أن سجل القرآن اعتراف المشركين يبكتهم الخالق القادر ويلزمهم بالحجة إن جهلوا حقيقتها وبعدوا عنها واستمروا فى طغيانهم وعبادتهم الآلهة المزعومة فهو المستحق للعبادة وكل شئ دونه باطل ، وكيف تستطيع هذه الآلهة جلب النفع أو دفع الضر عن غيرهم وهم لا يستطيعون ذلك لأنفسهم فلاشك أنهم عاجزون وهم خلق من مخلوقات الله تعالى ، فمع علمهم هذا بأنهم عاجزون استمروا فى طغيانهم وضلالهم واتخذوهم أولياء وشفعاء ونصراء من دون الله تعالى ، ثم ضرب الله تعالى لهم مثلا لبيان فساد ما هم عليه من الشرك والضلال بالأعمى والبصير ، والظلمات والنور فلاشك انهما غير متساويين ، فالمؤمن الذى عرف الحق واتبعه ووحد الله تعالى وعبده حق عبادته لا يتساوى واياكم يا من أنتم على الضلال والخسران والشرك والالحاد .

ثم يواجههم بسؤال انكارى توبيخى استهزاء بهم فى اتخاذهم الشركاء والأنداد من دون الحق سبحانه وتعالى ، هل هؤلاء المزعومون خلقوا خلق كخلق الله عز وجل فتشابه الخلق - أى خلقهم بخلق الله تعالى - فجعلتموهم بذلك شركاء له تعالى - ولكن الجهل والضلال والبعد عن الحق جعلكم تسلكون هذا الخطأ الشنيع أنه ضلالكم وبعدكم عن الحق .... فلو فكرتم بعقولكم لوجدتم أن الخالق المنفرد بالخلق والايجاد والعدم هو الله عز وجل ، وكل الشركاء والأنداد عاجزون عن فعل هذا فلا اعتراض لكم بعد الزامكم بالحجة الواضحة والدلائل الساطعة (٢)

---

(١) سورة الزخرف آية ٩ .
(٢) تفسير الخازن جـ٤ ص١١ وتفسير ابى السعود جـ٥ ص١٣ وتفسير المراغى جـ ٣ ص٨٥-٨٦ .

ايضاح الآية الكريمــــــة :

(قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ) : قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين اتخذوا من دونه أولياء من رب هذه الأجرام العظيمة العلوية والسفلية فهو مالك السموات ومن فيهن ومالك الأرض ومن عليها ومدبرها .

والسؤال للسخرية والتهكم عليهم بما عبدوا من دونه تعالى .(١)

(قُلِ اللَّهُ) : أمره تعالى بالجواب اشعارا بأنه المتعين .

وقيل : أمر بالجواب ليبين لهم ما هم عليه من مخالفتهم لما علموه ايذانا بأن الأمر لا بد لهم منه وكأنه قيل له أحك اعترافهم فبكتهم بما يلزم من الحجة وألقمهم الحجر أن تلعثموا في الجواب حذرا من الزامهم بالحجة فانهم لا يتملكون أو يقدرون على انكارها .(٢)

وهذا القول أرجحه وأميل اليه .

(قُلْ أَفَاتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ) : قل يا محمد الزاما لهم وتبكيا . (أفاتخذتم) الهمزة للانكار ، أبعد اقراركم بأنه رب السموات والأرض ، يليق بكم أن تتخذوا لأنفسكم من دون الله تعالى أولياء وشفعاء عاجزين لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا فبالأولى لا يقدرون أيضا لكم .(٣)

(لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا) : أي لا يستطيعون لأنفسهم أن ينفعوا أو يدفعوا ضرا عنها فكيف يستطيعون لغيرهم ، وانكم قد اثرتموهم على خالقكم القادر على كل شيء فما أبين ضلالتكم . (قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ) اى الكافر والمؤمن . (٤)

(أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ) : (أم) منقطعة بمعنى بل والهمزة ، والاستفهام للتوبيخ والتقريع كيف يكونان مستويين وبينهما من التفاوت كما بين الظلمات والنور أى كالشرك والايمان .(٥)

(أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ) : (أم) منقطعة بمعنى بل

---

(١) روح المعاني جـ١٣ ص١٢٧ .

(٢) تفسير ابى السعود جـ٥ ص١٢ وروح المعاني جـ١٣ ص١٢٧ .

(٣) حاشية العلامة الصاوى على تفسير الجلالين جـ٢ ص٢٦٩ .

(٤) تفسير النسفى جـ٢ ص٢٤٦ .

(٥) فتح القدير جـ٣ ص٧٤ .

والهمزة والاستفهام لإنكار الوقوع أى أجعلوا لله شركاء خلقوا مثل ما خلق الله تعالى فتشابه خلق هؤلاء الشركاء المزعومين بخلق الله تعالى ، فليس الأمر على هذا حتى يشتبه عليهم الأمر ، ولكن إذا فكروا بعقولهم وجدوا أن الله تعالى هو المنفرد بالخلق ـ أى الايجاد والعدم ، وسائر الشركاء لا يخلقون شيئا بل هم مخلقون(١) .

(قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ) : قل يا محمد لهؤلاء المعاندين تحقيقا للحق وارشادا لهم إليه الله تعالى خالق كل الأشياء جميعا ولا خالق سواه فكيف لهؤلاء الجاحدين أن يتوهموا أن يكون له شركاء .(٢)

(وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ) : أى هو الله تعالى المنفرد بالإيجاد والعدم وهو القاهر العباده المختار فى أفعاله المتصرف فى جميع الأحوال لا يسأل عما يفعل وهم يسألون .(٣)

قال تعالى :

(لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ . لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ) .(٤)

المعنى الكلى للآية الكريمة :

أمر الحق تعالى رسوله ونبيه محمدا صلى الله عليه وسلم أن يسأل المشركين الجاحدين المعاندين سؤال استهزاء وسخرية بما يلزمهم الحجة الواضحة فى اتخاذ الشركاء والأنداد من دون الله تعالى ، إن جهلوا حقيقتها لأنهم كانوا معترفين بأن الله تعالى هو الخالق لجميع الأشياء ، ولكن الحق تعالى أمره عليه الصلاة والسلام أن ينوب عنهم فى الجواب لأنه هو المتعين وليبين لهم ما هم عليه من المخالفة لما اعترفوا بها فيكون الزاما لهم وتبكيتا . الله رب كل شيء ، ثم أمره تعالى أن يلزمهم الحجة وينكر عليهم

---

(١) فتح القدير جـ٣ ص٧٤ .
(٢) تفسير ابى السعود جـ٥ ص١٢ .
(٣) حاشية العلامة الصاوى على تفسير الجلالين جـ٢ ص٢٧١ .
(٤) سورة الأنبياء الآيتان ٢٢ ، ٢٣ .

اتخاذهم من دونه أولياء ؟ فإذا كان الأمر بهذا وأنتم معترفون ومقرون بأنه هو الخالق ورب السموات والأرض فما بالكم اتخذتم من دونه أولياء عاجزين لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا ، وضرب الله عز وجل لهم مثلا يوضح بطلان معتقداتهم في عبادتهم لغير المعبود الحقيقي الله تعالى بالأعمى والبصير فالمؤمن كالبصير الذى يرى الأشياء والكافر كالأعمى الذى لا يبصر الحق فيسقط في الجحيم فالفرق واضح بينهما كوضوح الحق من الضلال ، وكالفرق بين الايمان والشرك والنور والظلمات ، فكيف يكونان متساويين وبينهما التفاوت الكبير فالاستفهام للتقريع والتوبيخ .

وقال الامام الشوكاني :
أفرد النور لأن طريق الحق واحد ، وجمع الظلمات ، لأن طرق الباطل كثيرة غير محصورة العدد .(١)

ثم أمر الحق تعالى نبيه المصطفى عليه الصلاة والسلام أن ينكر عليهم فعلهم هذا ويحتج عليهم أخلق هؤلاء الشركاء المزعومون خلقا مثل خلق الله تعالى فتشابه عليهم ذلك الخلق بخلق الله تعالى فلا يدرون أيهما هو الخالق الحقيقي ؟

لكن الأمر ليس كما يتصورون حتى يتشابه عليهم فإذا فكروا بعقول ناضجة وجدوا الله تعالى هو المنفرد بالخلق وسائر الشركاء لا يخلقون أى شئ بل هم مخلوقون ، فلم جعلتموهم شركاء وشفعاء له حتى استحقوا العبادة منكم ، فاذا كان الأمر ليس كذلك فقد لزمتكم الحجة ووضح لكم الحق بأن الله تعالى هو خالق جميع الأشياء وأن جميع المخلوقات تحت قدرته وقهره وسلطانه فهو المستحق للعبادة وكل ماسواه باطل .(٢)

---

(١) فتح القدير جـ٣ ص٧٤ .
(٢) فتح القدير جـ٣ ص٧٤ ، وتفسير أبى السعود جـ٥ ص١٣ ، وفى ظلال القرآن جـ٤ ص٢٠٥٢ .

(هـ) سؤال المشركين عمن يستقل بالخلق والملك :

قال تعالى فى سورة المؤمنون :-

(قُلْ لِمَنِ الأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ . سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ . قُلْ مَن رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ . سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ . قُلْ مَن بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ . سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ . بَلْ آتَيْنَاهُم بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ . مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ)(١)

التمهيد للآيات :

يقرر القرآن الكريم وحدانية الخالق تعالى واستقلاله جل جلاله بالخلق والملك والتصرف الكامل فى جميع الأشياء فلا معبود بحق سواه ولا شريك له .

فلهذا أمر سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم أن يواجه المشركين الجاحدين بسؤال إنكارى توبيخى ليصحح الانحراف والخطأ ويقلع الشرك والالحاد ، ليستقيموا على التوحيد ، لأنهم يزعمون أن الذين يعبدونهم من دون الله تعالى يقربونهم إلى الله تعالى زلفى فقال تعالى يصور الباطل الذى هم عليه .

(وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ)(٢)

ايضاح الآيات :

(قُلْ لِمَنِ الأَرْضُ وَمَن فِيهَا) : أمر من الله عز وجل لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم أن يسأل المشركين المعاندين عن أمور لا مفر لهم من الاعتراف بها ، ثم أمره أن ينكر عليهم بعد اعترافهم ويوبخهم بقوله : لمن الأرض ومن فيها - أى الخلق جميعا .

---

(١) سورة المؤمنون آية ٨٤ الى ٩١ .

(٢) سورة الزمر آية ٣ .

قال الامام الشوكانى :

عبر بمن تغليبا للعقلاء .(١)

وقال الامام الكلبى :

ان هذه الآيات توقيف لهم على أمور لا يمكنهم الاقرار بها ، فاذا أقروا بها لزمهم توحيد خالقها والايمان بالآخرة .(٢)

(إن كُنتُم تَعلَمونَ) : ان كنتم من أهل العلم أو عالمين بذلك أخبرونى

قال الامام الألوسى :

فى الآية من المبالغة و الاستهانة بهم وتقرير جهلهم مما لا يخفى .

(سَيقولونَ للهِ) : أخبر بالجواب قبل أن يجيبوا لأنه لابد لهم أن يقولوا ذلك ، فان بداهة العقل تضطرهم الى الاعتراف بأنه سبحانه خالقها (٣)

وقال الامام الجمل :

هذا اخبار من الله تعالى بما يقع منهم فى الجواب قبل وقوعه .

(قل أفلا تذكرونَ) : أى قل لهم يا محمد بعد أن يجيبوا بما ذكر تبكيتا وتوبيخا أفلا تتعظون وتعلمون أن من قدر على الخلق ابتداء فهو أقدر على الاعادة بعد الموت والفناء خلقا سويا .(٤)

(قل من رَبُّ السَّمواتِ السَّبعِ وربُّ العَرشِ العَظِيم) : أى من هو خالق العالم العلوى بما فيه العرش العظيم .

(سَيقُولونَ للهِ) : لأن بداهة العقل تضطرهم الى الاعتراف بأنه سبحانه وتعالى هو خالقها .

---

(١) فتح القدير جـ٣ ص٤٩٥ .

(٢) كتاب التسهيل لعلوم التنزيل جـ٣ ص٥٥ .

(٣) روح المعانى جـ ١٨ ص٥٨ .

(٤) الفتوحات الالهية جـ٣ ص٢٠٠ .

(قُلْ أفلا تتقون) : قل يا محمد لهم إفحاما وتوبيخا أتعلمون ذلك ولا تتقون في جحودكم قدرته تعالى على البعث مع اعترافكم بقدرته على خلق هذه الأشياء .(١)

(قُلْ مَن بيده ملكوتُ كلِّ شيءٍ) : مما ذكر وما لم يذكر ، والملكوت صيغة مبالغة للملك فالمراد به الملك الشامل الظاهر.

(وهو يُجير) : أي يمنع من يشاء ممن يشاء .

(ولا يُجار عليه) أي ولا يمنع أحد منه جل جلاله أحدا

(إن كنتم تعلمون) : تكرار (تعلمون) في الآيات للاستهانة بهم وتجهيلهم .(٢)

(سيقولون لِلَّه) : أي لله ملكوت كل شيء وهو الذي يجير ولا يجار عليه .

(قُلْ فأنَّى تسحرون) : قل يا محمد تقريعا لهم كيف تخدعون وتصرفون عن الرشد مع علمكم به الى ما أنتم عليه من الضلال فان من لا يكون مسحورا مختل العقل لا يكون كذلك .(٣)

(بل آتيناهم بالحق وإنهم لكاذبون) : أي بالقول الصدق ، وهو اعلام بأنه لا اله الا الله ، وأقمنا الأدلة الصحيحة الواضحة القاطعة على ذلك .

(وإنهم لكاذبون) : أي في عبادتهم مع الله تعالى غيره ، ولا دليل لهم على ذلك .(٤)

قال تعالى :

(ومَن يدعُ مع الله إلهاً آخر لا برهان له به فإنما حسابه عند ربه إنه لا يُفلح الكافرون) .(٥)

(ما اتخذ الله من ولدٍ وما كان معه من إلهٍ) : لتنزهه تعالى عن الاحتياج وتقديسه تعالى عن المماثلة من أن يشاركه أحد في الألوهية .(٦)

---

(١) تفسير النسفي جـ٣ ص١٢٦ .
(٢) روح المعاني جـ١٨ ص٥٨ .
(٣) تفسير ابى السعود جـ٦ ص١٤٨ .
(٤) تفسير ابن كثير جـ٥ ص٣٥ .
(٥) سورة المؤمنون ١١٧ .
(٦) روح المعاني جـ١٨ ص٥٩ .

(إِذاً لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُم عَلَى بَعْضٍ) :

قال الامام الشوكانى :

فى الكلام حذف تقديره :-

لو كان مع الله آلهة لانفرد كل إله بخلقه واستبدّ به وامتاز ملكه عن الآخر ووقع بينهم التطالب والتحارب والتغالب وغلب القوى منهم الضعيف وقهره وأخذ ملكه كعادة الملوك من بنى آدم ، فهذا الضعيف لا يستحق أن يكون إلها وإذاً تقرر عدم امكان المشاركة فى ذلك ، وانه لا يقوم به الا الله سبحانه وتعالى .

(سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يَصِفُونَ) : تنزيها لله تعالى عن الشركاء .(١)

المعنى الكلى للآيات :

لقد أُمر رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم بمواجهة المشركين المنحرفين عن عقيدة التوحيد الى الشرك والالحاد بسؤالهم عن أمور لا مفر لهم من الاعتراف بها ولكن جحودهم وعنادهم يأبى عليهم التصريح بها لكى لا يلتزموا بالتوحيد والإيمان بالبعث يوم القيامة والحياة مرة ثانية للجزاء والحساب وهم منكرون لها .

فقال عز وجل لرسوله صلى الله عليه وسلم : قل يامحمد لهؤلاء المكذبين المعاندين لمن الملك التام الشامل لكل من فى السموات والأرض إن كنتم من أهل العلم أخبرونى به ؟ ولكن الحق تعالى يلقنه الجواب قبل ان يجيبوا للاستهانة بهم وتأكيد جهلهم وعنادهم فان لله سبحانه وتعالى الملك التام والتصرف الكامل فيهما ، ثم أمره أن يوضح بطلان ماهم عليه لعلهم يتعظون ويعرفون أن من قدر على بدأ الخلق فهو أقدر على الاعادة بعد الفناء والموت .

قال تعالى :

(أَفَحَسِبْتُمْ إِنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ)(٢)

---

(١) فتح القدير جـ٣ ص٤٩٦ .

(٢) سورة المؤمنون آية ١١٥ .

ثم أمره تعالى أن يرغبهم فى التدبر ليعلموا بطلان ما هم عليه ولعلهم يتعظون ويدركون أن من قدر على بدأ هذا الخلق العجيب فهو أقدر بكل تأكيد على الاعادة بعد الفناء والموت لكن جحودهم وعنادهم جعلهم ينكرون ذلك مع اعترافهم بأنه تعالى هو الخالق لكل شيء ، فضلا لهم وانحرافهم جعلهم يتخذون من دونه تعالى آلهة أخرى لا تنفع ولا تضر أضلتهم عن طريق الحق الى الخسران والضلال وابتعدوا عن خالقهم الحقيقى الذى يغيث وينصر من يشاء فيكون فى حرز منه تعالى فلا يستطيع أحد أن يناله بسوء ، ولكنه تعالى لا يمنع منه أحد أو يغيثه من عذابه اذا أنزله عليه أحد لأنه تعالى لا راد لقضائه ولا مانع لعطائه ، وإن كنتم من أهل العلم والادراك أخبرونى عن ذلك وهذا استهانة بهم وتجهيل لهم ، ولكن الحق تعالى لقن رسوله الجواب قبل أن يجيبوا فهو تعالى بيده كل شيء وليس غيره قادرا على هذا ، فقل لهم يا محمد على طريقة الاستهجان بهم والتوبيخ كيف تخدعون أنفسكم وتتصرفون عن التوحيد لله تعالى وطاعته الى ما أنتم عليه من الشرك والانحراف فخيل لكم الحق باطلا كأن عقولكم غابت عن رشدها وأصبحتم كالمجانين .

ثم يأتيهم بالدليل الذى يثبت قول الحق وهو لا اله الا الله فهو دليل صدق وحق وينفى دعواهم الباطلة ويبين ضلالهم الفاسد الذى جعلهم يثبتون لله تعالى الشركاء . تعالى الله عما يصفون علوا كبيرا وتنزيها له تعالى عما يقول الظالمون المعتدون .(١)

---

(١) تفسير الخازن جـ٥ ص٥٣ وتفسير المراغى جـ١٢ ص٤٨-٥٠ .

(و) سؤال المشركين هل خلق آلهتهم شيئاً :-

قال تعالى :

(قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ)(١)

التمهيد للآية الكريمة :

ان الكثير من الآيات القرآنية تصرح ببطلان الشرك والشركاء وتقرر وحدانية الله تعالى فهو المستحق للعبادة وحده دون سواه .

وقد أمر الله تعالى رسوله ونبيه محمدا بمواجهة المشركين الجاحدين بسؤال توبيخ وتقريع لهم هل هؤلاء الشركاء المزعومون خلقوا أى شيء من الأرض ؟ أو لهم شراكة مع الله تعالى فى خلق السموات لكى يستحقوا العبادة منكم ؟

فان كان لهؤلاء ماتدعون فهاتوا واظهروا دليلا أو علامة من كتاب قبل القرآن أو حجة تناقض هذه الحجة أو بقية علم من علم السابقين الأولين يؤيد ماتدعون ، فالجواب بدون شك - لا - وليس هناك دليل عقلى أو نقلى يؤيد مايذهب اليه المنحرفون فى عقيدة التوحيد ، وبذا يتم بطلان دعواهم الكاذبة فى اتخاذهم مع الله تعالى آلهة يعبدون .

ايضاح الآية الكريمة :

(قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ) : أخبرونى ، والاستفهام للتوبيخ والتبكيت عليهم أى اخبرونى ماتعبدون (من دون الله) من الأصنام والمعبودات الباطلة .

(أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ) : (أَرُونِي) تأكيد لكلمة (أَرَأَيْتُم) .

(مَا) اسم استفهام و (ذا) اسم موصول بمعنى الذى ،

أىّ أى الذى خلق هؤلاء الشركاء من الأرض إن كانوا آلهة كما تدعون (٢)

---

(١) سورة الأحقاف آية ٤ .

(٢) تفسير أبى السعود جـ٨ ص٧٧ .

(أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ) : أم منقطعة بمعنى بل والهمزة ، والاستفهام للتوبيخ والتقريع ، أى بل ألهم شركة مع الله تعالى فى خلق السموات .(١)

(ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا) : تبكيت لهم واظهار لعجزهم وقصورهم عن الاتيان بسند نقلى بعد تبكيتهم واظهار عجزهم عن الاتيان بسند عقلى أى ائتونى بكتاب الهى كائن من قبل القرآن الناطق بالتوحيد وابطال الشرك دال على صحة دينكم .

(أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ) : أى بقية من علم بقيت لكم من علوم الأولين والسابقين لكى تكون شاهدة باستحقاق الشركاء العبادة أو تكون لكم دليلا على ذلك .(٢)

(إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) : أى فى دعواكم التى تدعونها بأن لله تعالى شريكاً ولم تأتوا بدليل أو برهان من ذلك فتبين لكم بطلان قولكم لقيام البرهان العقلى والنقلى على خلاف دعوتكم الباطلة .(٣)

المعنى الكلى للآية الكريمة :

أن الحق تعالى يلقن رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم أن يواجه المشركين المكذبين الجاحدين بسؤال انكارى توبيخى وتقريعى على اتخاذهم الشركاء يعبدوهم من دون الله تعالى . فإن كنتم صادقين فى كل ماتدعون لهم فأخبرونى هل هؤلاء المزعومون خلقوا أى شئ فى الأرض ومن عليها حتى صار لهم هذا التنازع ،أو بل لهم شركة مع الله تعالى فى خلق السموات حتى استحقوا العبادة منكم ،والاستفهام لتقريعهم وتوبيخهم ، ولن يملكوا أن يزعموا أن لتلك المعبودات شركة ، وأين لهم مايدعون من ذلك فإن ادعوه فليأتوا بكتاب من قبل القرآن الذى لا يقبل الجدل والمغالطة بالباطل ، وليس هناك أيضا بقية من علم الأولين السابقين يؤيد ماتدعون لهم ، فلاشك انكم على باطل

---

(١) تفسير النسفى جـ٤ ص١٣٩ .

(٢) روح المعانى جـ٢٥ ص٥ .

(٣) فتح القدير جـ٥ ص١٤ .

وانحراف عن الحق ولا دليل عقلى أو نقلى يؤيد هذا الذى تدعون لهم .(١)

فقال تعالى :

(وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ) (٢)

---

(١) روح المعانى جـ٥ ص٢٥ ، تفسير أبى السعود جـ٨ ص٧٧ وفتح القدير جـ٥ ص١٤ .

(٢) سورة الأحقاف آية ٥ .

ثالثا : أمر نبينا صلى الله عليه وسلم بسؤال بنى اسرائيل :

(أ) سؤالهم عن الآيات :-

قال تعالى :

(سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ)(١)

التمهيد للآية الكريمة :

إن الحق جل جلاله يأمر نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بسؤال بنى اسرائيل عما آتاهم الله تعالى من آيات وبراهين واضحة لم يستجيبوا لها بسبب تعنتهم وجحودهم بل استمروا فى العناد والطغيان والكفر ، وهو بهذا يذكرهم بكثرة الآيات التى آتاهم الله على يد سيدنا موسى عليه السلام ولكن بنى اسرائيل بدلوا النعم التى منحهم الله تعالى اياها واستبدلوا بالشكر والعرفان الجحود والنكران وأعرضوا عن الايمان الى الكفر والطغيان .(٢)

قال تعالى :

(يَابَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ)(٣)

ايضاح الآية الكريمة :

(سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ) : الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم أمره الله تعالى أن يسأل بنى اسرائيل -يهود المدينة- عن الآيات البينات ، وهذا ليس المراد منه العلم بالآيات لأنه عليه الصلاة والسلام قد علمها وعرفها باعلام الله تعالى اياه بها ، ولكن المراد بذلك توبيخهم وتقريعهم لإعراضهم عن دلائل الله تعالى وترك الشكر عليها .

---

(١) سورة البقرة آية ٢١١ .

(٢) تفسير ابن كثير جـ١ ص٢٤٤ .

(٣) سورة البقرة آية ٤٧ .

وقيل المراد بالسؤال عن الآيات البينات التقرير والتذكير لهم بالنعم التى أنعم الله بها على أسلافهم .(١)

وأؤيد القولين السابقين لأن النبى صلى الله عليه وسلم عرف الآيات البينات التى أعطاها الله تعالى لبنى اسرائيل بتعليم الله تعالى له بذلك ولكن سؤالهم عن هذا لتوبيخهم وتقريعهم وتذكيرهم بالنعم التى أنعمها الله تعالى على أسلافهم وزجرهم عن الاعراض عن دلائل الله وترك الشكر عليها وخاصة نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم .

(كَمْ آتَيْنَاهُم مِّنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ) : (كَمْ) استفهامية للتقرير ، أو خبرية للتكثير أى لكثرة الدلائل والبراهين التى منحهم الله اياها .

(مِّنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ) أى البراهين التى جاء بها أنبياؤهم فى نبوة نبينا محمد صلى اللّه عليه وسلم وقيل المراد بها الآيات التسع التى جاء بها سيدنا موسى عليه السلام .(٢)

(وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ) :

(التبديل) التحريف وادخال الشبهة فيها .

وفى تفسير :- (نِعْمَةَ اللَّهِ) قولان :

المراد آياته ودلائله وهى من أجل نعم اللّه تعالى لأنها أسباب الهدى والنجاة من الضلالة .

المراد بنعمة الله ما آتاهم الله من أسباب الصحة والأمن والكفاية وأن اللّه تعالى هو الذى أبدل النعمة عليهم بالنقمة لأنهم لم يشكروا وأضاف التبديل اليهم لأن السبب من جهتهم وهو ترك الشكر والعمل بتلك الآيات البينات .(٣)

---

(١) تفسير الخازن جـ١ ص١٦٧ .
(٢) فتح القدير جـ١ ص٢١٢ .
(٣) التفسير الكبير جـ٦ ص٣-٤ .

والامام الخازن ذكر قولا ثالثا :

أن المراد بنعم الله تعالى عهده الذى عهد اليهم فلم يفوا به .(١)

وفى تبديلهم لها قولان :

من قال أن المراد بالآية البينة معجزات سيدنا موسى عليه السلام قال : المراد بتبديلها هو أن الله تعالى أظهرها لهم لتكون من أسباب هدايتهم فجعلوها من أسباب ضلالهم .(٢)

ومن قال المراد بالآية البينة مافى التوراة والانجيل من دلائل نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فالمراد بتبديلها تحريفها وادخال الشبهة عليها أو انكارها (٣)

(مِن بَعْدِ مَاجَاءَتْهُ) : أى من بعد ماعرفها وصحت عنده لأنه اذا لم يعرفها فكأنها غائبة عنه .(٤)

(فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ) : تعليل للجواب كأنه قيل ، ومن يبدل نعمة الله عاقبه أشد عقوبة فانه شديد العقاب .

قال الامام أبو السعود :

واظهار الاسم الجليل - الله - لتربية المهابة وادخال الروعة .(٥)

المعنى الكلى للآية الكريمة :

أمر الله تعالى رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم أن يسأل بنى اسرائيل - يهود المدينة - سؤال توبيخ وتقريع وليس ليعلم عن الآيات البينات التى أعطاهم الله اياها على يد سيدنا موسى عليه السلام فلم يستجيبوا لها ثم كيف حرفوها وأدخلوا فيها

(١) الخازن جـ١ ص١٦٧ .
(٢) التفسير الكبير جـ٦ ص٣-٤ .
(٣) نفس المرجع السابق .
(٤) تفسير النسفى جـ١ ص١٠٥ .
(٥) تفسير أبى السعود جـ١ ص٢١٣ .

الشبهات ، فالحق تعالى أعلم نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بهذا كله ولكن أمره بسؤالهم مبالغة فى الزجر لاعراضهم عن الحق بعد وضوحه لهم . ويكون تذكيرا لهم بالنعم التى أنعمها الله عز وجل على أسلافهم وكيف فضلهم على العالمين ولكن لم يشكروا بل تمادوا فى الطغيان والجحود .

ويكون هذا تنبيها لهؤلاء الحاضرين حتى لا يزلوا ويجحدوا مثل أسلافهم .

وقال الامام ابن جرير الطبرى نقلا عن الربيع :

أتاهم الله تعالى آيات بينات ، عصا موسى ، ويده ، واقطعهم البحر ، وأغرق عدوهم وهم ينظرون ، وظل عليهم الغمام ، وأنزل عليهم المن والسلوى ، وغيرذلك من آيات الله تعالى التى آتاها بنى اسرائيل ولكنهم خالفوا أمر الله تعالى فقتلوا أنبياء الله ورسله وبدلوا عهده ووصيته اليهم . فقد أنبأ الله تعالى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بهذه الآيات فأمره بالصبر على من كذب واستكبر ، وهذا الفعل كان من قبل أسلاف الأمم مع أنبيائهم . وانما هم من بقايا من جرت عاداتهم من قصص بنى اسرائيل .

ونجد أن تبديل نعم الله تعالى أو نعمة الإيمان انعكست آثاره على حال بنى اسرائيل بحرمانهم من الطمأنينة والاستقرار (١) .

---

(١) جامع البيان فى تفسير القرآن جـ٢ ص١٩٣ . وروح المعانى جـ٢ ص٩٩-١٠٠ ، وظلال القرآن جـ١ ص٣٠٤ .

(ب) أمر نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أن يسأل أهل الكتاب عن سبب كفرهم :-

قال تعالى :

(قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ . قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ .)(١)

التمهيد للآيتين :

بعد أن أورد الله سبحانه وتعالى الأدلة والبراهين على نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وما جاء في التوراة والانجيل من البشارة بمقدمه عليه الصلاة والسلام وذكر شبهات القوم - أهل الكتاب - اليهود - والنصارى - وبخهم بحقيقة مواقفهم ووصفهم بصفتهم التي يوارونها بمظاهر الايمان بينما هم في الحقيقة كفار ، فلو آمنوا بالنصيب الذي معهم لآمنوا بكل رسول جاء من عند الله تعالى بعد رسولهم لأن حقيقة الدين هو التوحيد ، فمن عرفها عرف أن كل رسول أو نبي أمره ربه تعالى أن يدعو قومه الى توحيد الله ونبذ الشرك ، وأن الله تعالى سيجازي كلا بما عمل ، وفي هذا تهديد ووعيد لهم لأنهم كانوا يحتالون بالقاء الشبه في قلوب ضعفاء الإيمان ليصدوهم عن دين الله تعالى والتصديق بنبوة نبينا محمد عليه الصلاة والسلام فالله تعالى ليس بغافل عما يعمل الظالمون وسيجازيهم .(٢)

ايضاح الآيتين :

(قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ) : الخطاب لعلماء أهل الكتاب الذين علموا صحة نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم .

وقيل الخطاب لجميع أهل الكتاب - اليهود والنصارى - الذين أنكروا نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم .(٣)

---

(١) سورة آل عمران الآيتان ٩٨ - ٩٩ .
(٢) ظلال القرآن جـ١ ص٤٣٦ ، وتفسير المراغي جـ٤ ص١٣ .
(٣) الخازن جـ١ ص٣٢٥ .

قال الامام الألوسى :

خاطبهم بعنوان أهلية الكتاب الموجبة للإيمان به وبما يصدقه مبالغة فى تقبيح حالهم فى تكذيبهم بنبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم والاستفهام للتوبيخ ، والاشارة الى تعجيزهم عن اقامة العذر فى كفرهم كأنه قيل لهم : هاتوا اعذاركم إن أمكنكم.(١)

(لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ) لأى سبب تكفرون ، والاستفهام للانكار والتوبيخ والمراد بآيات الله مطلق الدلائل الدالة على نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وصدق ماجاء به وأنتم تعلمون إنها حق .

وقيل المراد بآيات الله القرآن الكريم وصدق محمد صلى الله عليه وسلم .

(واللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ) : الجملة حالية مؤكدة لتشديد التوبيخ والانكار أى والحال أن الله تعالى مطلع عليكم فلا داعى لمواراتكم بالحق وهو باطل .(٢)

ونقل الامام ابن جرير الطبرى عن الربيع قوله فى تفسير الآية :-

يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ تعالى وأنتم تشهدون نعت محمد فى كتابكم ثم تكفرون به ولا تؤمنون بما جاء به وأنتم تجدونه فى التوراة والانجيل النبى الأمى .(٣)

قال تعالى :

(الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُواْ بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُواْ النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَـٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) (٤)

---

(١) روح المعانى جـ٤ ص١٤ .
(٢) الخازن جـ١ ص٣٢٥ وفتح القدير جـ١ ص٣٦٦ .
(٣) جامع البيان فى تفسير القرآن جـ٣ ص٢١٩-٢٢٠ .
(٤) سورة الأعراف آية ١٥٧ .

قال الامام أبو السعود فى تفسير الآية :-

(قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ ....) الآية (١)

أمر بتوبيخهم بالاضلال اثر توبيخهم بالضلال ، والتكرير للمبالغة فى حمله عليه الصلاة والسلام على تقريعهم وتوبيخهم ، وترك عطفه على الأمر السابق للإيذان باستقلالهم كما أن قطع (لِمَ تَصُدُّونَ) عن قوله (لِمَ تَكْفُرُونَ) : للإشعار بأن كل واحد من كفرهم وصدهم شناعة على حيالها مستقلة فى استتباع اللائمة والتقريع ، وتكرير الخطاب بعنوان أهلية الكتاب لتأكيد الاستقلال وتشديد التشنيع ، فإن ذلك العنوان كما يستدعى الايمان انما هو مصدق لما معهم يستدعى ترغيب الناس فيه فصدهم عنه فى أقصى مراتب القباحة ، ولكون صدهم فى بعض الصور بتحريف الكتاب والكفر بالآيات الدالة على نبوة عليه الصلاة والسلام .

(عَن سَبِيلِ اللَّهِ) دينه الحق الموصل الى السعادة الابدية وهو الاسلام .

(مَنْ آمَنَ) : لأنهم كانوا يفتنون المؤمنين ويحتالون لصدهم عن الاسلام ويمنعون من أراد الدخول فيه ، وينكرون صفة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم والبشارة به الموجودة فى كتبهم .

(تَبْغُونَهَا عِوَجاً) : أى تطلبون لدين الله الاسلام التى هى أقوم السبل الميل عن الحق . (٢)

(وَأَنتُمْ شُهَدَاءُ) : نقل عن ابن عباس رضى الله عنهما فى تفسيرها قوله :
أى شهداء أن فى التوراة أن دين الله تعالى الذى لا يقبل غيره هو الاسلام أو أنتم عدول فيما بينكم يثقون بأقوالكم ويستشهدونكم فى القضايا وعظائم الأمور . (٢)

(وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ) : تهديد ووعيد شديد لما كان صدهم للمؤمنين

---

(١) سورة آل عمران آية ٩٩ .
(٢) تفسير ابى السعود جـ٢ ص٦٣ .

بطريقة الخفية ، وختمت الآية بما يحسم مادة حيلتهم من إحاطة علمه تعالى بأعمالهم كما أن كفرهم بآيات الله تعالى لما كان بطريقة العلانية ختمت الآية السابقة كذلك بشهادته تعالى على ما يعملون .(١)

المعنى الكلي للآيتين :

أن الله تعالى يأمر نبيه ورسوله صلى الله عليه وسلم أن يذكر أهل الكتاب - اليهود والنصارى - بالأدلة الثابتة لهم بنبوته عليه الصلاة والسلام والبشارة به عليه الصلاة والسلام وبمقدمه كما جاء في التوراة والانجيل ولكنهم يكفرون ويجحدون بتلك الدلائل الدالة على نبوته عليه الصلاة والسلام ، فقد وبخهم الله تعالى وأنكر عليهم على لسان رسوله محمد صلى الله عليه وسلم فعلهم الشنيع وبين حقيقتهم الخادعة ووصفهم بالصفة التي يوارونها بمظاهر التدين والإيمان بينما هم في حقيقتهم كفار جاحدون معاندون مصرون على الكفر ، ثم أخبروا أن الله مطلع على كل مايعملون فصدهم عن الاسلام ومنعهم من أراد الدخول فيه بكل جهد مع علمهم بصدق ذلك كما في التوراة أن دين الله تعالى الذي لا يقبل غيره هو الاسلام وأن نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم رسول من رب العالمين وانه خاتم الأنبياء والمرسلين ، والبشارة بمقدمه واردة كذلك في التوراة والانجيل فلو آمن هؤلاء المعاندون بالنصيب الذي معهم لآمنوا وصدقوا بمحمد صلى الله عليه وسلم وبما جاء به لأن حقيقة الدين واحدة والكل يدعو الى التوحيد وإخلاص العبادة لله وحده دون سواه .

ثم أعلمهم الحق تعالى على لسان رسوله محمد صلى الله عليه وسلم أنه سيجازيهم بكل ما عملوا . ثم ختم الحق تعالى الآية الكريمة بنفي الغفلة عنه جل جلاله فهو عالم بما تكن صدورهم وما يعلنون .(٢)

---

(١) تفسير أبي السعود جـ٢ ص٦٤ .

(٢) تفسير ابن كثير جـ٢ ص٨١ وتفسير المراغي جـ٤ ص١٣ .

(جـ) أمر نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بسؤال بنى اسرائيل عمن أنزل التوراة :

قال تعالى :

(وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوا أَنتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ)(١)

التمهيد للآية الكريمة :

لقد اختلف جمهور المفسرين فيمن نزلت فيهم هذه الآية (وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ....) الآية (١)

وهل هى مكية أو مدنية ؟

فقيل إنها نزلت فى اليهود بالمدينة ، وهى من الآيات المدنيات التى فى السور المكية أى سورة الأنعام المكية .

وذكر الامام الخازن كما نقل عن ابن عباس رضى الله عنهما قال :

نزلت سورة الأنعام بمكة الا ست آيات منها قوله تعالى (وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ...) الآية (٢)

فانها نزلت بالمدينة (٢)

وذكر الامام السيوطى فى الاتقان قال :

(قد صح النقل عن ابن عباس رضى الله عنهما : **سورة الانعام نزلت بمكة فهى مكية** باستثناء - قل تعالوا - الآيات الثلاث وهى (٣)، والبواقى - وما قدروا الله حق قدره الآية .

---

(١) سورة الأنعام الآية ٩١ .

(٢) تفسير الخازن جـ٢ ص١٣٠ .

(٣) **قل تعالوا .. الآيه ١٥١ ولا تقربوا مال اليتيم .. الآيه ١٥٢ ، وأن هذا صراطى مستقيما .. الآيه ١٥٣ .**

فأخرج ابن أبى حاتم أنها نزلت فى مالك بن الصيف .(١)

وذكر الامام ابن جرير الطبرى قال : عن سعيد بن جبير مرسلا :ـ

قال : جاء رجل من اليهود يقال : له مالك بن الصيف فخاصم النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال له النبى : أنشدك بالذى أنزل التوراة على موسى ، هل تجد فى التوراة أن الله يبغض الحبر السمين ؟ وكان حبرا سمينا ، فغضب وقال : ما أنزل الله على بشر من شئ ، فقال له أصحابه ، ويحك ، ولا على موسى : فأنزل الله تعالى :

(وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ . . . . . .) الآية (٢)

مرسل ـ أى الحديث مرسل عن التابعى .(٣)

وذكر الامام السيوطى فى الاتقان كذلك :ـ

أخرج أبو الشيخ الكلبى قال : نزلت الأنعام كلها بمكة إلا آيتين نزلتا بالمدينة فى رجل من اليهود ، وهو الذى قال : ما أنزل الله على بشر من شئ .(٤)

وذكر الامام ابن كثير :ـ

يقول الله تعالى وماعظموا الله حق تعظيمه إذ كذبوا رسله اليهم ،

قال ابن عباس ومجاهد وعبد الله بن كثير : نزلت فى قريش ، واختاره ابن جرير وقيل نزلت فى طائفة من اليهود ، وقيل نزلت فى فنحاص رجل منهم ، وقيل فى مالك ابن الصيف .

(قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ)(٥) الآية

---

(١) الاتقان فى علوم القرآن جـ١ ص١٩ .
(٢) سورة الأنعام آية ٩١ .
(٣) جامع البيان فى تفسير القرآن جـ٧ ص١٧٦ .
والباب النقول فى أسباب النزول ص١٠٢ وأسباب النزول ص١٤٧-١٤٨ .
(٤) الاتقان فى علوم القرآن جـ١ ص١٩ .
(٥) سورة الأنعام آية ٩١ .

قال الامام ابن كثير :

والأول أصح ، لأن الآية مكية ، واليهود لا ينكرون إنزال الكتب من السماء ، وقريش والعرب قاطبة كانوا ينكرون ارسال محمد صلى الله عليه وسلم لأنه بشر.(١)

كما قال تعالى :

(وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَن قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا . قُل لَّوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَّسُولًا .)(٢)

وقال تعالى :

(أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَاحِرٌ مُّبِينٌ)(٣)

ثم قال الامام ابن كثير تفسيرا للآية الكريمة :

(وما قدروا الله حق قدره ......) الآية(٤)

أى قل يامحمد لهؤلاء المنكرين لإنزال شيء من الكتب من عند الله فى جواب سلبهم العام ، باثبات قضية جزئية موجبة ، (مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ) الآية(٤)

أى التوراة التى قد علمتم أن الله أنزلها على موسى (نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ) ليستضاء بها ويهتدى بها فى ظلمات الكفر ولكن أنتم جعلتموها قراطيس أى قطع تكتبونها من الكتاب الأصلى الذى بأيديكم وتحرفون منها وتبدلون وتتأولون ، ثم تقولون هذا من عند الله أى فى كتابه المنزل ، وماهو من عند الله تعالى .

ولهذا قال (تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا)(٤)

---

(١) تفسير ابن كثير جـ٣ ص٦٤-٦٥ .

(٢) سورة الاسراء آية ٩٤-٩٥ .

(٣) سورة يونس الآية ٢ .

(٤) سورة الانعام آية ٩١ .

وقوله (وَعلِّمتم مَّالَمْ تعلَموا أنتم وَلا آباؤكُم)(١)

أى من أنزل القرآن الذى علمكم الله فيه خبر ماسبق ونبأ مايأتى مالم تكونوا تعلمون ذلك لا أنتم ولا آباؤكم .(٢)

وقوله (قُلِ اللَّهُ) أى قل الله أنزله .

وقوله (ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ) أى ثم دعهم فى جهلهم وضلالهم يلعبون حتى يأتيهم من الله اليقين ، فسوف يعلمون ألهم العاقبة أم لعباد الله المتقين ؟(٣)

ولكن الامام الفخر الرازى يرجح أن الآية نزلت فى حق اليهود ، وهو القول المشهور عند الجمهور .(٤)

وأؤيد هذا أى أن الآية نزلت فى حق اليهود ، وهى من الآيات المستثناه من السور المكية أى الآية مدنية ، وهى نزلت فى مالك بن الصيف كما سبق لأن سياق الآيات بعد الآية الكريمة تحدثت عن اليهود .

وانهم الذين آتاهم الله علما فلم ينتفعوا به ولم يعملوا بموجبه فذمهم الله تعالى وهم أيضا الذين حرفوا وبدلوا فى التوراة ، وكتموا صفة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم والبشارة كما جاءت فى التوراة وهذا على وجه المَّن عليهم بإنزال التوراة .

ثم قال الامام الخازن :

إن اليهود هم الذين ألزموا بما لابد لهم من الاقرار به من إنزال التوراة على سيدنا موسى عليه السلام ، وهم الذين أنكروا إنزال القرآن على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بقولهم (مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ) من أنزل التوراة على موسى عليه السلام وفى هذا الالزام والتوبيخ لليهود بسوء جهلهم واقدامهم على إنكار الحق الذى لا ينكر .(٥)

---

(١) سورة الأنعام آية ٩١ .
(٢) تفسير ابن كثير جـ٣ ص٦٥ .
(٣) نفس المرجع السابق .
(٤) التفسير الكبير جـ٣ ص٧٤ .
(٥) الخازن جـ٢ ص١٣١ .

وقال الامام الشوكانى :

لما وقع من اليهود الانكار على نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم أن يورد عليهم حجة لا يطيقون دفعها لأنهم معترفون بإنزال الكتاب على موسى عليه السلام ، فكان هذا من التبكيت لهم والتقريع مالا يقدر معه الجائهم الى الاعتراف بما أنكروا من وقوع انزال الله على بشر وهم الأنبياء عليهم السلام فبطل جحدهم وتبين فساد انكارهم .(١)

ايضاح الآية الكريمة :

(وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ) : أى لم يعرفوا الله تعالى حق معرفته حيث أنكروا ارساله للرسل عليهم السلام وانزاله الكتب .

ولما وقع الانكار منهم أمر الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم أن يورد عليهم حجة لا يطيقون دفعها .(٢)

(إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ) : أى لما قالوا هذه المقالة رد الله عليهم بأن ألزمهم مالا بد لهم من الاقرار به وهو انزال التوراة على سيدنا موسى عليه السلام .

(قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ) : أى قل يامحمد لهم على طريقة التبكيت والقامهم الحجر من أنزل التوراة على موسى عليه السلام .(٣)

(نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ) : أى التوراة فيها ضياء من ظلمة الضلال وبيان يفرق بين الحق والباطل من دينهم وذلك قبل أن تبدل وتحرف .(٤)

(تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا) أى تجعلون الكتاب الذى جاء به موسى

(٢،١) فتح القدير جـ٢ ص١٣٩ .
(٣) تفسيرابى السعود جـ٣ ص١٦١ .
(٤) الخازن جـ٢ ص١٣١ .

أى التوراة فى قراطيس تضعون فيها الذى تريدونه وتحرفون وتغيرون مابدا لكم وتكتمون صفة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم المذكورة فيها ، وفى هذا ذمّ لهم .(١)

(وَعُلِّمْتُم مَّالَمْ تَعْلَمُوا أَنتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ) : الخطاب لليهود كما ذكره جمهور المفسرين أى انكم علمتم على لسان محمد رسولنا صلى الله عليه وسلم مالم تعلموا أنتم ولا آباؤكم من قبل فضيعتموه ولم تنتفعوا به .

(قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ) : (قُلِ اللَّهُ) هذا راجع الى قوله تعالى : (قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِى جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ) .(٢)

أى أمر من الله تعالى لرسوله بأن يجيب على ذلك الالزام الذى ألزمهم به تعالى .(٣) أى دعهم يا محمد يخوضون فى باطلهم وكفرهم بالله تعالى ، لأن معنى (يَلْعَبُونَ) أى يستهزئون ويسخرون .

فدعهم يا محمد بعد أن أقمت الحجة وبلغت الاعذار والانذار فحينئذٍ لم يبق عليك من أمرهم شئ ، وفى هذا تهديد ووعيد لهم .(٤)

المعنى الكلى للآية الكريمة :

ان من عرف الله حق المعرفة لا يستطيع أن ينكر ارسال الرسل وانزال الكتب من السماء ولكن هؤلاء الجاحدون من اليهود أنكروا الرسالة وجحدوا وجودها فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقول لهم : من أنزل الكتاب الذى جاء به سيدنا موسى عليه السلام ـ التوراة ـ فيبطل جحودهم وانكارهم ، وفى هذا ذمّ لهم على فعلهم الشنيع لأنهم ضيعوا هذا العلم ولم ينتفعوا به .

---

(١) فتح القدير جـ٢ ص١٣٩ .
(٢) سورة الأنعام آية ٩١ .
(٣) الخازن جـ٢ ص١٣١ وفتح القدير جـ٢ ص١٣٩ .
(٤) الخازن جـ٢ ص١٣١ .

ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدعهم فى باطلهم وكفرهم واستهزائهم بعد أن أقام عليهم الحجة وبلغهم بالانذار والتخويف والاعذار فحينئذٍ لا يبقى عليه شئ من أمرهم وفى ذلك تهديد ووعيد لهم .

قال تعالى :

(وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ .)(١)

---

(١) سورة الأنعام آية ٩٢ .

(د) أمر نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بسؤال بنى اسرائيل عن القرية التى كانت حاضرة البحر :-

قال تعالى :
(وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعاً وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ)(١)

التمهيد للآية الكريمة :

أمر الله تعالى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم أن يسأل بنى اسرائيل - اليهود - سؤال توبيخ وتقريع ، عن الواقعة المعلومة لهم - القرية التى كانت حاضرة البحر - وفيها تاريخ أسلافهم السابقين ثم يواجههم بها ، ثم يذكرهم بعصيانهم القديم ، وما حدث لفريق منهم من المسخ فى الدنيا وما حل بهم من ذل وغضب والعياذ بالله من سوء عاقبتهم. وأن القرية التى كانت حاضرة البحر كما قال الجمهور هى أيلة وهى على طريق الحاج الذاهب الى مكة من مصر.

وعدوان أهل هذه القرية فى السبت لم يكن يعرفه النبى صلى الله عليه وسلم ولا قومه ولكن علمه بطريق الوحى ، وهذا السؤال لتقريرهم وتقريعهم وتوبيخهم على أعمالهم السابقة وبيان عصيان أسلافهم السابقين وأن كفر المعاصرين للنبى صلى الله عليه وسلم ليس بدعاً بل هو على غرار سلفهم .

وقال الامام ابن حجر العسقلانى فى الفتح :
لم يذكر لهذه القصة حديثا مسنداً ، ولكن روى عبد الرزاق من حديث ابن عباس رضى الله عنهما بسند فيه مبهم ، وحكاه مالك عن يزيد بن رومان معضلاً ، وكذلك قال قتادة :
(ان أصحاب السبت كانوا من أهل أيلة وانهم لما تحيلوا على صيد السمك بأن نصبوا

---

(١) سورة الأعراف آية ١٦٣ .

الشباك يوم السبت ثم صادوها يوم الأحد فأنكر عليهم قوم ونهوهم، فأغلظوا لهم ، فقالت طائفة أخرى دعوهم واعتزلوا بنا عنهم ، فأصبحوا يوما فلم يروا الذين اعتدوا ، ففتحوا أبوابهم فأمروا رجلا أن يصعد على سلم فأشرف عليهم فرآهم قد صاروا قردة ، فدخلوا عليهم فجعلوا يلوذون بهم ، فيقول : الذين نهوهم : ألم نقل لكم ، ألم ننهكم؟ فيشيرون برؤوسهم .

وروى ابن أبى حاتم من طريق مجاهد عن ابن عباس : (انهم لم يعيشوا الا قليلا وهلكوا) .

وروى ابن جرير من طريق العوفى عن ابن عباس " صار شبابهم قردة وشيوخهم خنازير) .(١)

وقد ذكر الحاكم أيضا قصة بنى اسرائيل ومسخهم قردة وقال حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه :-

(عن عكرمة قال : دخلت على ابن عباس رضى الله عنهما وهو يقرأ فى المصحف قبل أن يذهب بصره وهو يبكى فقلت مايبكيك يا ابن عباس جعلنى الله فداك قال : فقال: هل تعرف ايلة ؟ قلت وما ايلة قال قرية كان بها ناس من اليهود فحرم الله عليهم الحيتان يوم السبت فكانت حيتانهم تأتيهم يوم سبتهم شرعا بيضاء سمان كأمثال المخاض بافنائهم وابنيائهم فاذا كان فى غير يوم السبت لم يجدوها ولم يدركوها الا فى متعب ومئونة شديدة فقال بعضهم لبعض أو من قال ذلك منهم لعلنا لو أخذناها يوم السبت وأكلناها فى غير يوم السبت ، ففعل ذلك أهل بيت منهم ، فأخذوا فشووا فوجد جيرانهم ريح الشوى فقالوا والله مانرى الا صاب بنى فلان شىء فأخذها آخرون حتى فشا ذلك فيهم وكثر فافترقوا فرقا ثلاثا فرقة أكلت ، وفرقة نهت ، وفرقة قالت لم تعظون قوما الله

---

(١) فتح البارى بشرح صحيح البخارى جـ٦ ص٤٥٢، ٤٥٣ كتاب الأنبياء / باب (واسألهم عن القرية التى كانت حاضرة البحر اذ يعدون فى السبت) الآية ١٦٣ الأعراف .
جامع البيان فى تفسير القرآن جـ٩ ص٦٤ : ٦٦ .

مهلكهم أو معذبهم عذابا شديدا فقالت الفرقة التى نهت إنما نحذركم غضب الله وعقابه أن يصيبكم بخسف أو قذف أو ببعض ماعنده من العذاب ، والله لا نبأتكم فى مكان أنتم فيه وخرجوا من السور فغدوا عليهم فى الغد فضربوا باب السور فلم يجبهم أحد فأتوا بسبب فأسندوه الى السور ثم رقى منهم راقى على السور فقال : ياعباد الله قردة والله لها أذناب تعادى ثلاث مرات ثم نزل من السور ففتح السور فدخل الناس عليهم فعرفت القردة أنسابها من الانس ولم يعرف الانس أنسابهم فى القردة قال فيأتى القرد الى نسيبه وقريبه من الانس فيحتك به ويلصق ويقول الانسان أنت فلان فيشير برأسه أى نعم ويبكى وتأتى القردة الى نسيبها وقريبها من الانس فيقول لها أنت فلانة فتشير برأسها أى نعم وتبكى فيقول لهم الانس اما أنا حذرناكم غضب الله وعقابه أن يصيبكم بخسف أو مسخ أو ببعض ماعنده من العذاب .

قال ابن عباس فاسمع الله يقول : (أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ) .(١)

فلا أدرى مافعلت الفرقة الثالثة .

قال ابن عباس فكم قد رأينا من منكر فلم ننه عنه .

قال عكرمة فقلت : ماترى جعلنى الله فداك انهم قد أنكروا ، وكرهوا حين قالوا لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديدا .

فأعجبه قولى ذلك وأمر لى ببردين غليظين فكسانيهما .

هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه .(٢)

---

(١) سورة الأعراف آية ١٦٥ .

(٢) المستدرك على الصحيحين جـ٢ ص٣٢٢ ، ٣٢٣ كتاب التفسير .

إيضاح الآية الكريمة :

(وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ) : الخطاب للنبى محمد صلى الله عليه وسلم أى اسأل يا محمد هؤلاء المعاصرين من اليهود سؤال توبيخ وتقريع على إقدام أسلافهم على الكفر والعصيان قديما ، فإن اصرارهم على الكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم وبما جاء به وانكار نبوته ومعجزاته عليه الصلاة والسلام لم يحدث فى زمانه عليه الصلاة والسلام فقط بل أصرارهم على العصيان والتمرد كان منذ القدم .

قال الامام الخازن :

الاخبار بهذا معجزة لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم لأنه كان عليه الصلاة والسلام أميا لا يقرأ ولا يكتب ، ولم يعرف أخبار الأولين ثم أخبر بما جرى لأسلافهم فى قديم الزمان بسبب مخالفتهم أمر الله تعالى ومسخوا قردة وخنازير .(١)

(عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ) : أى عن حال القرية التى كانت قريبة منه مشرفة على شاطئه ، وما جرى على أهلها .

(الْقَرْيَةِ) : قيل انها ايله قرية بين مدين والطور .

فهى التى كانت على طريق الحاج الذاهب من مصر الى مكة .

وقيل هى مدين ، وقيل هى طبرية .

والعرب تسمى المدينة قرية .

والأصح انها أيله كما قال الجمهور .

(إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ) : أى يعتدون فيه عما أمروا به ، ويتجاوزون حدود الله تعالى بالصيد فيه وهم منهيون عن الاشتغال فى يوم السبت الا بالعبادة فقط .(٢)

(إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا) : أى ظاهرة على الماء كثيرة .

---

(١) الخازن جـ٢ ص٢٤٨ .

(٢) تفسير أبى السعود جـ٣ ص٢٨٤ .

وقيل تأتيهم متتابعة يتبع بعضها البعض .

(وَيَومَ لاَ يَسبَتُونَ لاَ تَأتِيهِم) :

ويوم لا يسبتون أى لا يدخلون فى السبت ولا يؤمرون بما أمروا فيه لا تأتيهم الحيتان كما كانت تأتيهم فى يوم السبت حذرا من صيدهم لها .(١)

(كَذَلِكَ نَبلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفسُقُونَ) : أى مثل هذا البلاء نختبرهم ليظهر عدوانهم فيؤخذوا عليه .

وصيغة المضارع لاستحضار صورة الماضى والتعجب منها بسبب فسقهم المستمر.(٢)

المعنى الكلى للآية الكريمة :

أُمر نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أن يسأل بنى اسرائيل -اليهود- المعاصرين له . عن حال أهل القرية التى كانت قريبة من ساحل البحر وعلى شاطئه سؤال تقرير متضمن التقريع والتوبيخ ، لأن نبينا محمدا عليه الصلاة والسلام كان أميا لا يقرأ ولا يكتب ولم يخالط السابقين حتى علم بهذه الواقعة لأسلافهم .

ولكن الحق تعالى أطلعه وأخبره بواسطة الوحى لها فلو كان غير نبى لما علم بهذا ، ودلت هذه الحادثة كبقية الحوادث على نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وصدقه عليه الصلاة والسلام . وان كفر هؤلاء الجاحدين المعاندين ليس جديدا من هؤلاء المعاصرين لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم بل إن أسلافهم منذ القدم أقدموا على العناد والجحود فهؤلاء المعتدون المتجاوزون لحدود الله التى نهاهم عنها اعتدوا فى يوم السبت الذى خصص لهم بالعبادة فيه وترك العمل ، فكانت تظهر لهم الأسماك يوم السبت كثيرة فلا تحتاج الى العناء لصيدها وتختفى عنهم فى غير يوم السبت اختبارا لهم ولكن هؤلاء المعاندين المحتالين ، احتالوا على الاصطياد فى يوم السبت بأن

---

(١) الخازن جـ٢ ص٢٥٧ .

(٢) تفسير ابى السعود جـ٣ ص٢٨٥ .

حفروا الحياض عند البحر وشرعوا لها الجداول ، فكانت الأسماك تظهر مكثرة ويتابع بعضها البعض الآخر فتدخل تلك الحياض في يوم السبت فيأخذها هؤلاء المعتدون في غير يوم السبت .

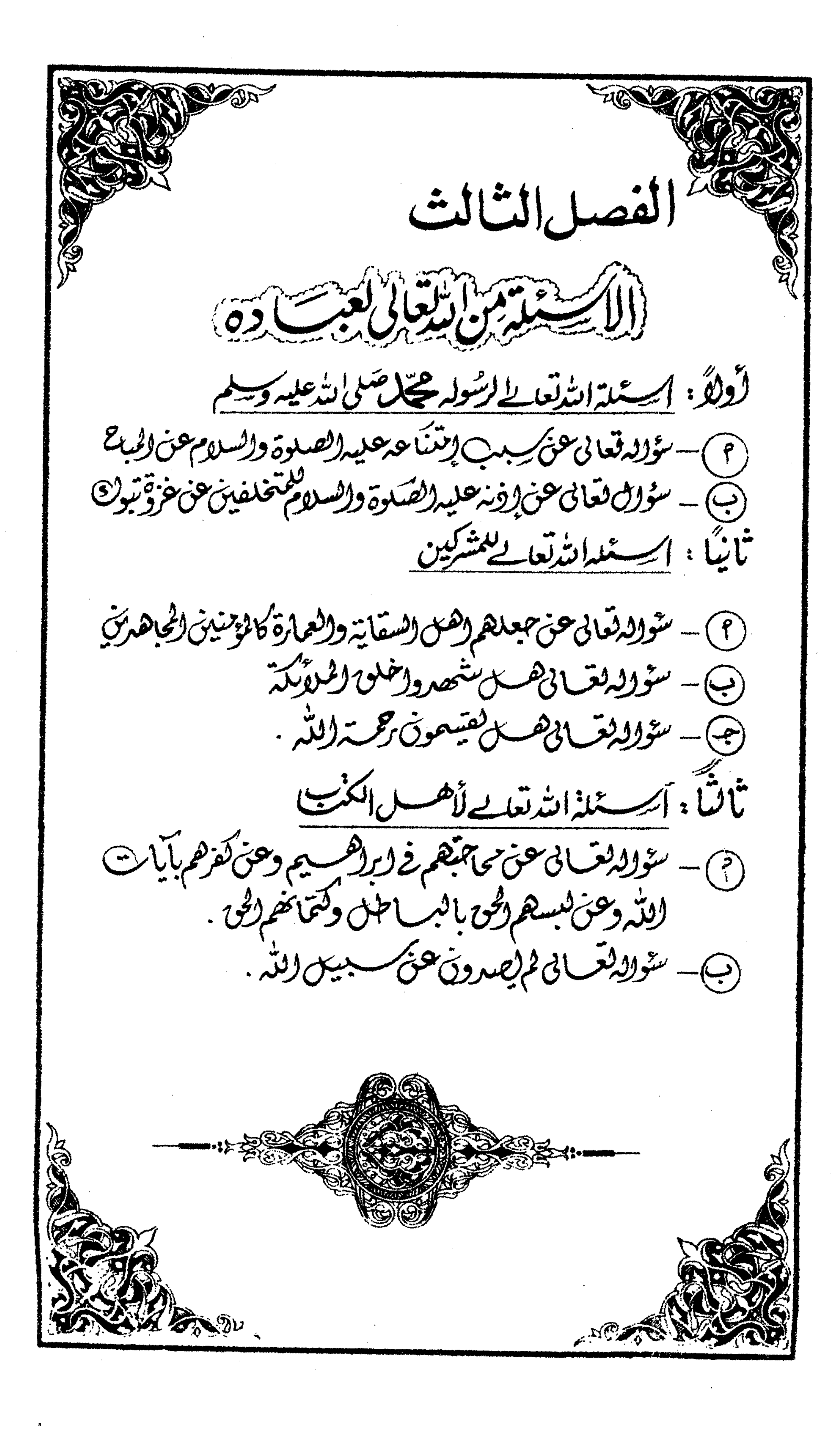
فهذا الحبس للأسماك في الحياض يوم السبت المنهى عنه هو اعتداؤهم وتجاوزهم الحدود وقد أصبح أهل القرية ثلاث أحزاب - المعتدى - الواعظ المحذر - المعتزل عنهم دون وعظ أو ارشاد .

فلا جدوى من التحذير والوعظ لهؤلاء المعتدين بعد ما كتب الله تعالى عليهم الهلاك والعذاب الشديد بما اقترفوا من انتهاك حرمات الله تعالى ، وبسبب خروجهم عن طاعة الله تعالى .

فمثل هذا البلاء نختبر به السابقين والمعاصرين ونعاملهم معاملة من يختبر حالهم ليجازيهم بكل ماعملوا من خير وشر .(١)

---

(١) فتح القدير جـ٢ ص٢٥٧ وتفسير أبى السعود جـ٣ ص٢٨٥ ، وفى ظلال القرآن جـ٣ ص٣٢٢-٣٢٣ .



الفصل الثالث

الأسئلة من الله تعالى لعباده

أولاً: أسئلة الله تعالى لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم

أ — سؤاله تعالى عن سبب امتناعه عليه الصلوة والسلام عن المباح

ب — سؤاله تعالى عن إذنه عليه الصلوة والسلام للمتخلفين عن غزوة تبوك

ثانياً: أسئلة الله تعالى للمشركين

أ — سؤاله تعالى عن جعلهم أهل السقاية والعمارة كالمؤمنين المجاهدين

ب — سؤاله تعالى هل شهدوا خلق الملائكة

ج — سؤاله تعالى هل يقسمون رحمة الله.

ثالثاً: أسئلة الله تعالى لأهل الكتاب

أ — سؤاله تعالى عن محاجتهم في ابراهيم وعن كفرهم بآيات الله وعن لبسهم الحق بالباطل وكتمانهم الحق.

ب — سؤاله تعالى لم يصدون عن سبيل الله.

((الفصل الثالـــــث))

الأسئلة من الله تعالى لعباده لرسوله وللمشركين ولأهل الكتـــــاب

أولا : أسئلة الله تعالى لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم منها :-

- أ - سؤال الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم عن سبب امتناعه عليه الصلاة والسلام عن المباح :-

قال تعالى :-

(يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ)(١)

التمهيد للآية الكريمـــة :

ان الأسئلة التي وجهت للمصطفى عليه الصلاة والسلام من الله عز وجل كانـــت للعتاب على تركه عليه الصلاة والسلام الأولى وهذا لا يعتبر ذنبا أو خطيئة وانمـــا عاتبه ربه عز وجل لتركه الأولى . وفي هذه الآية الكريمة سؤال الله تعالى لنبيه ورسولـه محمد صلى الله عليه وسلم عن سبب امتناع رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المبـــاح لارضاء بعض أزواجه رضوان الله عليهن أجمعين .

وقد وردت روايات في الصحيحين تفيد أن ماحرمه النبي صلى الله عليه وسلـــم على نفسه عليه الصلاة والسلام هو العسل ، وقد وردت روايات أخرى تفيد أن ماحرمـــه النبي صلى الله عليه وسلم على نفسه هو وطء جاريته مارية القبطية أم إبراهيم . وسأذكـر كلا منهما وأيهما أصح وأكثر توافقا مع الآيات والموازنة بينهما .

---

(١) سورة التحريم آية ١ .

الحديث الأول :

حديث العسل أخرج الامام البخاري بسنده قال:

(حدّثنا ابراهيم بن مُوسى أخبرنا هِشامُ بن يوسفَ عن ابن جُريج عن عَطاء عن عُبيد بن عمير عــن عائشة رضى الله عنها قالت:

(كان رسولَ اللّه صلى اللّه عليه وسلم يشربُ عسلًا عند زينبَ ابنةِ جَحْش ويمكثُ عندهـا ، فواطأتُ أنا وحفصةَ عن أيّتنا دخلَ عليها فلتقلْ له أكلتَ مغافير ؟ إنى أجدُ منكَ ريحَ مغافير ، قال : لا . ولكنّى كنتُ أشربُ عسلًا عند زينبَ ابنةِ جحْش فلن أعودَ له ، وقد حلفتُ لا تُخبرى أحداً) (١)

وأخرج الامام البخاري أيضا بسنده قال :

(حدّثنا فَروةُ بن أبى المغراء حدثنا علىّ بن مُسهرٍ عن هشـام بن عروةَ عن أبيه عن عائشة رضىَ اللّه عنها قالت : " كان رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم يُحبُّ العسل والحلوى ، وكان إذا انصرفَ من العصر دَخل على نسائه فيدْنو من احداهنّ ، فدخل على حفصةَ بنتِ عمرَ فاحتبسَ أكثرَ مما كانَ يَحتبسُ ، فغرت ، فسألتُ عن ذلك ، فقيلَ لى : أهدَت لها امرأةٌ من قومها عُكةَ عسَل ، فسقتِ النبى صلى اللّه عليه وسلم منه شَربةً ، فقلتُ: أما واللّهِ لنَحتالنّ له ، فقلتُ لسودة بنتِ زَمْعَة : إنه سيدنو منكِ ، فإذا دَنا منك فقولى : أكلتَ مَغافيرَ ، فإنه سيقولُ لك : لا ، فقولى له ، ماهذهِ الريحُ التى أجدُ منك ؟ فإنـه سيقول لك : سَقتنى حفصةُ شَربةَ عسل ، فقولى له : جَرستْ نحلةُ العُرفطَ ، وسأقـول ذلك وقولى أنتِ ياصفية ذاكِ ، قالت تقول سوده : فواللّه ماهو إلا أن قام على البـاب

---

(١) صحيح البخاري بشرح فتح البارى جـ٨ ص٦٥٦ كتاب التفسير باب (ياأيها النبى لم تحرم . . .) الآية (التحريم .
قوله (فواطأت) : اتفقت ، وفى رواية فتواصيت.
مغافير) جمع مغفور وهو صمغ حلو كالناطف وله رائحة كريهة ينضحه شجر يقال له العرفط .
قوله (فيدنوا من احداهن) : أى يقبل ويباشر من غير جماع كما فى الرواية الاخرى .
قوله (فاحتبس) : أى أقام أو تلبث.
زاد ابو اسامة فى روايته (وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يشتد عليه ان يوجد منه الريح)
اى الغير الطيب.
جرست نحلة العرفط . أى رعت نحل هذا العسل الذى شربته الشجر المعروف بالعرفط والعرفط : الشجر الذى صفته المغافير.
وأصل الجرس الصوت الخفى .

فأردتُ أن أبادِئَه بما أمرتنى به فرَقاً[1] منك .

فلما دَنا منها قالت له سَودة : يارسولَ اللّه ، أكلتَ مغافير قال : لا ، قالت : فما هذه الريحُ التى أجدُ منك ؟ قال : سقتنى حَفصةُ شربةَ عسل . فقالت : جرَستْ نحلُهُ العُرفُطَ .

فلما دارَ إلىّ قلتُ له نحوَ ذلك ، فلما دار إلى صفية قالت له مِثل ذلك . فلما دارَ إلى حفصة قالت : يارسول اللّه ألا أسقيكَ منه ؟ قال : لا حاجة لى[2] فيه .

قالت تقول سَودة : واللّهِ لقد حرَمناه[3] ، قلتُ لها[4] : اسكتى .[5]

وكذلك أخرج الامام مسلم الحديثين السابقين .[6]

اننا نجد من الحديثين السابقين الاختلاف فى التى سقته عليه الصلاة والسلام العسل ، وكذلك فى المتظاهرات عليه صلى الله عليه وسلم فبعضها ذكر أن التى سقته العسل هى السيدة زينب بنت جحش ، وأن المتظاهرتين عليه هما السيدتان عائشة وحفصة .

وأن الرواية الأخرى ذكرت أن التى سقته العسل هى حفصة ، وأن المتظاهرات عليه ، هن عائشة ، وسودة ، وصفية .

---

(١) خوفا .

(٢) لا حاجة لى فيه : كأنه اجتنبه لما وقع عنده من توارد النسوة الثلاث على أنه نشأت من شربه ريح منكرة فتركه حسما للمادة .

(٣) (والله لقد حرمناه) : أى منعناه .

(٤) قلت لها أسكتى : كأنها خشية أن يفشو ذلك فيظهر ما دبرته من كيدها لحفصة .

(٥) صحيح البخارى بشرح فتح البارى جـ٩ ص٣٧٤- ٣٧٥ كتاب الطلاق / باب لم تحرم ما أحل الله لك ؟ .

(٦) صحيح مسلم جـ٤ ص١٨٥ المجلد الأول / كتاب الطلاق / باب وجوب الكفارة على من حرم امرأته ولم ينو الطلاق .

وهذه الروايات فى الصحيحين .

وذكر الامام ابن حجر العسقلانى فى الفتح قال :

أخرج ابن مردويه من طريق ابن أبى مليكة عن ابن عباس : أن شرب العسل كان عند سودة ، وأن عائشة وحفصة هما اللتان تواطأتا عليه صلى الله عليه وسلم .

ثم قال ابن حجر : طريق الجمع بين هذا الاختلاف الحمل على التعدد ، فلايمتنع تعدد السبب للأمر الواحد ، فان جنح الى الترجيح فرواية عبيد بن عمير عن عائشة اثبت لموافقة ابن عباس لها على أن المتظاهرتين حفصة ، وعائشة .

أخرج الامام البخارى بسنده قال :

(حدثنا علىّ حدّثنا سفيانُ حدثنا يحيى بن سعيدٍ قال : سمعتُ عُبيدَ بن حُنين قال : سمعتُ ابنَ عبّاس يقول : "أردت أن أسأل عمر رضى اللّه عنه فقلتُ : يا أمير المؤمنين ، مَن المرأتانِ اللتانِ تظاهرَتا على رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم؟ فما أتممتُ كلامى حتى قال : عائشة ، وحفصة)(1)

وقال ابن حجر :-

فلو كانت حفصة صاحبة العسل لم تقرن فى التظاهر بعائشة ، لكن يمكن تعدد القصة فى شرب العسل ، وتحريمه واختصاص النزول بالقصة التى فيها أن عائشة وحفصة هما المتظاهرتان .

ويمكن أن تكون القصة التى وقع فيها شرب العسل عند حفصة كانت سابقة ، ويؤيد هذا الحمل أنه لم يقع فى طريق هشام بن عروة عن عائشة ، التى فيها أن شرب العسل كان عند حفصة تعرض للآية ، ولا لذكر سبب النزول ، والراجح أيضا أن صاحبة العسل

---

(1) صحيح البخارى بشرح فتح البارى جـ٨ ص٦٥٩ كتاب التفسير / باب (واذ اسر النبى الى بعض أزواجه حديثا فلما نبأت به وأظهره الله عليه عرف بعضه وأعرض عن بعض فلما نبأها به قالت من أنبأك هذا قال نبأنى العليم الخبير) سورة التحريم آية ٣ .

زينب بنت جحش لا سودة لأن طريق عبيد بن عمير أثبت من طريق ابن أبى مليكة بكثير، ولا جائز أن تتحد بطريق هشام بن عروة ، لأن فيها أن سودة كانت ممن وافق عائشة على قولها (أجد ريح مغافير) .

ويرجحه أيضا ما جاء فى كتاب الهبة عن عائشة : (أن نساء النبى صلى الله عليه وسلم كن حزبين أنا وسودة وحفصة وصفية حزب ، وزينب بنت جحش ، وأم سلمة والباقيات فى حزب) .

فهذا يرجح أن زينب هى صاحبة العسل ، ولهذا غارت عائشة منها لكونها من غير حزبها والله أعلم .(١)

الحديث الثانى :

حديث مارية القبطية أم ابراهيم :

أخرج الامام النسائى فى سننه حديث أنس رضى الله عنه "أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَتْ لَهُ أَمَةٌ يَطَؤُهَا فَلَمْ تَزَلْ بِهِ عَائِشَةُ وَحَفْصَةُ حَتَّى حَرَّمَهَا عَلَى نَفْسِهِ)(٢)

فَأَنزَلَ اللَّهُ عز وَجَل :

(يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ)(٣)

وأخرج الامام الدارقطنى فى سننه :-

(عن ابن عباس عن عمر قال : دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بأم ولده مارية فى بيت حفصة ، فوجدته حفصه معها فقالت له : تدخل بيتى ، ماصنعت بى هذا من بين نسائك الا من هوانى عليك فقال لا تذكرى هذا لعائشة فهى حرام أن قربتها ، قالت حفصة ، وكيف تحرم عليك وهى جاريتك ، فحلف لها لا يقربها ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم لا تذكريه لأحد ، فذكرته لعائشة فآلى لا يدخل على نسائه شهرا فاعتزلهن تسعا

---

(١) صحيح البخارى بشرح فتح البارى جـ٩ ص٣٧٦ كتاب الطلاق ، باب لم تحرم ما أحل الله لك ؟

(٢) سنن النسائى جـ٧ ص٧١ / باب الغيرة .
(فلم تزل به عائشة وحفصه حتى حرمها : أى لم تزالا ملازمتين به ساعيتين فى تحريمها عليه .

(٣) سورة التحريم آية ١ .

وعشرين ليلة (١) . فأنزل الله تعالى :
(لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ) الآية (٢)

وبعد أن ذكرت الروايات التى جاءت فى قصة العسل ، ومارية القبطية أم ابراهيم عليه السلام ، نجد أن الرواية الواردة فى قصة العسل جاءت فى الصحيحين ، أما الأخرى فجاءت فى السنن أى فى غير الصحيحين .

وقال الامام ابن كثير ان نزول الآية فى تحريمه صلى الله عليه وسلم العسل صحيح (٣) .

وقال القاضى عياض أيضا : ان الصحيح فى سبب نزول الآية قصة العسل لا قصة مارية القبطية أم إبراهيم عليه السلام .(٤)

ولكن الامام ابن جرير الطبرى قال :-

الصواب من القول فى ذلك أن يقال : كان الذى حرمه النبى صلى الله عليه وسلم على نفسه شيئا كان قد أحله الله له ، وجائز أن يكون ذلك جاريته ، وجائز أن يكون شرابا من الأشربة وجائز أن يكون غير ذلك .

أى ذلك كان فانه كان تحريم شئ كان له حلال فعاتبه الله على تحريمه على نفسه ماكان قد أحله الله له .(٥)

وان بعض كتب التفاسير تشير الى أنه يمكن وقوع الحادثتين معا ، فالرواية الثانية قريبة الى نص الآيات ، والى ما اعقب الحادث من غضب كاد يؤدى الى طلاق زوجاته عليه الصلاة والسلام .

---

(١) سنن الدارقطنى جـ٤ ص٤١-٤٢ كتاب الطلاق والخلع والايلاء وغيره .
(٢) سورة التحريم آية ١ .
(٣) تفسير ابن كثير جـ٧ ص٥٢ .
(٤) صحيح مسلم بشرح النووى جـ١٠ ص٧٦ .
(٥) جامع البيان فى تفسير القرآن جـ٧ ص١٠٢ .

ولكن الرواية الأولى قصة العسل أقرب من جهة رواية الشيخين لها وكذلك يمكن أن تنتج نفس الآثار التى ترتبت عليها قصة مارية القبطية ، فلا مانع بعد هذا ، من القول بأن الآية الكريمة نزلت عقب الحادثتين وقد اقتصر بعض الرواة على نقل أحدهما ، والبعض الآخر على نقل الأخرى فهذا الذى أميل اليه وأرجحه والله أعلم .

ايضاح الآية الكريمة :

(يَا أَيُّهَا النبى لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ) : النداء بيا أيها النبى - مفتاح العتاب له صلى الله عليه وسلم وفيه من حسن التلطف به والتنويه بشأنه عليه الصلاة والسلام ما لا يخفى[1] والمراد من هذا التحريم الامتناع عن الانتفاع بالعسل ، أو ملك اليمين وليس تحريم اعتقاد بكونه حراما بعد ما أحله الله وأباحه للنبى صلى الله عليه وسلم ، فالنبى صلى الله عليه وسلم قد امتنع عن الانتفاع من العسل ، أو ملك اليمين على اختلاف الروايات فيه مع اعتقاده عليه الصلاة والسلام ان ذلك حلال له .

(تبتغى مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ) : أى تطلب رضاهن بترك الأولى .[2]

(واللَّهُ غفورٌ رَحيم) : أى غفور لما أوجب المعاتبة ، رحيم برفع المؤاخذة .

وقيل ان ذلك كان ذنبا من الصغائر ، ولكن الصحيح أنه معاتبة لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم لتركه الأولى ، وانه لم يكن منه صلى الله عليه وسلم صغيرة ولا كبيرة .[3]

المعنى الكلى للآية الكريمة :

خاطب الحق تعالى نبيه ورسوله محمدا صلى الله عليه وسلم بنداء النبوة عتابا له عليه الصلاة والسلام لتركه الأولى وتلطف به ونوّه بشأن مقامه السامى عليه الصلاة والسلام ، وإن هذا تنبيه على أن ما صدر عنه صلى الله عليه وسلم لم يك ينبغى لمقامه الشريف

---

(١) روح المعانى جـ ٢٨ ص ١٤٧ .
(٢) الخازن جـ ٧ ص ٩٧ .
(٣) الجامع لأحكام القرآن جـ ١٨ ص ١٨٤ .

أن يفعله عليه الصلاة والسلام وامتناعه عليه الصلاة والسلام من العسل بعد أن أخبرته احدى زوجاته رضوان الله عليهن بأن رائحته غير طيبة كان لكراهيته عليه الصلاة والسلام الشديدة لكل ذى رائحة كريهة فقد عرف عنه صلى الله عليه وسلم انه يعجبه أن يوجد منه الريح الطيبة ويكره الريح الغير طيبة لمناجاة الملك له عليه الصلاة والسلام .فان تحريمه عليه الصلاة والسلام على نفسه شرب العسل ، أو مارية القبطية على اختلاف الروايات ليس معناه تحريما شرعيا واعتقاديا ، ولكن عليه الصلاة والسلام انما حرمه على نفسه أى امتنع منه بعد الانتفاع به مع اعتقاده أنه حلال له .

وكان ذلك لما عهد فيه صلى الله عليه وسلم من الحنو والعطف على زوجاته والتلطف فى معاملتهن رضوان الله عليهن ، وتحمل مايشق على نفسه الشريفة صلى الله عليه وسلم فى سبيل راحتهن ودليل ذلك ما أخرجه الامام البخارى بسنده :-

" عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : ثم قال : عمر:

" والله إن كنّا فى الجاهلية مانَعُدّ للنساءِ أمراً ، حتى أنزلَ اللّهُ فيهن ما أنزل وقسم لَهنّ ماقسَم ، قال : فبينا أنا فى أمرٍ أتأمّرُهُ إذ قالت امرأتى : لو صنعْتَ كذا وكذا ، قال : فقلت لها : مالك ولما هاهُنا ، فيما تكلّفك فى امر أريدُه ؟ فقالت لى : عَجَباً لكَ يا ابن الخطاب ، ماتريدُ أنْ تراجَعَ أنت وأن ابنَتكَ لتراجِعُ رسولَ اللّهِ صلى اللّه عليه و سلم حتى يظلّ يومَهُ غضبان . فقام عُمر فأخذ رداءه مكانهُ حتى دخل على حفصةَ ، فقال لها : يابُنية إنكِ لَتراجعين رسولَ اللّه صلى اللّه عليه وسلم حتى يظلّ يومه غضبانَ ؟ فقالت حفصة : واللّهِ إنآ لنراجعهُ . فقلت : تعلمين أنى أحذّرك عقوبة اللّه ، وغضَب رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم . يا بنيه لا يَغُرّنكِ هذه التى أعجَبها حسْنُها حبّ رسول الله صلى الله عليه وسلم إياها - يريد عائشة - قالت : ثم خرجتُ حتى دخلتُ على أم سلمة لقرابَتى منها فكلمتها ، فقالت أمّ سلمةَ عجبا لكَ يا ابنَ الخطاب ، دخلتَ فى كل شئ حتى تبتغى أن تدخلَ بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وأزواجه ، فأخذتنى واللّه أخذا كسرتنى عن بعض ماكنتُ أجد فخرجتُ من عندها ، وكان لى صاحبٌ من الأنصار إذا غبتُ أتانى بالخبر ، واذا غاب كنتُ أنا آتيه بالخَبر ، ونحن نتخوف مَلكا من ملوك غسانَ ذكر لنا أنه يريد أن يسير إلينا ، فقد امتلأتْ صدورنا منه ، فإذا صاحبى الأنصارىّ يدُقّ الباب ، فقال : افتحْ افتحْ ،

فقلت : جاء الغسانيّ ؟ فقال : بل أشدّ من ذلك ، اعتزل رسولُ اللّه صلى اللّه عليه وسلم أزواجه . فقلتُ رغم أنفُ حفصةَ وعائشة ، فأخذتُ ثوبيَ فأخرج حتى جئتُ ، فإذا رسولُ اللّه صلى اللّه عليه وسلم ، فى مشربةٍ له يرقى عليها بعَجلَةٍ ، وغلامٌ لرسولِ اللّه صلى اللّه عليه وسلم أسودُ على رأس الدرجة ، فقلت له : قل هذا عمر ابنُ الخطاب . فأذنَ لى .
قال عمر : فقصصتُ على رسولِ اللّه هذا الحديث ، فلما بلغتُ حديث أم سلمةَ تبسمَ رسولُ اللّه صلى اللّه عليه وسلم ، وإنه لَعلى حصير مابينه وبينه شئٌ ، وتحت رأسه وسادةٌ من أدم حشوُها ليفٌ ، وإنّ عندَ رجليه قرظاً مصبوراً (١) وعند رأسه أهبٌ معلقة ، فرأيتُ أثرَ الحصير فى جنبه فبكيتُ ، فقال : ما يُبكيك ؟ فقلت : يارسولَ اللّه ، إنّ كِسرى وقيصرَ فيما هما فيه ، وأنت رسولُ اللّه ، فقال : أما ترضى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة ؟) (٢)
فامتناع رسول الله صلى الله عليه وسلم عما يحبه وتعرضه لما يشق عليه من أجل ارضاء أزواجه كان أمرا معهودا فيه ، الا أن الأولى بالنسبة للشئ الذى امتنع منه هنا عدم الامتناع منه فلما ترك الأولى وامتنع عنه عوتب عليه نظرا لسمو مقامه الشريف عليه الصلاة والسلام
ولكن الامام الزمخشرى عدّ ذلك زلة ، وعلله تعليلا غير مقبول ، ولهذا رد عليه ابن المنير فى الانتصاف بقوله :
ان ما أطلقه الزمخشرى فى حق النبى صلى الله عليه وسلم تقوّل ، وافتراء والنبى صلى الله عليه وسلم منه براء وذلك أن تحريم ما أحله الله على وجهين :
__الأول :__ اعتقاد ثبوت حكم التحريم فيه ، فهذا بمثابة اعتقاد حكم التحليل فيما حرمه الله تعالى ، وكلاهما محظور لا يصدر من المتسمين بسمة الايمان ، وان صدر سلب المؤمن حكم الايمان .

(١) وقوله (قرظا مصبورا) : أى مجموعا مثل الصبرة ، وعند الاسماعيل " مصبوبا " .

(٢) صحيح البخارى بشرح فتح البارى جـ٨ ص٦٥٧-٦٥٨ كتاب التفسير / باب (تبتغى مرضاة أزواجك قد فرض الله تحلة أيمانكم) .
وأخرجه الامام البخارى فى كتاب النكاح / باب موعظة الرجل ابنته لحال زوجها جـ٩ ص٢٧٨ .

الثاني : الامتناع مما أحله الله عز وجل كقوله تعالى :

(وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ)(١)

أى منعنا لا غير ، وقد يكون مؤكدا باليمين مع اعتقاد حلة ، وهذا مباح صرف وحلال محض.

ثم قال ابن المنير أيضا :

فعلى القسم الثانى تحمل الآية الكريمة ، والتفسير الصحيح يعضده - أى يساعده - فإن النبى صلى الله عليه وسلم حلف بالله لا أقرب مارية ، ولما نزلت الآية كفر عن يمينـــــه ، ويدل عليه قوله تعالى :

(قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ)(٢)

وهذا المقدار المباح ليس فى ارتكابه جناح ، وانما قيل له :

(لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ)(٣)

رفقا به وشفقة عليه وتنويها لقدره ، ولمنصبه ان يراعى مرضاة أزواجه بما يشق عليه ..... اى أن يقول : والزمخشرى حمله على المحمل الأول ، ومعاذ الله تعالى أن يعتقـــد النبى صلى الله عليه وسلم تحريم ما أحله الله له .... وما هذه من الزمخشرى الا جراءة على الله وعلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .(٤)

---

(١) سورة القصص آية ١٢ .
(٢) سورة التحريم آية ٢ .
(٣) سورة التحريم آية ١ .
(٤) الانتصاف جـ٣ ص٢١١-٢١٢ للامام أحمد ابن المنير.

- ب - سؤال من الله تعالى لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم عن اذنه للمتخلفين عن تبوك :-

قال تعالى :-

(عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين)(١)

التمهيد للآية الكريمة :

فى هذه الآية الكريمة سؤال من الله تعالى لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم وفيها عتاب له صلى الله عليه وسلم فى اذنه لمن أذن له فى التخلف عنه عندما أعد العدة لغزو الروم .

فقد بلغ المصطفى صلى الله عليه وسلم وهو فى المدينة أن الروم يعدون العدة لقتال المسلمين ويجهزون جيوشهم للانقضاض عليهم ولكن النبى صلى الله عليه وسلم أمر أصحابه . رضوان الله عليهم - بالاستعداد والتجهز والهجوم عليهم وذلك فى زمان عسرة من الناس ، وشدة من الحر ، وجدب من البلاد ، وحين طابت الثمار والناس يرغبون المقام ويكرهون الشخوص على الحال الذى هم عليه ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قلما يخرج فى غزوة الا كنى عنها ، الا غزوة تبوك فانه بينها للناس لبعد الشقة وشدة الزمان وكثرة العدو الذى يصمد له ليتأهب الناس لذلك ، فأمرهم بالجهاز وأخبرهم أنه يريد الروم .(٢) وسارع المسلمون بالتجهز والبذل لأهل الحاجة والفاقة ليعينوهم على الجهاد متسابقين الى مغفرة الله تعالى وطلب جنة عرضها كعرض السموات والأرض ، ولكن المنافقين تواصوا فيما بينهم بالتخلف وقال بعضهم لبعض لا تنفروا فى الحر.

كما قال تعالى :

(فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله وقالوا لا تنفروا فى الحر قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون)(٣)

---

(١) سورة التوبة آية ٤٣ .

(٢) السيرة النبوية لابن هشام جـ٤ ص١٩٦ .

(٣) سورة التوبة آية ٨١ .

وقد استأذن بعض هؤلاء فى التخلف عن الغزو معتذرين بأعذار واهية كما قال : جد بن قيس أحد بنى سلمة - وهو أحد المنافقين - لرسول الله صلى الله عليه وسلم ائذن لى ولا تفتنى ؟ فوالله لقد عرف قومى أنه ما من رجل أشد عجبا بالنساء - أى حبا وفتنة منى ، وأنى أخشى ان رأيت نساء بنى الاصفران لا أصبر ، فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال : قد أذنت لك .(١)

قال تعالى :-
(وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلَا تَفْتِنِّي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ)(٢)

واعتذر بعضهم بعدم الاستطاعة والواقع أن هؤلاء المعتذرين كاذبون مخادعون فى اعتذارهم بأنهم لا يستطيعون الخروج والله تعالى يعلم انهم لكاذبون كما قال تعالى:
(لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ وَلَٰكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ)(٣)

فقد أذن لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقعود بناء على ما بدر منهم من عذر فنزلت الآية الكريمة :
(عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ)(٤)
وفيها عتاب للنبى صلى الله عليه وسلم لتركه الأولى حينما تدارى المتخلفون خلف اذن النبى صلى الله عليه وسلم لهم بالقعود حين قدموا له المعاذير ، وقبل أن يكشف صدقهم من كذبهم فى ذلك ، لأنهم كانوا سيتخلفون عن ذلك حتى لو لم يأذن لهم النبى صلى الله عليه وسلم ولكن الحق تعالى كشف خداعهم وبين نفاقهم .(٥)

---

(١) السيرة النبوية جـ٤ ص١٩٧ .
(٢) سورة التوبة آية ٤٩ .
(٣) سورة التوبة آية ٤٢ .
(٤) سورة التوبة آية ٤٣ .
(٥) فى ظلال القرآن جـ٣ ص١٦٦٢ .

ايضاح الآية الكريمة :

(عَفَا اللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ) : أى لأى سبب أذنت لهؤلاء الخالفين المتخلفين فى التخلف حين استأذنوا فيه معتذرين بعدم الاستطاعة .(١)

قال الامام الشوكانى :-

الاستفهام (لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ) للانكار من الله تعالى على رسوله حيث وقع منه الاذن لما استأذنه فى القعود قبل أن يتبين من هو الصادق منهم فى عذره الذى أبداه، ومن هو الكاذب فيه ، وفى ذكر العفو عنه صلى الله عليه وسلم مايدل على أن هذا الاذن الصادر منه كان خلاف الأولى ، وهذا عتاب لطيف من الله سبحانه حيث وقع منه صلى الله عليه وسلم الاذن لمن استأذن فى القعود قبل أن يتبين له من هو الصادق منهم فى عذره ومن هو الكاذب .(٢)

وقال الامام الشوكانى أيضا :

وقد رخص الله لنبينا صلى الله عليه وسلم فى الاذن فى سورة النور قال تعالى :-

(إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ)(٣)

ثم قال :

ويمكن الجمع بين الآيتين بأن العتاب للنبى صلى الله عليه وسلم متوجه الى الاذن قبل الاستثبات حتى يتبين الصادق من الكاذب ، أما الاذن فى سورة النور فمتوجه الى الاذن بعد الاستثبات والله أعلم .(٤)

---

(١) روح المعانى جـ١٠ ص١٠٧ .
(٢) فتح القدير جـ٢ ص٣٦٥ .
(٣) سورة النور آية ٦٢ .
(٤) فتح القدير جـ٢ ص٣٦٥ .

وقال الامام الألوسى فى تفسير (لِمَ أَذِنتَ لهم) :-

كأنه قيل له : لم سارعت الى الاذن لهم ولم تتوقف حتى ينجلى لك الأمر كما هو قضية الحزم اللائق بشأنك الرفيع ياسيد أولى العزم .

(حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ) : أى فيما أخبروا به عند الاعتذار من عدم الاستطاعة ، وتعلم أيضا الكاذبين المخادعين فيما اعتذروا .(١)

وذكر الامام الخازن مانقل عن ابن عباس رضى الله عنهما قال :

(لم يكن النبى صلى الله عليه وسلم يعرف المنافقين يومئذ حتى نزلت سورة براءة (٢)

---

(١) روح المعانى جـ١٠ ص١٠٧ .

(٢) الخازن جـ٣ ص٨٤ .

ثانيا : أسئلة الله تعالى للمشركين :

ـأ ـ سؤال الله للمشركين عن جعلهم أهل السقاية والعمارة كالمؤمنين المجاهدين :

قال تعالى :

(أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهدَ في سَبِيلِ اللَّهِ لاَ يَسْتَوونَ عِندَ اللَّهِ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِى الْقَومَ الظَّالِمِينَ)[١]

التمهيد للآية الكريمــــــــة :

لقد أنكر الحق جل جلاله ماكان يفتخر به المشركون من السقاية للحجيج والعمـــارة للمسجد الحرام ومايدعون به الفضل على المسلمين وبين عدم التسوية بين ماكانوا عليـــه من الأعمال التى صورتها صورة الخير ولكن لم ينتفعوا بها لأنها واقعة مع الكفر، وبيـــن الايمان والجهاد من المؤمنين بالله تعالى وخص العمارة الحقيقية لمساجد الله بالـــتى تقع من المؤمنين .

فقال تعالى :

(إِنَّما يَعْمُرُ مَسَاجِد اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشـــَى إِلاَّ اللَّهَ فَعَسَى أُولَئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ)[٢]

قال ابن اسحاق :

إن قريشا قالت : "انا أهل الحرم وسقاة الحاج وعمار هذا البيت فلا أحد أفضل منا"[٣]

فكان الرد عليهم ان عمارتكم ليست على ذلك ، وانما يعمر مساجد الله تعالى من آمـــن وأخلص الايمان لله تعالى ثم آمن باليوم الآخر ـ يوم البعث للجزاء والحساب ـ وأقـــام الصلوات المفروضة وأعطى الزكاة الواجبة عليه ولم يخف إلا الله الواحد القهار فأولئـــك هم عمار المسجد الحرام وأخصاؤه وهم المهتدون حقا .

---

(١) سورة التوبة آية ١٩ .
(٢) سورة التوبة آية ١٨ .
(٣) السيرة النبوية لابن هشام جـ٤ ص٢٥٧ .

وبين الله تعالى وصرح بالمفاضلة بين الفريقين وتفاوتهما وعدم استوائهما ثم ذكر استكبار المشركين واعراضهم فقال عز وجل لأهل الحرم من المشركين :

(قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ تَنْكِصُونَ ، مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِرًا تَهْجُرُونَ)(١)

فهؤلاء المشركون كانوا يستكبرون بالحرم ، ويسمرون به ويهجرون القرآن الكريم والنبى صلى الله عليه وسلم ، وفضل الله تعالى الايمان به وتصديق رسوله محمد صلى الله عليه وسلم والجهاد معه ـ أى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ على عمارة المشركين البيت الحرام وقيامهم على سقاية الحجيج لأنها لم تنفعهم عند الله تعالى مع الشرك وان كانوا يعمرون بيته ويحرمون به .(٢)

وقد ذكر أن سبب نزول قوله تعالى :

(أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ)(٣)

(ان العباس بن عبد المطلب حين أسر يوم بدر قال : لئن كنتم سبقتمونا بالاسلام والهجرة والجهاد لقد كنا نعمر المسجد الحرام ونسقى الحاج ونفك العانى)(٤)

والخطاب فى الآية الكريمة للمشركين على طريقة الالتفات والحق تعالى بين الفرق بين الفريقين وعدم مساواة المشركين بالمؤمنين .

فقال تعالى :

(الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ)(٥)

---

(١) سورة المؤمنون ٦٦ ، ٦٧ .
(٢) تفسير ابن كثير جـ٣ ص٢٧٣ .
(٣) سورة التوبة آية ١٩ .
(٤) أسباب النزول للواحدى ص١٦٤ والسيرة النبوية جـ٤ ص٢٥٧ .
(٥) سورة التوبة آية ٢٠ .

وقد حكم سبحانه وتعالى على المشركين بالظلم وعدم الهداية لأنهم ظلموا أنفسهم بالشرك والطغيان فلا يستحقون الهداية من اللّه تعالى(١).

ايضاح الآية الكريمــــة :

(أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ) : الاستفهام للانكار ، والسقاية - والعمارة مصدر من أسقى - عمر - بالتخفيف والخطاب للمشركين على طريقة الالتفات أي أجعلتم أهل السقاية للحجيج والعمارة للمسجد الحرام في الأفضلية وعلو الدرجات مثل من آمن بالله تعالى وأخلص الإيمان له تعالى ، وآمن باليوم الآخر يوم القيامة يوم الحساب والجزاء وجاهد في سبيل الله تعالى لعلاء كلمته التوحيد ونصرة الاسلام والمسلمين .(٢)

(لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ) : أي لا تساوي بين تلك الطائفة الكافرة الساقية للحجيج والعامرة للمسجد الحرام مع الأخرى المؤمنة بالله تعالى واليوم الآخر أي يوم القيامة يوم الجزاء والحساب والمجاهدة في سبيل الله تعالى(٣) .

(وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) : حكم الله تعالى عليهم بالظلم لأنهم ظلموا أنفسهم ببعدهم عن الإيمان الى الكفر .

والظلم وضع الشئ في غير موضعه شركا كان أو غيره فيدخل فيه ظلمهم . فهم بشركهم ومعاداتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم ضالون في هذا الجعل غير مهتدين الى طريق الحق فعدم التساوي بينهم وبين المسلمين واضح .(٤)

---

(١) فتح القدير جـ٢ ص٣٤٤ - ٣٤٥ .
(٢) تفسير النسفي جـ٢ ص١٢٠ وروح المعاني جـ١٠ ص٦٧ .
(٣) فتح القدير جـ٢ ص٣٤٤ .
(٤) تفسير أبي السعود جـ٤ ص٥٢ .

- ب - سؤال الله للمشركين : هل شهدوا خلق الملائكة ؟

قال تعالى :-

(وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَٰنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ)(١)

التمهيد للآية الكريمة :

لقد طغت الجاهلية على المشركين فأدت بهم الى الانحراف والطغيان والضلال والبعد عن الحق ، فجعل هؤلاء المنحرفون لله تعالى جزءً من عباده وقالوا إن الملائكة بنات الله تعالى وحاشا لله تعالى ذلك ولكنهم عبادٌ مكرمون فقال تعالى :-

(أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا)(٢)

فهذا دعاء باطل وجحود للخالق تعالى فحاشا له جل جلاله أن يتخذ ولدا فماله تعالى أن يتخذ البنات ويصفهم بالبنين فكيف ينسبون الى الله تعالى البنات ، وهم يسوؤهم أن يبشروا بهن .

كما قال تعالى :-

(وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ . وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ . يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ.)(٣)

فهذا من انحرافهم وضلالهم وادعائهم الباطل الذى لا دليل عليه على الاطلاق فهل شهدوا أن الملائكة اناث وعلموا بذلك عن رؤية خلقهم أو هذا ادعاء منهم لا دليل عليه ولا حجة تؤيده ، فكيف يزعمون هذا الزعم الباطل على الملائكة فانهم الموكلون بهم سيكتبون هذه الشهادة التى شهد بها هؤلاء المنحرفون الضالون وسوف تكتب

---

(١) سورة الزخرف آية ١٩ .

(٢) سورة الاسراء آية ٤٠ .

(٣) سورة النحل الآيات ٥٧ ، ٥٨ ، ٥٩ .

فى ديوان أعمالهم ويسألون عنها يوم القيامة أمام الله تعالى وأمام الخلائق فليأتوا بالبرهان على صحة ادعائهم الباطل ولن يجدوا سبيلا .[١]

ايضاح الآية الكريمة :

(وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَٰنِ إِنَاثًا) : أى سموا وقالوا : إنهم اناث .

قال الامام الخازن :

حكموا وثبتوا ، فأخبرهم تعالى انهم عبيد ، وانهم ليسوا ببناته بل عباد مكرمون .[٢]

فقال تعالى :

(وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ)[٣]

قال الامام الصاوى :

ورد انهم لما قالوا ذلك : سألهم النبى صلى الله عليه وسلم فقال : مايدريكم انهم أناث ، قالوا : سمعنا من آبائنا ونحن نشهد أنهم لم يكذبوا .[٤]

فنزل قوله (سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ)[٥]

(أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ) الاستفهام للانكار والتوبيخ .

أى أحضروا خلق الله تعالى إياهم فشاهدوهم إناثا حتى يحكموا بأنوثتهم فان ذلك مما يعلم بالمشاهدة .[٦]

وهذا كقوله تعالى :

(أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ)[٧]

---

(١) فى ظلال القرآن جـ٥ ص٣١٨٠ .
(٢) الخازن جـ٦ ص١١٠ .
(٣) سورة الانبياء آية ٢٦ .
(٤) حاشية الصاوى على تفسير الجلالين جـ٤ ص٤٩ .
(٥) سورة الزخرف آية ١٩ .
(٦) روح المعانى جـ٢٥ ص٧١-٧٢ .
(٧) سورة الصافات آية ١٥٠ .

قال الامام الألوسى :

وفيه تجهيل لهم وتهكم بهم .(١)

(سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ) : أى ستسجل عليهم فى ديوان أعمالهم هذه الشهادة ليجازيهم الله عليها ويسألون عنها يوم القيامة بان لله تعالى جزءاً من عباده ، وأن له تعالى البنات ، وأن الملائكة إناث وفى هذا تهكم بهم وتجهيل لهم وتقبيح صنيعهم وتقريع عليهم .(٢)

المعنى الكلى للآية الكريمة :

ان القرآن الكريم بين وأعلن مفتريات المشركين وأباطيلهم الكاذبة وادعائهم الباطل الذى لا دليل عليه . فقد حكموا وأثبتوا أن لله تعالى جزءاً من الخلق الذين خلقهم ، وقالوا وادعوا بالباطل أن الملائكة بنات الله تعالى والحقيقة انهم عباد مكرمون عند الله تعالى فقد خلقهم الله سبحانه وتعالى ووصفهم بصفة العبودية له ولم يخصصهم بغير هذا ، فعلام يقيم هؤلاء المدعون ادعاءهم الباطل ، فهل شهدوا خلقهم وعلموا بذلك ؟ حتى حكموا بأنوثتهم انهم لم يشهد خلقهم ، وبالتالى لا دليل لهم ولا حجة على ادعائهم الباطل .

فقال تعالى فى سورة الصافات :-

(فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ . أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ . أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ . وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ . أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ . مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ . أَفَلَا تَذَكَّرُونَ . أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُبِينٌ . فَأْتُوا بِكِتَابِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ)(٣)

وسوف نسجل عليهم تلك الشهادة فى ديوان أعمالهم ويسألون عنها يوم القيامة فلا يجدون للجواب سبيلا .(٤)

---

(١) روح المعانى جـ٢٥ ص٧١ ، ٧٢ .

(٢) فتح القدير جـ٤ ص٥٥٠ .

(٣) سورة الصافات الآيات من ١٤٩ الى ١٥٧ .

(٤) الخازن جـ٦ ص١١٠ وفى ظلال القرآن جـ٥ ص٣١٨٠ .

ـ ج ـ سؤال الله للمشركين هل يقسمون رحمة الله

قال تعالى :

(أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ ربك نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ)(١)

التمهيد للآية الكريمة :

إن المشركين المعاندين لم يدركوا حكمة اختيار الله سبحانه وتعالى نبيه محمد اصلى الله عليه وسلم للنبوة والرسالة فقد اصطفاه للرسالة والنبوة وشرفه بها عليه الصلاة والسلام من بينهم لمزايا وخصائص توفرت فيه ، ولكنه في نظرهم يتيم فقير ليس بذى مال ولا جاه فلا يستحقها ، وإنما يستحقها في نظرهم واحد من ذوى المال والجاه لأنهم يقصرون نظرهم على الدنيا ومتاعها . فرد الله عليهم وأنكر هذا منهم وعجب من حالهم حينما جهلوا قدر أنفسهم وتجاوزوا حدودهم في إنهم يقسمون رحمة الله تعالى بين عباده وليس هذا من حقهم فهؤلاء المعاندون لا يملكون لأنفسهم شيئا ولا يحققون لها رزقا فالخالق هو الذى قسم بينهم الأرزاق وفق حكمته وارادته ورفع بعضهم فوق بعض درجات ليكون بعضهم مسخرا للبعض الآخر فتعمر الأرض فلا اعتراض عليه جل جلاله فهو يختص بالنبوة والرسالة ومن هم أهل لها فخص نبينا عليه الصلاة والسلام بها وجعله تعالى رحمة للعالمين .(٢)

فقال تعالى :

(وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ)(٣)

---

(١) سورة الزخرف آية ٣٢ .

(٢) فى ظلال القرآن جـ٥ ص٣١٨٦ .

(٣) سورة الأنبياء آية ١٠٧ .

ايضاح الآية الكريمة :

(أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ) : الهمزة للاستفهام والمراد به تجهيلهم وتعجيب في تحكمهم في أمر النبوة والرسالة لمن أرادوا .(١)

(نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) : فالله تعالى أوقع هذا التفاوت بين العباد وقسم بينهم أسباب معيشتهم حسب مشيئته المبينه على الحكم والمصالح ولم يفوض أمرها اليهم لعجزهم عن تدبيرها فجعل غنياً وفقيراً ومالكاً ومملوكاً ، وضعيفاً وقوياً ، فلا يقدر أحد من الخلق على تغيير حكم الله تعالى ولا الخروج عن قضائه .(٢)

قال الامام الخازن :

فإذا عجزوا عن الاعتراض على حكمنا في أحوال الدنيا مع قلتها وذاتها فكيف يقدرون على الاعتراض على حكمنا في تخصيص بعض العباد بمنصب النبوة والرسالة لأنهم أهل لها ، وكما فضلنا بعضهم على بعض كما شئنا كذلك اصطفينا بالرسالة من شئنا

(وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا) : أي فضلنا فيما بينهم في الرزق وسائر المعاش بدرجات متفاوتة حسبما تقتضيه الحكمة ليستعمل بعضهم البعض الآخر في مصالحهم وحوائجهم ويحصل بينهم التآلف ويتم نظام العالم(٣).

(وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ) : والمراد بالرحمة ما أعده الله تعالى لعباده الصالحين في الدارين في الدنيا والآخرة .

وقيل المراد بها النبوة وما يتبعها من سعادة الدارين .

وقيل المراد بالرحمة الهداية والايمان ، وقيل المراد بها الجنة .

(خير مما يجمعون) : أي أفضل مما يجمعون من الأموال وسائر المتاع في الحياة الدنيا (٤)

---

(١) تفسير أبي السعود جـ٨ ص٤٦ .
(٢) روح المعاني جـ٢٥ ص٨٧ .
(٣) تفسير الخازن جـ٦ ص١١٢ .
(٤) فتح القدير جـ٤ ص٥٥٤ ، روح المعاني جـ٢٥ ص٧٩ .

والقول الراجح عندى :

أن المراد بالرحمة هو كل ما أعده الله تعالى لعباده الصالحين ومنها رحمته تعالى بارسال نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لأنه رحمة للعالمين فهذا أفضل مما يجمعون من حطام الدنيا وسائر متاعها الفانى .

المعنى الكلى للآية الكريمة :

لقد بين لنا القرآن الكريم انحراف المشركين الضالين فى القيم والموازين الزائلة للمال والجاه والسلطان ، واعتقادهم انها كل شئ ، فقد أنكروا أن يختار الله سبحانه وتعالى من بينهم محمدا الفقير اليتيم عليه الصلاة والسلام فلم يدركوا حكمة اختياره رسولا صلى الله عليه وسلم فقال تعالى :

(ولَمَّا جاءَهُم الحقّ قالُواْ هَذا سِحْرٌ وإنّا به كافرون . وقالُوا لَولا نُزِّلَ هَذا القُرآنُ على رَجُلٍ مِنَ القَريَتين عظيم)(١)

فرد الله تعالى عليهم اعتراضهم هذا واستنكر جهلهم وسوء صنيعهم حينما جهلوا قدر أنفسهم ، فكيف يقسمون كل ما اعده الله تعالى لعباده فى الدارين ومنه ارسال محمد صلى الله عليه وسلم لهم ان الله قسم بينهم الأرزاق والمعايش الدنيوية وفق حكمة الله تعالى ومشيئته حيث جعل الناس متفاوتين فى ذلك لينتفع بعضهم من البعض الآخر وتعمر الأرض ، فلا اعتراض على حكم الله تعالى ولا خروج عن قضائه ، فكيف يعترض هؤلاء المتعنتون ويتحكمون فى أمر النبوة .

فلو فرض أن الله تعالى جعل لهم ذلك وترك لهم الاختيار والتدبير لضاعوا واختل نظام الحياة بمن فيها فالله تعالى تولى قسمة حظوظ الدنيا بينهم ، وهى دون النبوة ، فكيف يترك لهم أمر النبوة يتحكمون فيه ورحمة الله تعالى ومنها اختصاص محمد صلى الله عليه وسلم بالنبوة خير مما يجمعون من حطام الدنيا الفانى . (٢)

---

(١) سورة الزخرف الآيتان ٣٠ ، ٣١ .

(٢) تفسير ابى السعود جـ٨ ص٤٦ ، وروح المعانى جـ٢٥ ص٧٨-٧٩ .

ثالثا : أسئلة الله تعالى لأهل الكتاب :

لقد ذكر فى القرآن الكريم آيات بينات وجه فيها سبحانه وتعالى أسئلة لأهل الكتاب ورد على ادعائهم الباطل الذى لا سند له ، وكشف عن أباطيلهم الخادعة الماكرة .

(أ) فسألهم عن محاجتهم فى ابراهيم وعن كفرهم بآيات الله وعن لبسهم الحق بالباطل وكتمانهم الحق .

فقال تعالى :-

(يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِى إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالإِنجِيلُ إِلاَّ مِن بَعْدِهِ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ . هَا أَنتُمْ هَؤُلاَءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ . مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلاَ نَصْرَانِيًّا وَلَكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِماً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ . إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِىُّ وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَاللَّهُ وَلِىُّ الْمُؤْمِنِينَ . وَدَّت طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ . يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ . يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ)(١)

التمهيد للآيات :

لقد بينت الآيات مايبذله أعداء الاسلام من حيل وخداع وكذب للبس الحق بالباطل فالحق كشف لأمة الاسلام دسائسهم وأعلن نواياهم وخداعهم فمنها محاجتهم الباطلة فى سيدنا ابراهيم الخليل عليه السلام وزعم اليهود انه عليه السلام كان يهوديا ، وكذلك زعم النصارى انه كان نصرانيا وهم كاذبون مخادعون ، فان سيدنا ابراهيم الخليل أبا الأنبياء عليهم السلام كان سابقا لليهودية والنصرانية فى الوجود وسابقا على نزول التوراة والانجيل ، فهذا الحجاج منهم كان مجرد جدال ومراء لا دليل عليه وأن الله سبحانه وتعالى وضح ماكان عليه سيدنا ابراهيم عليه السلام كان حنيفا مسلما منقادا لله تعالى ،

---

(١) سورة آل عمران الآيات من ٦٥ الى ٧١ .

وكذلك بين ان أحق الناس بسيدنا ابراهيم عليه السلام الذين اتبعوه وساروا على منهجه والتزموا بتعاليمه سواء فى زمانه أو بعده وخصوصا هذا النبى - أى نبينا محمد عليه الصلاة والسلام وأمته أمة الاسلام فانه جل جلاله ينصرهم ويجازيهم بالحسنى لايمانهم الصادق .

فان المؤمنين هم أحق الناس بسيدنا ابراهيم عليه السلام على مر العصور ثم كشف الحق للمسلمين هذا الخداع الماكر فى مماراة أهل الكتاب ومحاجتهم الباطلة أن سيدنا ابراهيم كان يهوديا أو نصرانيا وأنها لاضلال المسلمين وتشكيكهم فى عقيدتهم عقيدة التوحيد ، ولكن هذا الاضلال الصادر من الفئة الضالة - اليهود والنصارى وباله وخسارته تعود عليهم بالعذاب فى الآخرة .

وقد وجه جل جلاله نداءه لهم بأهلية الكتاب الموجب للايمان بما جاء والتصديق بما فيه لكن عنادهم وجحودهم جعلهم يجحدون آيات الله الواضحة فى كتبهم ومنها نبوة نبى الاسلام محمد صلى الله عليه وسلم ولكنهم يكتمونها وهم يعرفون حقيقتها حسدا وعنادا فالحق تعالى فضحهم وكشف عوارهم وتزييفهم وسيجازيهم عليه .(١)

ايضاح الآيات :

(يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ) : الخطاب لليهود والنصارى ، والاستفهام للانكار والتقريع لم تنازعون وتجادلون فى ملة وشريعة سيدنا ابراهيم ويدعى كل منكم أنه عليه السلام كان منه وعلى ملته .(٢)

وقد ذكر الامام ابن جرير الطبرى :

أن الآية نزلت فى اختصام اليهود والنصارى فى سيدنا ابراهيم وادعاء كل فريق منهم أنه كان منهم .

---

(١) تفسير ابن كثير جـ٢ ص٥٦-٥٧ ، وفى ظلال القرآن جـ١ ص٤١٠٤ .

(٢) جامع البيان فى تفسير القرآن جـ٣ ص٢١٦ .

ونقل عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : " اجتمعت نصارى نجران وأحبار اليهود عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنازعوا عنده ، فقالت الأحبار : ماكان ابراهيم الا يهوديا ، وقالت النصارى ماكان ابراهيم الا نصرانيا(١)

فأنزل الله عز وجل فيهم الآية :-
(يا أهل الكتاب لم تحاجون في ابراهيم وما أنزلت التوراة والانجيل الا من بعده أفلا تعقلون)(٢)

ثم ذكر الامام ابن جرير الطبري أيضا :
ان الآية نزلت في دعوى اليهود أن ابراهيم عليه السلام منهم .

ونقل الامام ابن جرير قول قتادة :
(ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم دعا يهود أهل المدينة الى كلمة سواء ، وهم الذين حاجوا في سيدنا ابراهيم وزعموا أنه عليه السلام مات يهوديا فأكذبهم الله عز وجل ونفاه منه .(٣)

(وما أنزلت التوراة والانجيل الا من بعده أفلا تعقلون) :(٤)

قال الزجاج : هذه الآية أبين حجة على اليهود والنصارى ، اذ التوراة والانجيل نزلا من بعده اى بعد سيدنا ابراهيم عليه السلام ، وليس فيهما اسم لواحد من الأديان ، واسم الاسلام في كل كتاب .(٥)

(أفلا تعقلون) : أي ألا تتفكرون في دحوض حجتكم وبطلان قولكم وتفقهون خطأكم وادعاءكم الباطل في أن ابراهيم عليه السلام كان يهوديا أو نصرانيا وقد علمتم ان اليهودية والنصرانية قد حدثتا بعده .(٦)

---

(١) تفسير ابى السعود جـ٢ ص٤٨ . جامع البيان فى تفسير القرآن جـ٣ ص٢١٦ .
(٢) سورة آل عمران آية ٦٥ .
(٣) جامع البيان فى تفسير القرآن جـ٣ ص٢١٦ .
(٤) سورة آل عمران آية ٦٥ .
(٥) فتح القدير جـ١ ص٣٤٩ .
(٦) جامع البيان فى تفسير القرآن جـ٣ ص٢١٦ .

(ها أنتم هؤلاء حاجتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم) (١)

الهاء للتنبيه وهى موضع النداء أى يا هؤلاء ، والمراد بهم أهل الكتابين ـ اليهود والنصارى قد جادلتم وخاصمتم فى أمر موسى ، وعيسى وأدعيتم أنكم على دينهما وقد أنزلت التوراة والانجيل عليكم فلم تحاجون وتجادلون فيما لا علم لكم به ولا فى كتابكم ، وهو ان ابراهيم الخليل عليه السلام كان يهوديا أو نصرانيا .

ثم قال الامام البغوى :

قيل لهم حاججتم فيما لكم به علم أى فى أمر نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لأنهم وجدوا نعته عليه الصلاة والسلام فى كتبهم فجادلوا فيه بالباطل ، فلم تحاجون وتجادلون فى ابراهيم عليه السلام وليس فى كتابكم ولا علم لكم به .(٢)

(والله يعلم وأنتم لا تعلمون) أى يعلم كل شئ ويدخل فى ذلك ما حاججوا به انه عليه السلام كان يهوديا أو نصرانيا ، وهم جاهلون فيما يقولون فى سيدنا ابراهيم عليه السلام ثم أبرأه الله تعالى مما قالوا واعلمهم أن ابراهيم عليه السلام برئ من دينهم ولم يكن يهوديا أو نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما منقادا لله ولم يكن من المشركين .

(ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين)(٣)

أى لم يكن عليه السلام كما ادعيتم فيه بالباطل ووصفتم بما كان عليه من الدين ولكن كان عليه السلام حنيفا اى مائلا عن الأديان كلها الى الدين المستقيم الاسلام وكذلك لم يكن من المشركين الذين يعبدون الأصنام والأوثان .(٤)

(إن أولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه) : فأحق الناس به وأقربهم اليه الذين سلكوا طريقه واتبعوا منهجه فوحدوا الله تعالى وأخلصوا له الدين وكانوا مسلمين غير مشركين)(٥)

---

(١) سورة آل عمران آية ٦٦ .
(٢) تفسير الخازن وبهامشه البغوى جـ١ ص٣٠٤ .
(٣) سورة آل عمران آية ٦٧ .
(٤) تفسير الخازن جـ١ ص٣٠٤ .
(٥) جامع البيان فى تفسير القرآن جـ٣ ص٢١٦ .

(وهذا النبيّ والّذين آمنوا) : أى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم - وأفرد بالذكر تعظيما له وتشريفا ، وأولويته عليه الصلاة والسلام بابراهيم من جهة كونه عليه الصلاة والسلام من ذريته ، ومن جهة موافقته لدينه فى كثير من الشريعة المحمدية شريعة الاسلام .

(والّذين آمنوا) : أى من أمته أمة الاسلام والمسلمين .(١)

(واللّه وليّ المؤمنين) : ينصرهم ويجازيهم بالحسنى بايمانهم وتخصيص المؤمنين بالذكر ليثبت الحكم فى النبى صلى الله عليه وسلم بدلالة النص .(٢)

(ودّت طائفة من أهل الكتاب لو يضلونكم) : تمنت طائفة من اليهود ، والنصارى لو يرجعوكم عن دين الاسلام الى الكفر بعد الايمان .(٣)

(وما يضلون الاّ أنفسهم ومايشعرون) : فلا يعود وبال الضلال والخسران الا عليكم أيها الكافرون ، لأن المؤمنين لن يقبلوا منكم هذا فيحصل الاثم بتمنيكم لهم الضلال ، فالعذاب يضاعف لكم بسبب هذا الاضلال وهم انما يضلون أمثالهم وأتباعهم وأشياعهم .(٤)

(يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات اللّه وأنتم تشهدون)(٥)

النداء بعنوان أهلية الكتاب الموجبة للايمان به وتصديق مافيه والاستفهام للتوبيخ والانكار . فالحق جل جلاله أنكر على أهل الكتاب - اليهود والنصارى ووبخهم على كفرهم وجحودهم بنبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وهم يجدونه فى كتبهم ونعته معروف لديهم فمع شهادتهم أن مافى كتبهم حق وانها من عند الله تعالى لكن جحودهم جعلهم ينكرون نبوته حسدا وعنادا .(٦)

---

(١) فتح القدير جـ١ ص٣٤٩ .
(٢) تفسير ابى السعود جـ٢ ص٤٨ .
(٣) تفسير الخازن جـ١ ص٣٠٧ .
(٤) " " " "
(٥) سورة آل عمران آية ٧٠ .
(٦) جامع البيان فى تفسير القرآن جـ٣ ص٢١٦ .

(يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ)(١)

النداء بأهلية الكتاب الموجب للايمان به والتصديق بما جاء مبالغة فى تقبيح حالهم ، وانكار صنيعهم فى تحريفهم للحق واظهاره بالباطل .

وذكر الامام ابن جرير الطبرى نقلا عن قتادة فى تفسير قوله :
(يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ) :
قوله : لِمَ تَلْبِسُونَ ـ أى تخلطون اليهودية والنصرانية بالاسلام وقد علمتم أن الله لا يقبل غير الاسلام ولا يجزى الا به .(٢)

وقد ذكر الامام الألوسى تفسيرا للآية الكريمة :ـ
(تَلْبِسُونَ) : أى تسترونه به ، أو تخلطون به ، والباء صلة وفى المراد أقوال :

* أن المراد تحريفهم التوراة والانجيل .
* أن المراد اظهارهم الاسلام وابطان النفاق .
* أن المراد الايمان بموسى . وعيسى عليهما السلام . والكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم .
* أن المراد ما يعلمونه فى قلوبهم من حقيقة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ومايظهرونه من تكذيبه .(٣)

والقول الرابع أميل اليه وأرجحه لأنهم يكتمون نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وقد عرفوها ووجدوها فى كتبهم وهم يعلمون صدقه حق اليقين .

المعنى الكلى للآيات :

لما ادعت طائفتا اليهود والنصارى ان سيدنا ابراهيم الخليل أبا الأنبياء عليهم السلام كان على دين اليهودية أو النصرانية بمجادلتهم الكاذبة ومنازعتهم الخادعة

---

(١) سورة آل عمران آية ٧١ .
(٢) جامع البيان فى تفسير القرآن جـ٣ ص٢٢٠ .
(٣) روح المعانى جـ٣ ص١٩٩ .

فى سيدنا ابراهيم عليه السلام ، لكن الله رد عليهم بخطاب انكارى تعجيبى ما يزعمون ويدعون عليه السلام انه كان يهوديا أو نصرانيا ، فى حين أن سيدنا ابراهيم الخليل أبا الأنبياء عليهم السلام كان سابقا لليهودية والنصرانية وأيضا ان نزول التوراة والانجيل كانتا بعده عليه السلام .

فهذا احتجاج وراء وجدال باطل لا سند اليه ، وليس هناك دليل يرجحه ولكن الحق سبحانه وتعالى وضح حقيقة سيدنا ابراهيم فكان حنيفا أى مائلا عن الأديان كلها الى الدين الاسلامى ، وماكان من المشركين عبدة الأصنام والأوثان ، فليس لأحد من هؤلاء الضالين المنحرفين اليهود والنصارى أحقية به ولكن أحق الناس به وأخصهم بولايته ونصرته هم الذين سلكوا طريقته واتبعوا ملته وساروا على منهجه من أهل زمانه وبعده ثم هذا النبى ـ أى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ـ وأمته يلتقون مع سيدنا ابراهيم فى منهج الحنيفية الاسلامية ، ثم ان الحق تعالى كشف للمسلمين نوايا اليهود والنصارى الخبيثة فانهم مايريدون من وراء هذا الاحتجاج سوى الجدال والمراء والتشكيك والتضليل فى نزع سيدنا ابراهيم عليه السلام من الحنيفية السمحاء وابطال النبوة فى بيته عليه السلام ثم تكذيب الدعوى المحمدية للاسلام ، وانه ليس على دين أبو الأنبياء عليه السلام وليس للمسلمين الأولوية بسيدنا ابراهيم وقد تمنى هؤلاء الضالون من اليهود والنصارى ـ تضليل المسلمين عن دينهم وصدهم عن الاسلام وارجاعهم الى الكفر فيهلكوهم ولكن هؤلاء الضالين لا يهلكون الا أنفسهم وأتباعهم ، ثم استحقوا بفعلهم غضب الله تعالى وعذابه الأليم لكفرهم ونقضهم الميثاق الذى أخذه تعالى عليهم فى كتابهم بالاقرار بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم وأتباعه عليه الصلاة والسلام ، ثم أعلن الحق جل جلاله للمسلمين أن مايفعله هؤلاء الضالون فى محاولتهم للصد عن دين الاسلام سوف يرد عليهم وبال هذا الاضلال عليهم وعلى أمثالهم وأشياعهم بالعذاب الأليم .

ثم انتقل الحق سبحانه وتعالى لكشف حال المخادعين وتوبيخهم على ترك الحق الواضح فى الدين الاسلامى فى كتبهم البشارة والاشارة بالاسلام وبسيد الرسل

وخاتم الأنبياء والمرسلين ، فكان البعض منهم يصرح بما يجدونه ويعرفونه ، ولكن البعض الآخر يكابر ويعاند ويعرض وينكر مايجدونه من الحق الواضح الذى ينطق بنبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم كما جاءت فى التوراة والانجيل دون تحريف وتغيير مافيهما من نعت نبينا محمد صلى الله عليه وسلم والبشارة به عليه الصلاة والسلام .

فقد كان أحبار اليهود ورهبانهم يكتمون الناس تلك الصفات العظيمة ولكن اذا خلا بعضهم الى بعض أظهروها فيما بينهم وشهدوا انه عليه الصلاة والسلام نبى حق .

فبين للمسلمين الأمر الذى درج عليه أهل الكتاب - اليهود والنصارى - من لبس الحق بالباطل وكتمان الحق وتضييعه على علم ومعرفة وعن عمد وقصد ، فهؤلاء المكابرون يعلمون حق اليقين أن محمدا رسول من عند الله تعالى بشيرا ونذيرا وداعيا الى الحق وسراجا منيرا ، وان دينه هو خاتمة الأديان السماوية ولا نبى بعده ، ولكن كانوا ينكرون هذا حسدا وعنادا ويجهدون كل الجهد بالقاء الشبهات والتشكيك حتى لا يظهر ولكن يأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون[1]

---

(١) جامع البيان فى تفسير القرآن جـ٣ ص٢١٦-٢١٧-٢١٨-٢١٩ ، وتفسير ابى السعود جـ٢ ص٤٨-٤٩ وظلال القرآن جـ١ ص٤١١-٤١٢-٤١٣ .

ب - سؤال لأهل الكتاب لم يصدون عن سبيل الله :

قال تعالى في سؤال لأهل الكتاب :-

(قُلْ يا أَهْلَ الكِتابِ لِمَ تكفُرونَ بآياتِ اللهِ واللهُ شَهيدٌ على ما تعمَلونَ . قُلْ يا أَهْلَ الكِتابِ لِمَ تصُدّونَ عَنْ سَبيلِ اللهِ مَنْ آمَنَ تبغُونَها عِوَجًا وأنتُمْ شُهَداءُ وما اللهُ بِغافِلٍ عمّا تعمَلونَ)(١)

التمهيد للآيتين :

وجه سبحانه وتعالى خطابا بأهلية الكتاب الموجب للايمان به والتصديق بما جاء توبيخا وتعنيفا وتقريعا -لأهل الكتاب - اليهود والنصارى - على عنادهم وجحودهم للحق واعتراضهم على نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ثم كفرهم بآيات الله تعالى الواضحة الدالة على نبوته عليه الصلاة والسلام وصفته صلى الله عليه وسلم كما جاءت وبشروا بها وانه خاتم الأنبياء والمرسلين ودينه خاتمة الأديان ولا نبي بعده ، وهؤلاء المتعنتون لا يستطيعون أن يذكروا سببا لكفرهم واصرارهم عليه ، وصدهم من أراد الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم بتشكيكه واعادته الى الكفر قاصدين بفعلهم هذا أن يكون طريق الله تعالى المستقيم ودينه الاسلام مائلا زائغا الى أهوائهم .

والحال أن هؤلاء المتعنتين شهداء بأن طريق الله المستقيم الذى لا شائبة فيه هو الاسلام أو أن هؤلاء المتعنتين هم موثقون بين قومهم بالاستشهاد في جميع الأحوال .

ثم ختم الحق سبحانه وتعالى باحاطة علمه تعالى بأعمالهم وأقوالهم وسيجازيهم عليها .(٢)

---

(١) سورة آل عمران الآيتان ٩٨-٩٩ .

(٢) تفسير ابن كثير جـ٢ ص٨١ ، وفى ظلال القرآن جـ١ ص٤٣٦-٤٣٧ .

ايضاح الآيات :

(قُل يا أَهلَ الكِتابِ لِمَ تكفُرونَ بِآيَاتِ اللَّه) : خاطبهم الله تعالى بعنوان أهلية الكتاب الموجبة للايمان به والتصديق بما جاء ، وهذا مبالغة فى تقبيح حالهم وتكذيبهم وكفرهم .

والاستفهام للتوبيخ وانكار أن يكون الكفر بآيات الله سبب من الأسباب والاشارة الى عجزهم عن اقامة العذر أوالحجة لكفرهم .

والمراد بالآيات مطلق الدلائل الدالة على نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

(واللهُ شَهيدٌ علىٰ ما تعمَلونَ) : والحال انه تعالى مبالغ فى الاطلاع على جميع أعمالكم ومجازيكم عليها وهذا للتوبيخ والانكار عليهم .(١)

(قُل يَا أَهلَ الكِتابِ لِمَ تصُدّونَ عَن سَبيلِ اللَّهِ) : يامعشر اليهود والنصارى لم تضلون وتصرفون عن طريق الله تعالى وشريعته التى شرعها لأنبيائه وهى ملة الاسلام.(٢)

وقال الامام ابو السعود تفسيرا للآية :-

أمر بتوبيخهم بالاضلال اثر توبيخهم بالضلال والتكرير للمبالغة فى حمله علية الصلاة والسلام على تقريعهم وتوبيخهم وترك العطف على الآية السابقة للايذان باستقلالهم كما انه قطع قوله (لِمَ تَصُدّونَ) عن قوله (لِمَ تَكفُرونَ) .

للاشعار بأن كل واحد من كفرهم وصدهم شناعة مستقلة للومهم وتقريعهم .

وتكرير الخطاب بعنوان أهلية الكتاب لتأكيد الاستقلال وتشديد التشنيع لأن عنوان ذلك يستدعى الايمان بما هو مصدق لما معهم ، ويستدعى ترغيب الناس فيه ، فصدهم

---

(١) روح المعانى جـ٤ ص١٤ وتفسير ابى السعود جـ٢ ص٦٣ .

(٢) جامع البيان فى تفسير القرآن جـ٤ ص١٥ .

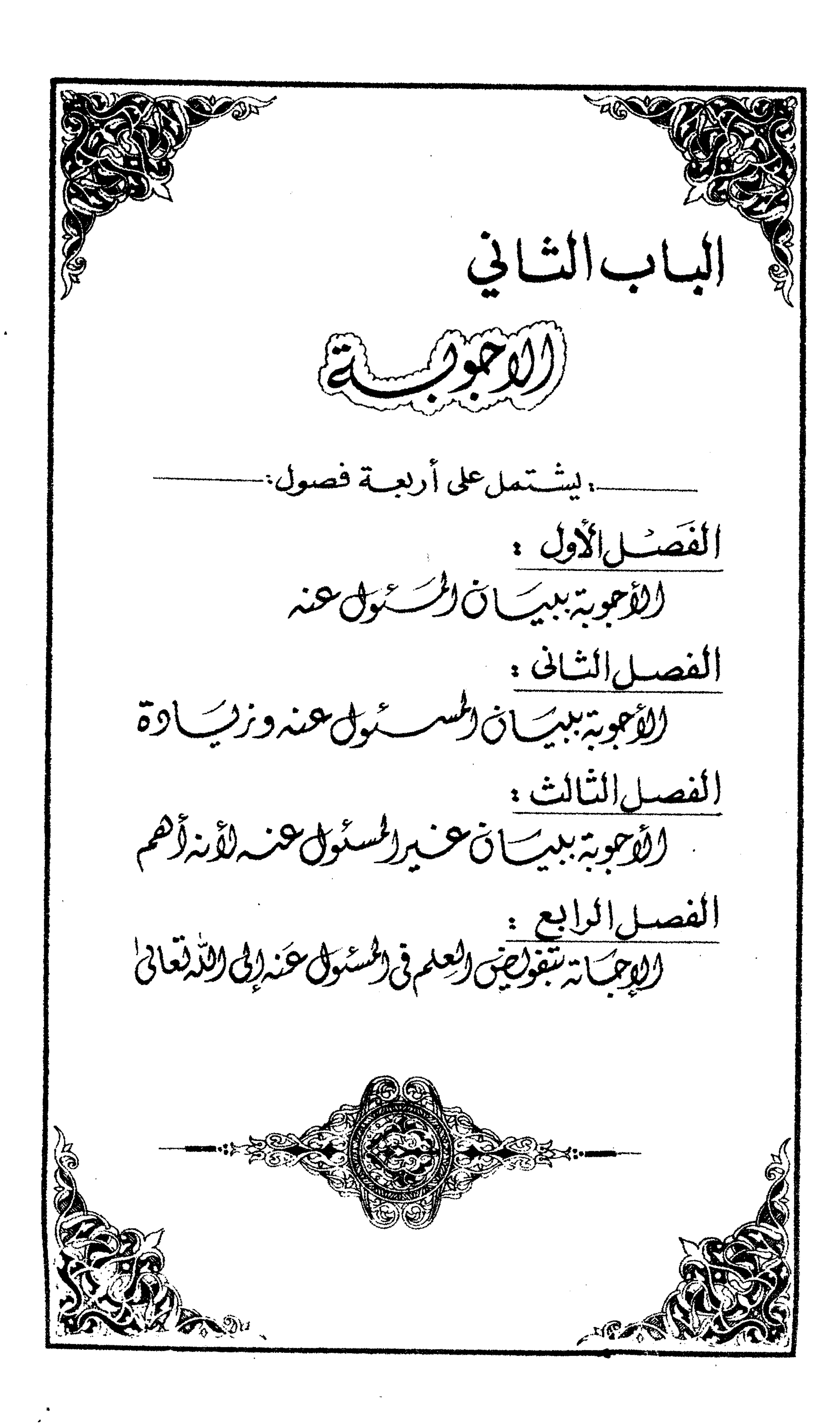
عنه هو أقصى مراتب القباحة ، لأن صدودهم كان في بعض التحريف للكتاب والكفر بالآيات الدالة على نبوته عليه الصلاة والسلام . والصد عن دينه الحق الموصل الى السعادة الأبدية وهو التوحيد وملة الاسلام . وقد تحتالون لصد من آمن بمحمد ومنعه من الدخول في دين الاسلام ، بجهدكم وانكاركم ان صفة محمد ليست في كتابكم ولا توجد البشارة به عليه السلام ، وتطلبون لسبيل الله تعالى التي هي أقوم السبل الميل عن الحق بنفي النسخ وتغيير صفة الرسول صلى الله عليه وسلم ، والحال انكم شهداء تشهدون بأنها لا شائبة عليها .

وختمت الآية الكريمة بعلم الله تعالى الشامل فهو جل جلاله محيط بأعمالهم وكما أن كفرهم بآيات الله تعالى كان بطريقة العلانية . وقد ختمت الآية السابقة أيضا بشهادة الله عز وجل على كل ما يعملون من خير أو شر .(١)

❖❖

---

(١) تفسير أبي السعود جـ٢ ص٦٤ .



الباب الثاني

الأجوبة

يشتمل على أربعة فصول:

الفصل الأول:

الأجوبة ببيان المسئول عنه

الفصل الثاني:

الأجوبة ببيان المسئول عنه وزيادة

الفصل الثالث:

الأجوبة ببيان غير المسئول عنه لأنه أهم

الفصل الرابع:

الإجابة بتفويض العلم في المسئول عنه إلى الله تعالى

((الباب الثانـــى))

-((الأجوبـــــــــة))-

(*)

إن الأصل فى الجواب أن يطابق السؤال ، وقد يعدل عن هذا الأصل فيجاب عن غير المسئول عنه لأنه أهم مما سأل عنه السائل ، وقد يجاب عن المسئول عنه وزيادة للحاجة الى معرفة هذه الزيادة التى لم يسأل عنها السائل ، وقد يفوض العلم فيما سئل عنه الى الله تعالى لأن السؤال كان عن شئ لا يترتب على معرفته فائدة أو لأنه كـــان للتعجيز والتعنت أو ما الى ذلك .

قال الامام السيوطى :-

الأصل فى الجواب أن يكون مطابقا للسؤال اذا كان السؤال متوجها ، وقد يعـدل فى الجواب عمّا يقتضيه السؤال تنبيها على أنه كان من حق السؤال أن يكون .

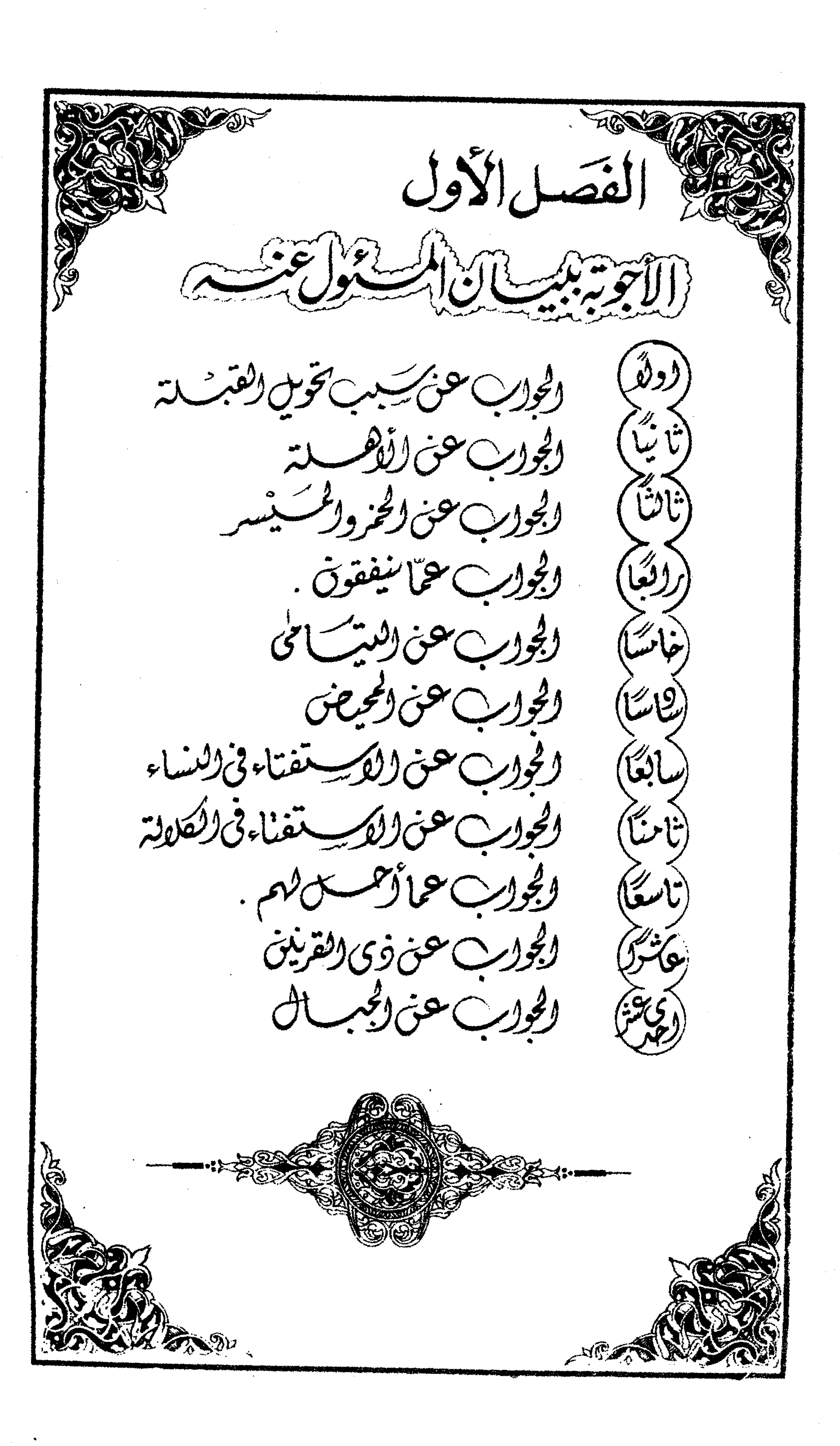
وقد يجئ الجواب أعم من السؤال للحاجة اليه فى السؤال .

وقد يجئ الجواب أنقص لاقتضاء الحال .

وقد يعدل عن الجواب أصلا إذا كان قصد السائل التعنت والتعجيز فيفـــوض الاجابة عن ذلك السؤال الى علم الله تعالى .(١)

---

(١) الاتقان فى علوم القرآن للسيوطى جـ١ ص٢٥٧-٢٥٨ .



الفصل الأول

الأجوبة ببيان المسئول عنه

أولاً — الجواب عن سبب تحويل القبلة

ثانياً — الجواب عن الأهلة

ثالثاً — الجواب عن الخمر والميسر

رابعاً — الجواب عما ينفقون.

خامساً — الجواب عن اليتامى

سادساً — الجواب عن المحيض

سابعاً — الجواب عن الاستفتاء في النساء

ثامناً — الجواب عن الاستفتاء في الكلالة

تاسعاً — الجواب عما أحل لهم.

عاشراً — الجواب عن ذي القرنين

احدى عشر — الجواب عن الجبال

((الفصـــل الأول))

(الأجوبة ببيان المسئول عنـــه)

أولا : الجواب عن سبب تحويل القبلة :

من ذلك الجواب عما سأل عنه السفهاء - (المنافقون - واليهود) .
عن سبب تحول المسلمين فى صلاتهم من بيت المقدس الى الكعبة المشرفة فقد أخبر الله تعالى الرسول محمدا صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بأن السفهاء من المنافقين واليهود سيسألون هذا السؤال عندما تتحول القبلة من بيت المقدس الى مكة - الكعبة المشرفة فقال تعالى :-
(سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُل لِّلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ)(١)

وقد أخبر الحق جل جلاله رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بأن السفهاء من المنافقين واليهود سيقولون هذه المقالة عندما تتحول القبلة من بيت المقدس الى الكعبة المشرفة قبل حصولها لتهوين الأمر على المسلمين ، وليكون الرد على تشكيك السفهاء حاضرا ، وكما ذكر الامام الشوكانى أن الأخبار بالمكروه قبل وقوعه فيه تهوين لصدمته وتخفيف " لروعته وكسر لسورته (٢)
فجاء الجواب فى الآية الكريمة ببيان المسئول عنه
(قُل لِّلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ)
أى أن الجهات كلها له تعالى فله جل جلاله ان يأمر عباده بالتوجه الى أى جهة شاء .

وقال الامام الفخر الرازى :
أما قوله تعالى : (قُل لِّلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ)

---

(١) سورة البقرة آية ١٤٢ .
(٢) فتح القدير جـ١ ص١٥٠ .

فهذا هو الجواب الأول عن تلك الشبهة ، وتقريره أن الجهات كلها للــــه ملكا وملكا فلا يستحق شئ منها لذاته أن يكون قبلة ، بل انما تصير قبلة لأن اللــــه تعالى جعلها قبلة ، واذا كان الأمر كذلك فلا اعتراض عليه بالتحويل من جهــــة الى جهة أخرى .(١)

---

(١) التفسير الكبير جـ٤ ص٩٣ .

ثانيا : الجواب عن الأهلـــــة :

وجاء الجواب ببيان المسئول عنه فى السؤال عن الأهلة كما قال تعالى :-

(يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)(١)

قال الامام الفخر الرازى :

ليس فى الآية بيان انهم عن أى شئ سألوا ، لكن الجواب كالدال على موضع الســـؤال لأن قوله تعالى :

(قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ) :

يدل أن سؤالهم كان عن الفائدة والحكمة فى تغير حال الأهلة فى النقصان والزيـــادة، فصار القرآن والخبر متطابقين فى السؤال على هذا المعنى (٢)

وقال بعض المفسرين :

جاء الجواب فى قوله (قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ ......) الآية (٣)

من الأسلوب الحكيم وهو تلقى المخاطب بغير ما يترقب تنبيها على أنه الأولى بالقصـــد ووجه ذلك أنهم سألوا عن أجرام الأهلة باعتبار زيادتها ونقصانها ، فأجيبوا بالحكمـــة التى كانت تلك الزيادة والنقصان لأجلها ، لكون ذلك أولى بأن يقصد السائل، وأحـــق بأن يتطلع لعلمه .(٤)

وقد قال السكاكى ومتابعوه : سألوا عن الأهلة لم يبدوا دقيقا مثل الخيط ثم يتزايد قليلا قليلا حتى يمتلئ ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدا ؟

فأجيبوا ببيان حكمة ذلك تنبيها على أن الأهم السؤال عن ذلك لا ما سألوا عنه ، ولكن

---

(١) سورة البقرة آية ١٨٩ .

(٢) التفسير الكبير جـ٥ ص١٢٠ .

(٣) سورة البقرة آية ١٨٩ .

(٤) فتح القدير جـ١ ص١٨٩ .

الامام السيوطى يخالف السكاكى ومتابعيه ويرجح أنهم أجيبوا عما سألوا عنه ، فقد سألوا عن الحكمة من تغير حال الأهلة زيادة ونقصانا فأجيبوا ببيانها .

قال الامام السيوطى :

كذا قال السكاكى ومتابعوه . واسترسل التفتازانى فى الكلام الى أن قال : لأنهم ليسوا ممن يطلع على دقائق الهيئة بسهولة . ثم قال السيوطى : ومن أين لهم أن السؤال وقع عن غير ما حصل الجواب به ؟ وما المانع من أن يكون انما وقع عن حكمة ذلك ليعلموها ، فان نظم الآية محتمل ذلك كما أنه يحتمل ماقالوه .

والجواب ببيان الحكمة دليل على ترجيح الاحتمال الأول ، اذا الأصل فى الجواب أن يكون مطابقا للسؤال ، والخروج عن الأصل يحتاج الى دليل ، ولم يرد باسناد لا صحيح ولا غيره أن السؤال وقع على ماذكروه ، بل ورد ما يؤيد ما قلناه[1]

فأخرج ابن جرير عن جريج ، وابن أبى حاتم عن أبى العالية قال :-

(بلغنا أنهم قالوا يارسول الله لم خلقت الأهلة ؟ فنزلت الآية[2]

فهذا صريح فى أنهم سألوا عن حكمة ذلك لا عن كيفيته من جهة الهيئة .[3]

وقال الامام السيوطى فى الاتقان أيضا :-

ولا يظن ذو دين بالصحابة الذين هم أدق فهما وأغزر علما أنهم ليسوا ممن يطلع على دقائق الهيئة بسهولة ، وقد اطلع عليها آحاد العجم الذين اطبق الناس على أنهم أبلد أذهانا من العرب بكثير ، هذا لو كان للهيئة أصل يعتبر ، فكيف وأكثرها فاسد لا دليل عليه ؟

ولو كان السؤال وقع عما ذكروه لم يمتنع أن يجابوا عنه بلفظ يصل اليهم .[4]

---

(١) الاتقان فى علوم القرآن جـ١ ص٢٥٧ .

(٢) سورة البقرة آية ١٨٩ .

(٣) أسباب النزول للسيوطى ص٣٥ وجامع البيان فى تفسير القرآن جـ٢ ص١٠٨ .

(٤) الاتقان فى علوم القرآن جـ١ ص٢٥٧ .

وأرجح أن الجواب فى الآية الكريمة ببيان المسئول عنه وذلك لأن معرفة الحكمة والفائدة من تغير حال الأهلة فى النقصان والزيادة هى مطلوب الناس وعنها يسألون ، وقد بينت لهم بأنها مواقيت للناس فى عباداتهم ومعاملاتهم ولاسيما الحج فقال تعالى : (الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ)(١)

---

(١) سورة البقرة آية ١٩٧ .

ثالثا : الجواب عن الخمر والميسر :

وجاء الجواب ببيان المسئول عنه في قوله تعالى :

(يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا) (١)

كما قال الفخر الرازى : ليس فى الآية الكريمة بيان انهم عن أى شئ سألوا ، فانه يحتمل انهم سألوا عن حقيقته وماهيته ، ويحتمل انهم سألوا عن حل الانتفاع بـه ، ويحتمل انهم سألوا عن حل شربه وحرمته ، الا أنه تعالى لما أجاب بذكر الحرمة دل تخصيص الجواب على أن ذلك السؤال كان واقعا عن الحل والحرمة .(٢)

فالحق تعالى أجاب ببيان المسئول عنه فبين أن الاثم الكبير الذى يلحق منهما أكبر من هذا النفع الضئيل .

فقال تعالى :

(قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا)(٣)

قال الامام الشوكانى :

وان كان فيهما النفع فالاثم الذى يلحق من تعاطيهما أكثر من هذا النفع ، لأنه لا خير يساوى مافيه من فساد العقل الحاصل عن الخمر وماينشأ عنه من الشرور لا يأتى عليه الحصر ، ولا خير فى الميسر يساوى مافيه من المخاطرة بالمال والتعرض للفقر ، واستجلاب العداوات المفضية الى سفك الدماء وهتك الحرم .(٤)

---

(١) سورة البقرة آية ٢١٩ .
(٢) التفسير الكبير جـ٦ ص٤٠ .
(٣) سورة البقرة آية ٢١٩ .
(٤) فتح القدير جـ١ ص٢٢١ .

رابعا : الجواب عما ينفقــــــون :

كما جاء الجواب ببيان المسئول عنه أيضا فى السؤال عما ينفقون فى قوله تعالى :-
(وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ .) (١)

فان الصحابة رضوان الله عليهم قد سألوا عن مقدار ما كلفوا به فى الانفاق حينمــــا علموا ان الله جل جلاله يحض على الانفاق ، وان رسول الله صلى الله عليه وسلـــــم بين عظيم الثواب والأجر الذى يعطيه الحق تعالى للمنفقين فى سبيل الله تعالـــــى فقال عز وجل :
(مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَـــةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ . الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّـــهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) (٢)

فحينما سأل الصحابة رضوان الله عليهم عن المقدار الذى كلفوا به فى الانفـــاق أجابهم تعالى ببيان المسئول عنه فقال عز وجل (قُلِ الْعَفْوَ) .

أى أنفقوا ما زاد عن حوائجكم ولم تضروا به أنفسكم فتكونوا عالة على الآخريـــــن فهو المطلوب والمقبول منكم . (٣)

وأصل العفو الزيادة عن الحاجة .

---

(١) سورة البقرة آية ٢١٩ .
(٢) سورة البقرة آية ٢٦١ .
(٣) فتح القدير جـ١ ص٢٢٢ .

خامسا : الجواب عن اليتامى :

وأيضا جاء الجواب ببيان المسئول عنه فى السؤال عن اليتامى فى قوله تعالى :-
(وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) (١)

فان الصحابة رضوان الله عليهم سألوا المصطفى عليه الصلاة والسلام عن حكم التصرف فى أموال اليتامى ، فأهل الجاهلية كانوا قد اعتادوا الانتفاع بأموال اليتامى وهضم حقوقهم ، لكن الحق تعالى أجابهم ببيان المسئول عنه .
(قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)(٢)

فان مخالطتهم بالاصلاح خير وأفضل من المجانبة عنهم ، فكل مايؤدى الى الاصلاح فى أموال اليتامى بالتنمية والاستثمار يكون خيرا من مجانبتهم بشروط رعاية المصالح لليتامى فى جميع الأشياء لأنهم اخوان للمسلمين فى الدين فمن حق الأخوة المشاركة فى الأموال والخيرات بقصد الاصلاح والتنمية ، فهو تعالى أراد الاصلاح والخير لكم ، وانه جل جلاله يعلم من يريد الافساد والخسارة عند المخالطة ومن يقصد الاصلاح والخير فيجازى كلا بعمله .(٣)

---

(١) سورة البقرة آية ٢٢٠ .
(٢) " " "
(٣) التفسير الكبير جـ٦ ص٥٠ ، وفتح القدير جـ١ ص٢٢٢ .

سادسا : الجواب عن المحيض :

وقد جاء الجواب ببيان المسئول عنه كذلك فى السؤال عن المحيض عندما سأل بعض الصحابة رضوان الله عليهم النبى صلى الله عليه وسلم عن أمر الحيض عندما رأوا تشديد اليهود فقد كانوا إذا حاضت المرأة فيهم لم يؤاكلوها ولم يشاربوها ولم يجالسوها على فراش ولم يساكنوها فى البيوت وتساهل النصارى فى أمر المحيض .(١)

فنزلت الآية الكريمة :

(ويسألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء فى المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن فإذا تطهرن فأتوهن من حيث أمركم الله إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين)(٢)

(فقال : رسول الله صلى الله عليه وسلم : جامعوهن فى البيوت واصنعوا كل شىء إلا النكاح . فبلغ ذلك اليهود فقالوا : مايريد هذا الرجل أن يدع من أمرنا شيئا إلا خالفنا فيه فجاء أسيد بن حضير وعباد بن بشر فقالا : يارسول الله إن اليهود تقول كذا وكذا ، فلا نجامعهن فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ظننا أن قد وجد عليهما فخرجا فاستقبلهما هدية من لبن الى النبى صلى الله عليه وسلم فأرسل فى آثارهما فسقاهما فعرفا أن لم يجد عليهما)(٣)

واعتزال النساء فى المحيض أى اعتزالهن فى زمنه وهو ترك المجامعة فى أثناء الحيض وليس ترك المجالسة والملامسة والمؤاكلة وغير ذلك .(٤)

وقد سبق ايضاح ذلك فى الفصل الأول .

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووى جـ٣ ص٢١١-٢١٢ .
(٢) سورة البقرة آية ٢٢٢ .
(٣) صحيح مسلم بشرح النووى جـ٣ ص٢١٢ .
(٤) الخازن جـ١ ص٢٨٣ ، وفتح القدير جـ١ ص٢٢٥ .

سابعا : الجواب عن الاستفتاء في النساء :

وكذلك جاء الجواب ببيان المسئول عنه في الآيتين الكريمتين في سورة النساء فقال تعالى :

(وَيَسْتَفْتُونَكَ فِى النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِى الْكِتَابِ فِى يَتَامَى النِّسَاءِ اللَّاتِى لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ وَأَن تَقُومُوا لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا)(١)

وقد سبق في سبب النزول لهذه الآية الكريمة أن قوما من الصحابة رضوان الله عليهم سألوا المصطفى صلى الله عليه وسلم عن شأن النساء وعن اليتامى حقهم في الميراث والصداق لأن أهل الجاهلية كانوا قد اعتادوا أن لا يورثوا النساء ولا الصغار من أولاد اليتامى ويهضمون حقوقهم في الميراث والصداق .

فالحق سبحانه وتعالى أجاب في الآية ببيان المسئول عنه فقال تعالى :

(قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِى الْكِتَابِ فِى يَتَامَى النِّسَاءِ اللَّاتِى لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ وَأَن تَقُومُوا لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا)(٢)

فالقرآن الكريم أظهر ما أشكل عليهم بالآيات ، وبين فيها ما فرض لهن من الميراث والصداق ، وكذلك بين وأظهر القرآن الكريم لهم (الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ) أي الصغار من أولاد اليتامى وما لهم من الميراث ، لأنهم كانوا في الجاهلية لا يورثون الصغار اليتامى فالحق تعالى بين تلك الحقوق من الميراث وغيره ثم أمرهم بالعدل في الميراث والمهر ، وذكر تعالى أنه يجازيهم بحسب فعلهم من خير وشر لأنه تعالى عليم بذلك .(٣)

---

(١) سورة النساء آية ١٢٧ .
(٢) " " "
(٣) الخازن جـ١ ص٥٠٣ وفتح القدير جـ١ ص٥٢٠ .

ثامنا : الجواب عن الاستفتاء في الكلالـــــة :

كذلك جاء الجواب ببيان المسئول عنه في قوله تعالى :-
(يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ فَإِن كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِن كَانُوا إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ)(١)

حينما طلب بعض المسلمين بيان ما أشكل عليهم في أمر الكلالة من النبي صلى الله عليه وسلم كما سبق ذكر ذلك في الاستفتاء في الكلالة جاء الجواب عن ذلك من الله تعالى ببيان المسئول عنه فقال تعالى :
(قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ) أي يبين لكم حكم الكلالة وما ورد فيها وقد سبق ايضاح ذلك ضمن الأسئلة التي وجهت الى النبي صلى الله عليه وسلم بقصد الاستعلام من المسلمين .

---

(١) سورة النساء آية ١٧٦ .

تاسعا : الجواب عما أحل لهم :-

وقد جاء الجواب ببيان المسئول عنه فى السؤال عما أحل لهم فقال تعالى :-
(يَسألونكَ ماذا أحلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّباتُ وماعلمتم مِنَ الجَوارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الحِسابِ)(١)

وقد سبق ذكر سبب نزول الآية الكريمة وهو أن زيد بن المهلهل وعدى بن حاتم سألا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالا : يارسول الله انا قوم نصيد بالكلاب والبزاة فماذا يحل لنا ؟ (٢)

فأنزل الحق تعالى الآية الكريمة فيها الجواب ببيان المسئول عنه فقال تعالى :-
(قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّباتُ وَماعَلَّمْتُم مِنَ الجَوارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الحِسابِ) .

فأحل الله تعالى للمسلمين كل ما يستلذ ويستطاب من المطاعم وأحل لهم صيد ماعلموا من الكواسب بشرط التعلم وذكر اسم الله عليها اذا أرسلت .(٣)

---

(١) سورة المائدة آية ٤ .
(٢) لباب النقول فى أسباب النزول للسيوطى ص٨٧-٨٨ وأسباب النزول للواحدى ص١٢٨ .
(٣) ابن كثير جـ٢ ص٤٩٤ ، والخازن جـ٢ ص١٠-١١ ، وفتح القدير جـ٢ ص١٢ .

عاشرا : الجواب عن ذى القرنين :

وأيضا جاء الجواب ببيان المسئول عنه فى السؤال عن ذى القرنين الرجل الطواف الذى بلغ أقصى الغرب والشرق حينما حرض اليهود المشركين أن يسألوا النبى صلى الله عليه وسلم بقصد الامتحان والتعجيز وقد سبق ايضاح ذلك فى الأسئلة التى وجهت بقصد الامتحان والتعجيز وجاء الجواب من الله تعالى ببيان المسئول عنه فقال تعالى :

(وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِى الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا . إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِى الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا . فَأَتْبَعَ سَبَبًا)(١)

---

(١) سورة الكهف الآيات ٨٣، ٨٤، ٨٥.

احدى عشر : الجواب عن الجبـــــــال :

وكذلك جاء الجواب ببيان المسئول عنه فى السؤال عن الجبال فقال تعالى :
(وَيسألُونَكَ عَنِ الجِبَالِ فَقُلْ ينسِفُها رَبِّى نَسفاً . فيذَرها قَاعاً صَفْصَفاً . لَا ترَى فِيهَا عِوَجاً وَلا أمْتاً .)(١)

وقد ذكرت فى سبب نزول الآية الكريمة أن قريشا قالت : يا محمد كيف يفعل ربــــك بهذه الجبال يوم القيامة ؟ فنزلت الآية (٢)

وقال الامام الفخر الرازى :
لما وصف أمر القيامة حكى سؤال من لم يؤمن بالحشر على سبيل الاستهـــــــزاء ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجواب عن هذا السؤال وضم الى الجواب أمـــورا أخرى فى شرح أحوال القيامة وأهوالها فقال تعالى : (فَقُلْ) أى فى الجواب مـــــع فاء التعقيب لأن مقصودهم من هذا السؤال الطعن فى الحشر والنشر ، فلا جـــــــرم أمره بالجواب مقرونا بفاء التعقيب ، لأن تأخير البيان فى مثل هذه المسألة الأصوليـــة غير جائز ، أما فى المسائل الفرعية فجائز لذلك ذكرها بـ (قُلْ) من غير حرف التعقيب.(٣)

وقال الامام سليمان بن عمر العجيلى الشافعى الشهير بالجمل :-
كل ما جاء فى السؤال فى القرآن أجيب عنه (بقُلْ) بلا فاء التعقيب الا فى قوله :
(وَيَسأَلُونَكَ عَنِ الجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُها رَبِّى نَسفاً)(٤)
بـ (فَقُلْ) فبالفاء لأن الجواب فى الجميع كان بعد وقوع السؤال وفى سورة طـــــــه كان قبله اذ تقريره :-
(ان سئلت عن الجبال فقل ينسفها ربى) (٥)

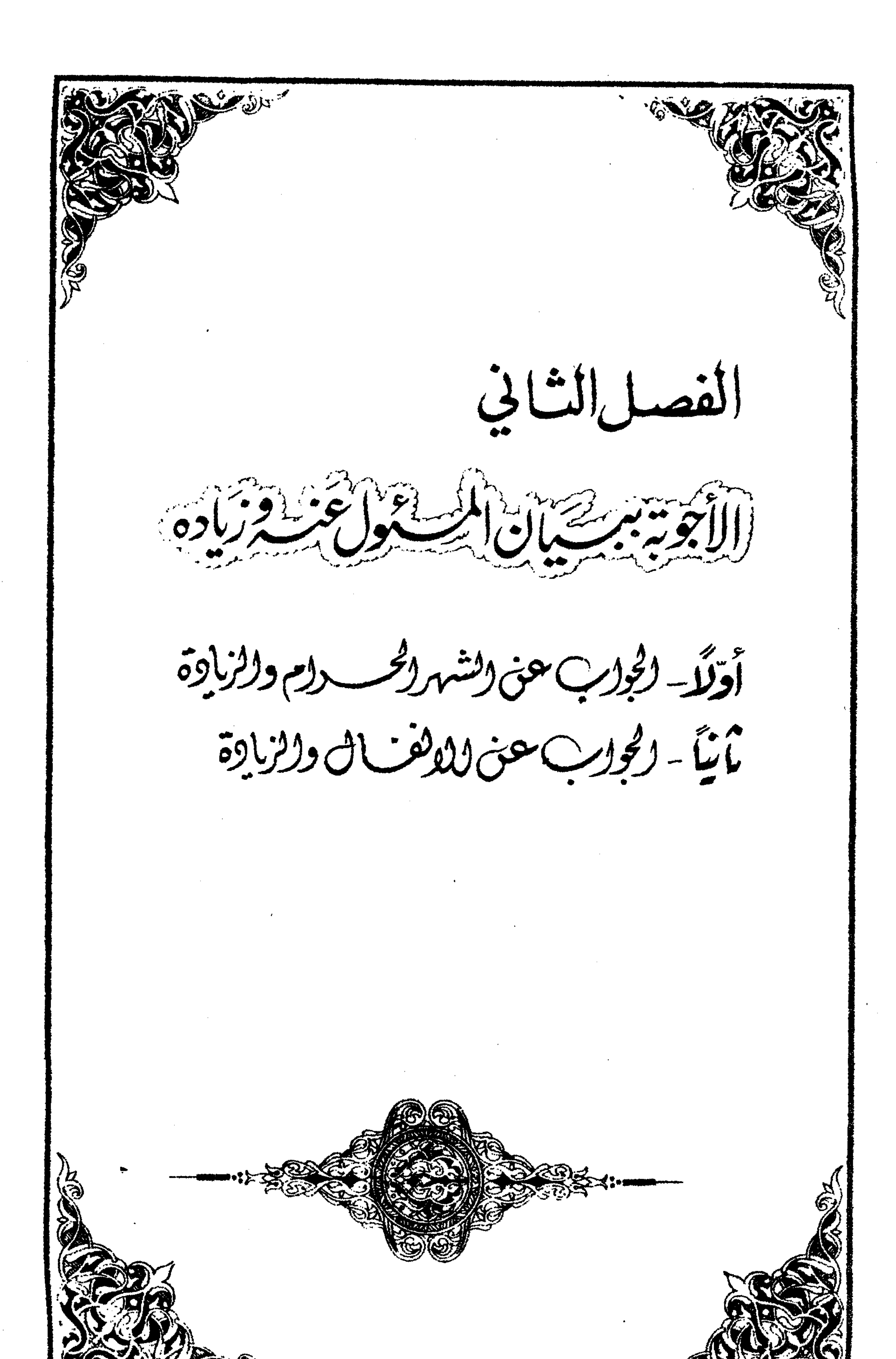
---

(١) سورة طه الآيات ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٠٧ .
(٢) أسباب النزول للسيوطى ص١٤٧ .
(٣) التفسير الكبير جـ٢٢ ص١١٧ .
(٤) سورة طه آية ١٠٥ .
(٥) الفتوحات الالهية جـ١ ص١٥٢ .

أى يسألك يامحمد كفار مكة على سبيل الاستهزاء انك تدعى يامحمد أن هـــــذه الدنيا تفنى واننا نبعث بعد الموت وأين تكون هذه الجبال ؟[1]

﴿ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفاً ﴾[2] أى يقلعها قلعا من أصولها .

(١) الفتوحات الالهية جـ٣ ص١١١ .
(٢) سورة طه آية ١٠٥ .



الفصل الثاني

الأجوبة ببيان المسئول عنه وزيادة

أولاً- الجواب عن الشهر الحرام والزيادة

ثانياً- الجواب عن الأنفال والزيادة

(الفصل الثانـــى)

(الأجوبة ببيان المسئول عنه وزيـــادة)

أولا : الجواب عن القتال في الشهر الحرام والزيادة :

جاءت فى القرآن الكريم بعض الأجوبة ببيان المسئول عنه وزيادة ، لأهمية هـذه الزيادة وحاجة الناس الى معرفتها ومن ذلك قوله تعالى :-

(يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِـــهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِـــكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ)[1]

حينما عاب المشركون على المسلمين قتلهم عمرو بن الحضرمى فى سرية عبد اللـه ابن جحش التى بعثها رسول الله صلى الله عليه وسلم ترصد عير قريش وتعرف لـه أخبارها بقيادة عبد الله بن جحش فقتلوا منها عمرو بن الحضرمى وأسروا منها اثنين من قريش ثم ساقوا العير بما تحمل الى النبى صلى الله عليه وسلم فضجت قريش : وقالـوا استحل محمد الشهر الحرام ، ولكن المسلمين كانوا عالمين بحرمة هذا الشهر قبـل الاسلام وبعده ، وقد استنكر المسلمون مافعله أفراد هذه السرية وقال لهم رسول اللـه صلى الله عليه وسلم : ما أمرتكم بقتال فى الشهر الحرام لكن عبد الله بن جحش وبعض أفراد السرية قالوا : يارسول الله انا قتلنا ابن الحضرمى ولم ندر أصبناه فى آخر يـوم من جمادى الآخر أوفى أول رجب ، فوقف النبى صلى الله عليه وسلم العير والأسيرين .[2]

الى أن نزلت الآية الكريمة فيها الجواب ببيان السؤال عنه وزيادة فقال تعالى :

(قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ)[3]

---

(١) سورة البقرة آية ٢١٧ .

(٢) أسباب النزول ص١٤ وجامع البيان فى تفسير القرآن جـ٢ ص٢٠١ ، وتفسير ابن كثير جـ١ ص٤٤٧ .

(٣) سورة البقرة آية ٢١٧ .

فأخبر الحق تعالى أن القتال الذى يكون اثمه كبيرا ليس الذى وقع فى سرية عبدالله بن جحش لأنهم لم يبدؤ ا بالقتال والعدوان ثم انهم كانوا متأولين هل هم أصابوه فى اليوم الآخر من جمادى الآخره أو فى أول رجب أو انهم مقصرون نوعا من التقصير فان الله تعالى الى جانب ما فعلوه من التوحيد والطاعات والهجرة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وايثار ما عند الله تعالى يغفر الله تعالى لهم هذا التقصير .

وهذا القتال الذى وقع منهم كان لنصرة الاسلام والمسلمين واذلال الكفر والكافرين ، ولكن هناك قتال كبير هو الذى الغرض منه هدم الاسلام وتقوية الكفر والكافرين فهذا الكبير الذى يحصل فى الشهر الحرام دون مراعاة الشهر الحرام ولا حرمة الشهر الحرام والبلد الحرام .(١)

ثم زاد الحق تعالى عما سألوا عنه فقال :-
(وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ)(٢)

فمنع المسلمين من الايمان بالله تعالى وبرسوله صلى الله عليه وسلم ومنعهم أيضا من الهجرة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخذ أموالهم وخيراتهم أكبر من ذلك القتال الذى وقع من سرية عبدالله بن جحش التى عيبتم فيها على المسلمين فعلهم هذا فى الشهر الحرام ، ولكن منعكم المسلمين عن المسجد الحرام بل عن البلد الحرام - مكة - أكبر عند الله وأعظم وزرا من القتل الذى حصل منهم فمنعكم المصلين من المسجد الحرام

---

(١) جامع البيان فى تفسير القرآن جـ٢ ص٢٠١-٢٠٢ وتفسير ابن كثير جـ١ ص٤٤٧-٤٤٨ والتفسير الكبير جـ٦ ص٣١-٣٢ .
(٢) سورة البقرة آية ٢١٧ .

والطائفين والعاكفين والركع السجود منه أعظم ذنبا ثم انكم أخرجتموهم منه بل من البلد الحرام - مكة - وهم القائمون بحقوق البيت الحرام فاخراجهم هذا أكبر جرما عند الله من القتل فى الشهر الحرام ثم الفتنة التى ارتكبتموها من الاخراج والشرك وصدود الناس عن الاسلام ابتداء وبقاء .

وكذلك فتنة المسلمين عن دينهم التى كنتم تفعلونها مع المسلمين بالقاء الشبهات فى قلوبهم والتعذيب والنكال بهم كما فعلتم ببلال وصهيب وعمار بن ياسر وغيرهم فكل هذه الأمور أكبر جرما وأعظم ذنبا عند الله من القتل فى الشهر الحرام .(١)

فهذه الزيادة الحاصلة فى الجواب ببيان المسئول عنه وقد سبق ايضاح ذلك فى أسئلة المشركين .

---

(١) تفسير أبى السعود جـ١ ص٢١٧ والتفسير الكبير جـ٦ ص٣٤ .

ثانيا : الجواب عن الأنفال والزيادة :

كذلك جاء الجواب عن المسئول عنه وزيادة كما فى السؤال عن الأنفال فى قوله تعالى :

(يَسأَلُونَكَ عنِ الأنفالِ قلِّ الأنفالُ للهِ والرَّسُولِ فاتَّقوا اللَّهَ وأصلِحوا ذاتَ بَيْنِكُم وأَطِيعُوا اللَّهَ ورَسُولَهُ إن كُنتُم مُؤْمِنينَ)(١)

فحينما سأل بعض الصحابة رضوان الله عليهم النبى صلى الله عليه وسلم عن حكم الأنفال أى الغنائم التى حصل فيها المنازعة والمجادلة فيما بينهم لمن تكون ؟

أخبرهم الحق جل جلاله عما سألوا فبين لهم أن حكمها خاص بالله تعالى ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم يقسمها كما يأمره ربه عز وجل وليس لهم حكم فى ذلك .(٢)

فقال تعالى (قلِ الأنفالُ للهِ والرَّسُولِ)

ثم زاد على الجواب بقوله تعالى :

(فاتَّقوا اللَّهَ وأَصلِحوا ذاتَ بَيْنِكُم وأَطِيعوا اللَّهَ ورَسُولَهُ إن كُنتُم مُؤْمِنينَ)

فان الحق تعالى أمرهم بعد أن بين لهم حكم الأنفال - بتقوى الله تعالى ومراقبته فى السر والعلانية وطاعته وترك وتجنب المخالفة فيما يأمرهم وينهاهم وترك المنازعة والمجادلة والمخاصمة فيما بينهم وفى كل شئ وخاصة فى الغنائم وأمرهم تعالى باصلاح الحال فيما بينهم بالود والمحبة وتسليم أمر الغنائم لله تعالى والرسول صلى الله عليه وسلم يقسمها بحسب ما يقتضيه التشريع الالهى ، فاتركوا الاختلاف الذى حصل بينكم وأطيعوا الله ورسوله صلى الله عليه وسلم بالتسليم لأمرهما ان كنتم مستمرين على الإيمان بالله

---

(١) سورة الأنفال آية (١)

(٢) الخازن جـ٣ ص١ وفتح القدير جـ٢ ص٢٨٣ .

لأنه لا يكمل الايمان بدونهما بل لا يثبت أصلا لمن لم يمتثلهما فان من لا يتق ويطيع الله تعالى ورسوله محمدا صلى الله عليه وسلم لا يكون مؤمنا .(١)

وقال الامام الفخر الرازى :

ان السؤال عن أى أحكام الأنفال كان ؟ فيه وجهان :-

أ - لفظ السؤال وان كان مبهما الا أن تعيين الجواب يدل على أن السؤال كان واقعا عن ذلك المعين .

ولما قال فى جواب السؤال عن الأنفال : (قُلِ الأَنفَالُ لِلَّهِ والرَّسُولِ)(٢) دل هذا على أنهم سألوا عن الأنفال كيف مصرفها ومن المستحق لها .

ب - أن قوله (يَسأَلُونَكَ عَنِ الأَنفَالِ)(٣)

أى من الأنفال ، والمراد من هذا السؤال الاستعطاء على ماروى فى الخبر، انهم كانوا يقولون يارسول الله أعطنى كذا أعطنى كذا .

ولا يبعد اقامة عن مقام من هذا قول عكرمة .

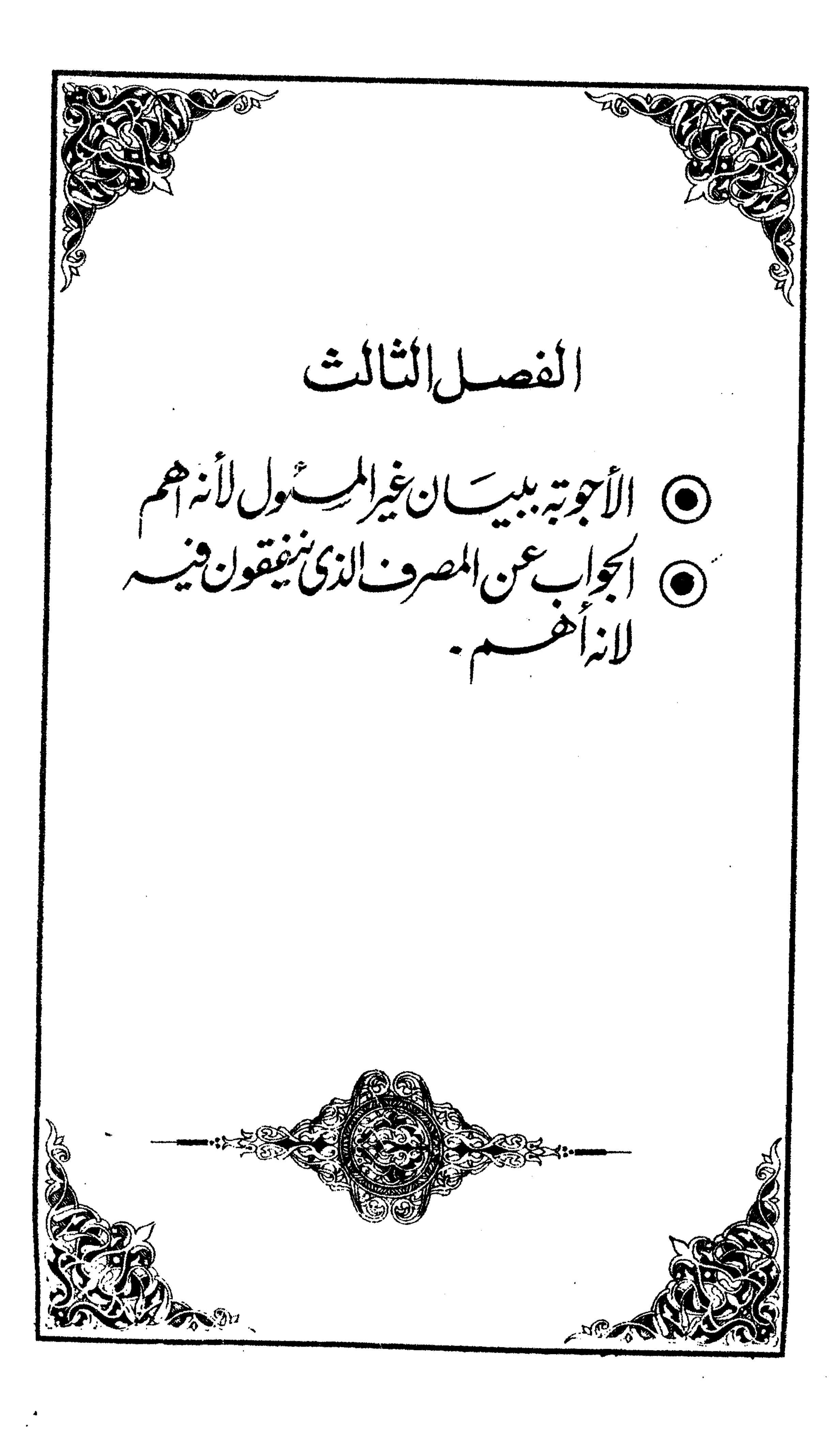
وقراءة عبد الله بن مسعود (يَسأَلُونَكَ الأَنفَالَ)(٤)

ولكنى رأيت كما سبق أن السؤال عن الأنفال جاء الجواب فيها ببيان المسئول عنه وزيادة فبين الحق تعالى لهم أن حكم الأنفال مفوض له تعالى ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم يقسمها حسبما يأمره التشريع الالهى وليس فى قسمتها رأى لأحد منهم .

ثم زاد فى الجواب لأمرهم بالتقوى واجتناب ما هم عليه من المنازعة والمخاصمة والاختلاف فيما بينهم الموجب لسخط الله تعالى وغضبه وكل ما فيه من ضرر ولا سيما وقت الحرب .

---

(١) الخازن جـ ٣ ص٤ وفتح القدير جـ ٢ ص٢٨٣ وتفسير المراغى جـ٩ ص١٦٢ .
(٢) سورة الأنفال آية (١) .
(٣) سورة الأنفال آية (١) .
(٤) التفسير الكبير جـ ١٥ ص١١٤ .



الفصل الثالث

- الأجوبة ببيان غير المسئول لأنه أهم
- الجواب عن المصرف الذي ينفقون فيه لأنه أهم.

((الفصل الثالث))

(الأجوبة ببيان غير المسئول عنه لأنه أهم)

الجواب عن المصرف الذى ينفقون لأنه أهم :

جاء الجواب ببيان غير المسئول عنه لأنه أهم كما فى السؤال عما ينفقون فقال تعالى:
(يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَا أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ)(١)

(١) حينما سأل الصحابة رضوان الله عليهم النبى صلى الله عليه وسلم عما ينفقون أجيبوا ببيان المصرف الذى ينفقون ويصرفون فيه لأن هذا هو الأهم والأولى بالقصد .

فقال تعالى مبينا غير المسئول عنه لأنه أهم :-
(قُلْ مَا أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ)(١)

فهذا بيان مصارف النفقة فى أوجه الخير تنبيها لهم ، ولأنهم هم أحق بالنفقة من غيرهم .(٢)

(٢) وقيل ان هذه الآية الكريمة جاء الجواب فيها ببيان المسئول عنه وزيادة فحصل فيها مايكون جوابا عن السؤال المطلوب ثم ضم اليه زيادة ليكمل بها ذلك المقصود فقال تعالى : (قُلْ مَا أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ)
جواب عن السؤال ، ثم ان ذلك الانفاق لا يكمل الا اذا كان مصروفا الى جهة الاستحقاق فلهذا لما ذكر الله تعالى الجواب أردفه بذكر المصرف تكميلا للبيان .(٣)

---

(١) سورة البقرة آية ٢١٥ .
(٢) فتح القدير جـ١ ص٢١٦ .
(٣) التفسير الكبير جـ٦ ص٢٣ .

(٣) وكما يرى البعض من المفسرين أن هذا من قبيل ماطابق الجواب فيه السؤال :
يقول الامام الفخر الرازى : نقلا عن القفال :
انه كان السؤال واردا بلفظ (مَا) الا أن المقصود : السؤال عن الكيفية لأنهم كانوا عالمين أن الذى أمروا به انفاق مال يخرج قربة الى الله تعالى، واذا كان هذا معلوما لم ينصرف الوهم الى أن ذلك المال أى شئ هو؟ ، واذا خرج عن أن يكون مرادا تعين المطلوب بالسؤال أن مصرفه أى شئ هو؟، وحينئذ يكون الجواب مطابقا للسؤال ، فكذلك فى الآية الكريمة انهم كانوا عالمين بأن الذى أمروا بانفاقه ماهو ، وجب أن يقطع بأن مرادهم من قوله تعالى (مَاذَا يُنفِقُونَ) ليس هو طلب الماهية ، بل طلب المصرف فلهذا حسن الجواب.(١)

وقال الامام سليمان الشافعى الشهير بالجمل :-
ان السؤال عن أمرين عن المنفق من المال وعن المصرف وبهذا الاعتبار تحصل المطابقة بين الجواب والسؤال .

وقال فى الآية الكريمة حذف لبعض المسئول عنه ، وان السؤال عن أمرين عن المنفق من المال ، وعن مصرفه وبهذا الاعتبار تحصل المطابقة بين الجواب والسؤال وقوله (قُلْ مَا أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ) .(٢)

جواب عن السؤال المصرح به فى الآية ، اذ محصل هذا الجواب تجويز الانفاق والتصديق بسائر أنواع الأموال قليلها وكثيرها .

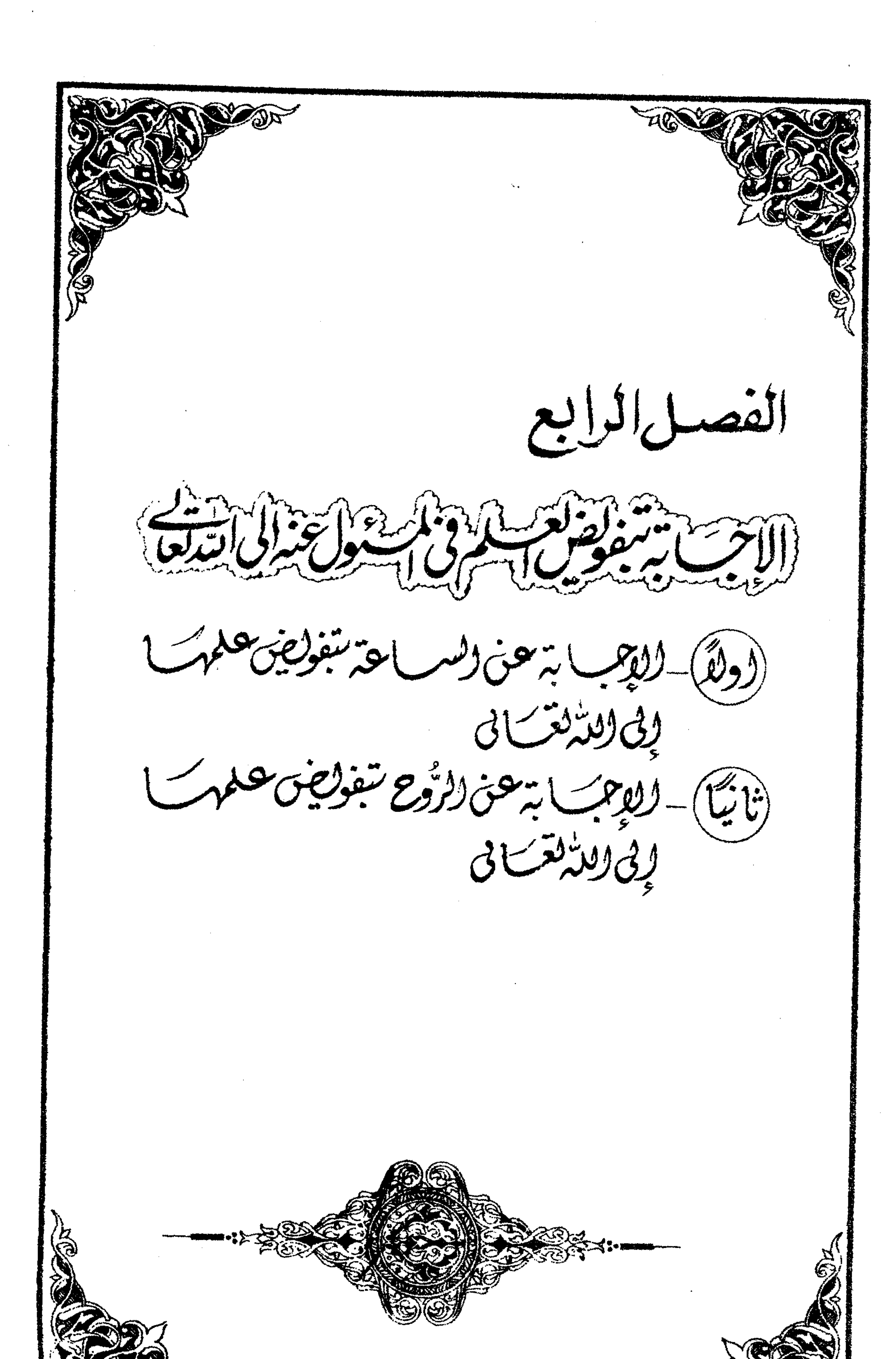
وقوله (فَلِلْوَالِدَيْنِ ....) الآية (٢)
جواب عن المحذوف من السؤال عن المصرف .(٣)

والذى أميل اليه وأرجحه ان الجواب فى الآية الكريمة جاء ببيان غير المسئول عنه لأنه أهم وأولى .

فالسؤال عما ينفقون من المال والجواب ببيان مصارف النفقة لأن هؤلاء هم أولى بالنفقة عليهم من غيرهم .

---

(١) التفسير الكبير جـ٦ ص٢٣ .
(٢) سورة البقرة آية ٢١٥ .
(٣) الفتوحات الالهية جـ١ ص١٧٠-١٧١ .



الفصل الرابع

الإجابة بتفويض العلم في المسئول عنه إلى الله تعالى

أولاً - الإجابة عن الساعة بتفويض علمها إلى الله تعالى

ثانياً - الإجابة عن الروح بتفويض علمها إلى الله تعالى

((الفصل الرابـــع))

(الاجابة بتفويض العلم فى المسئول عنه الى الله تعالى)

أولا : الاجابة عن الساعة بتفويض علمها الى الله تعالى :-

قال تعالى :
(يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ)(١)

سبق ذكر السائلين عن الساعة ـ القيامة فقيل ان قوما من اليهود قالوا يامحمد أخبرنا متى الساعة ان كنت نبيا فانا نعلم متى هى وكان ذلك منهم امتحانا وتعجيزا مع علمهم أنه تعالى قد استأثر بعلمها .

وقيل ان قريشا قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم إن بيننا وبينك قرابة فأسر لنا متى الساعة (٢)

وقد سبق ايضاح ذلك فى الأسئلة التى وجهت الى النبى صلى الله عليه وسلم بفرض الامتحان والتعجيز وجاء الجواب بقوله تعالى (قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي) .
وكذلك فى قوله تعالى (قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ) .
فقد فوض علم ذلك الى الله تعالى .

قال الامام الفخر الرازى :
قوله (يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا) :
سؤال عن زمان وقت الساعة .

---

(١) سورة الأعراف آية ١٨٧ .
(٢) أسباب النزول للواحدى ص١٥٣ ، وأسباب النزول للسيوطى ص١٠٥ ، وجامع البيان فى تفسير القرآن جـ٩ ص٩٣ .

وقد أجاب عنه بقوله (قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي) .

أى لا يعلم الوقت الذى فيه يحصل قيام القيامة الا الله تعالى .

وقوله (يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا) :

سؤال عن مقدار ثقل الساعة وشدتها ومهابتها .

قال الامام الفخر الرازى :

فلم يلزم التكرار ، والفرق بين الصورتين أن السؤال الأول كان واقعا عن قيام الساعة والسؤال الثانى كان واقعا عن مقدار شدتها ومهابتها .(١)

قال الامام الشوكانى :

ظاهر قوله تعالى (يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ)(٢)

أن السؤال عن نفس الساعة أى متى يثبت وقوعها ، لأن ظاهر قوله تعالى (أَيَّانَ مُرْسَاهَا) السؤال عن وقتها ، فحصل من الجميع أن السؤال المذكور هو عن الساعة باعتبار وقوعها فى الوقت المعين لذلك ، ثم أمره الله سبحانه بأن يجيب عنهم بقوله :

(قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي).

أى علمها باعتبار وقوعها عند ربى لا يعلمها غيره تعالى ولا يهتدى اليها سواه ولا يظهرها لوقتها ولا يكشف عنها إلا الله سبحانه وتعالى(٣)

وقوله تعالى (يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا)

أى يسألونك يا محمد عن الساعة كأنك عالم بها ، أو كأنك مستقص للسؤال عنها ومستكثر منه .

(قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ)

---

(١) التفسير الكبير جـ ١ ص٨٢ .
(٢) سورة الأعراف آية ١٨٧ .
(٣) فتح القدير جـ٢ ص٢٧٣ .

قال الامام الشوكاني :-

أمره تعالى بأن يكرر ما أجاب عليهم سابقا لتقرير الحكم وتأكيده .

وقيل ليس بتكرير ، بل أحدهما معناه الاستئثار بوقوعها ، والآخر الاستئثار بكنهها نفسها .(١)

فقال تعالى : (وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ)(٢)

باستئثار الله تعالى بهذا العلم وعدم علم خلقه بها ، ولم يعلمه ملك مقرب أو نبي مرسل(٣)

ولكن الامام ابو السعود قال :-

أمر صلى الله عليه وسلم باعادة الجواب الأول تأكيدا للحكم وتقريرا له واشعارا بعلته على طريقه البرهانية بايراد اسم الذات المنبئ عن استتباعها الصفات الكمال التي من جملتها العلم وتمهيدا للتعريض بجهلهم بقوله تعالى : (وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) أي لا يعلمون ماذكر من اختصاص علمها به تعالى فبعضهم ينكرونها فلا يعلمون شيئا مما ذكر ، وبعضهم يعلمون انها واقعة البتة ويزعمون أنك واقف على وقت وقوعها فيسألونك عنه جهلا ، وبعضهم يدعون أن العلم بذلك من مواجب الرسالة فيتخذون السؤال عنه ذريعة الى القدح في رسالتك ، والمستثنى من هؤلاء هم الواقفون على جلية الأمر من المؤمنين ، وأما السائلون عنها من اليهود بطريق الامتحان فهم من الجاهلين حيث لم يعملوا بعلمهم .(٤)

---

(١) فتح القدير جـ٢ ص٢٧٣ .

(٢) سورة الأعراف آية ١٨٧ .

(٣) فتح القدير جـ٢ ص٢٧٣ .

(٤) تفسير ابي السعود جـ٣ ص٣٠١-٣٠٢ .

ثانيا : الاجابة عن الروح بتفويض علمها الى الله تعالى :-

وكذلك الاجابة بتفويض العلم فى المسئول عنه الى الله تعالى فى السؤال عن الروح فقد حرض اليهود المشركين كما سبق على أن يسألوا عنها النبى صلى الله عليه وسلم بقصد التعجيز والامتحان فأجابهم الحق تعالى أن الروح من أمره تعالى وان عقول الخلق قاصرة عن معرفة حقيقة الروح .

قال تعالى :
(وَيَسأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً)(١)

قال الامام السيوطى :
جاء الجواب فى السؤال عن الروح مجملا وكان هذا الاجمال كيدا يرد به كيد اليهود لأنه قد يعدل عن الجواب أصلا اذا كان السائل قصده التعنت(٢) .

قال الامام الفخر الرازى :
اليهود سألوا عن ماهية الروح وحقيقته وعن قدمها وحدوثها فذكر لهم الجواب بقوله (قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي)(٣)

أى من فعل ربى وهذا الجواب يدل على انهم سألوا هل الروح قديمة أو حادثة فقال بل هى حادثة وانما حصلت بفعل الله تعالى وتكوينه وايجاده .(٤)

وقال الامام القرطبى :
والصحيح الابهام فى الروح لقوله (قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي)
دليل على خلق الروح أى هو المنفرد بخلق الروح والعالم بسره لا يدركه أحد من الناس

---

(١) سورة الاسراء آية ٨٥ .
(٢) الاتقان فى علوم القرآن جـ١ ص٢٥٨ .
(٣) سورة الاسراء آية ٨٥ .
(٤) التفسير الكبير جـ٢١ ص٣٧ ، ٣٨ .

فهو أمر عظيم وشأن كبير من أمر الله تعالى ، مبهما له وتاركا تفصيله ، ليعرف الانسان على القطع عجزه عن علم حقيقة نفسه مع العلم بوجودها .

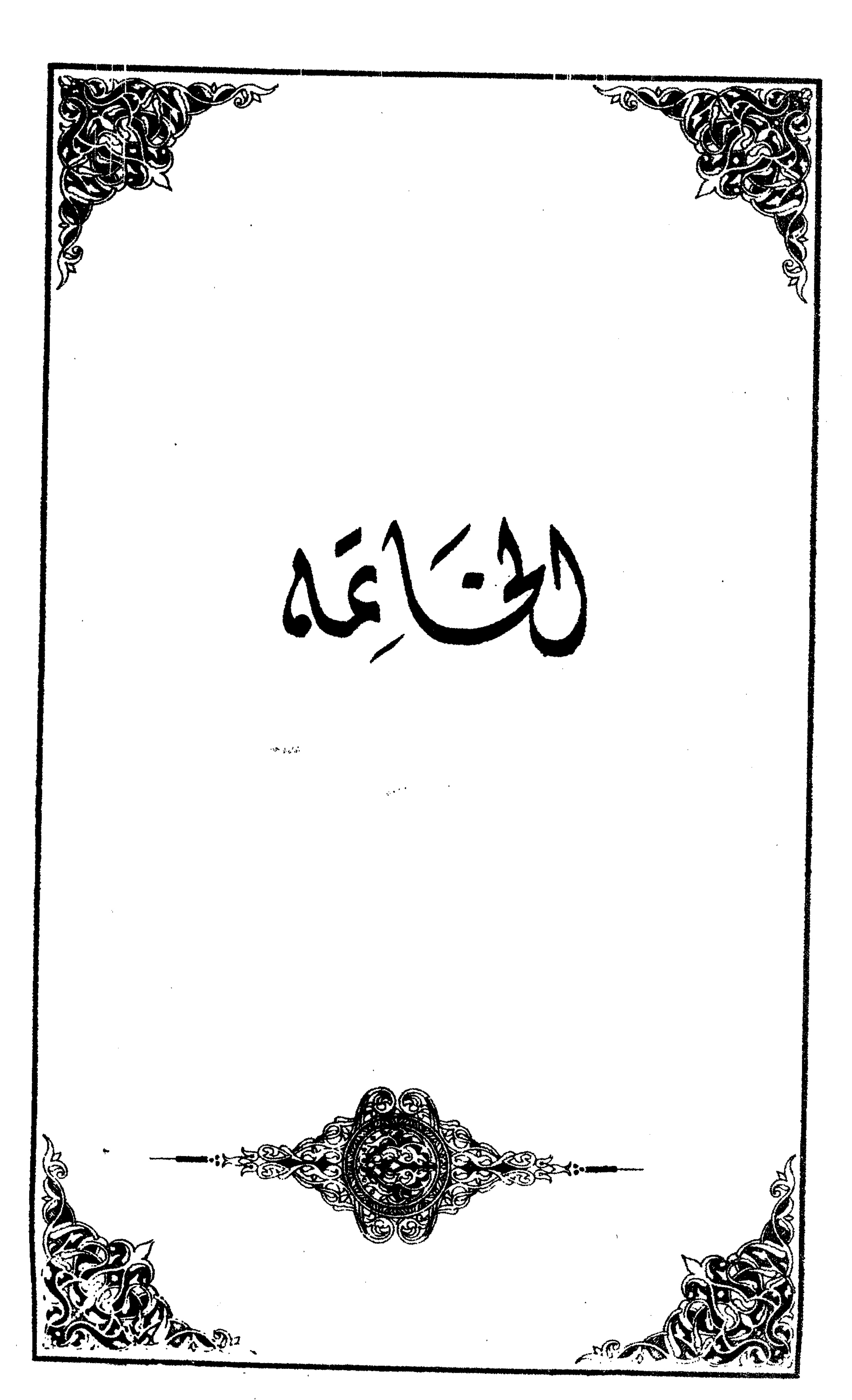
واذا كان الانسان في معرفة نفسه هكذا كان عجزه عن ادراك حقيقة الحق تعالى أولى .

وحكمة ذلك تعجيز العقل عن ادراك معرفة مخلوق مجاور له ، دلالة على أنه عن ادراك خالقه أعجز .(١)

٭٭٭

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي جـ١٠ ص٣٢٤ .



الخاتمة

((الخاتمـــة))

وبعد استعراض مادة هذا البحث ـ الأسئلة والأجوبة في القرآن الكريم ـ أسجل النتائج التى استخلصتها منه :-

أ) النتائج من الأسئلة :

أولا : أن الأسئلة التى وجهت الى النبى صلى الله عليه وسلم من الطوائف المختلفة كانت باغراض شتى :

- فان أسئلة المسلمين كانت بغرض الاستعلام والاسترشاد والتعلم وتطبيق أحكام الاسلام والسير على منهجه الصحيح الذى رسمه الحق لهم فكانوا يريدون العلم بدينهم والعمل به .
- وان أسئلة المشركين كانت بغرض التعجيز والتشهير بالمصطفى صلى الله عليه وسلم والتشكيك فى الدين الاسلامى .
- وأن أسئلة اليهود كانت بغرض الامتحان والحسد على الاسلام وعلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالرغم من وضوح الدلائل والبراهين الساطعة على صدقه فى دعوته الى الحق تعالى .

ثانيا : أن الأسئلة التى أمر الرسول صلى الله عليه وسلم أن يسألها الرسل قبله عليهم السلام.
كانت لتوضيح أن الأديان والشرائع السابقة تدعو الى دين الحق والى عبادة الله تعالى دون سواه فلا واسطة بين الحق وعباده ، وأن الأسئلة التى أمر الرسول صلى الله عليه وسلم أن يسألها المشركين كانت لاقامة الحجة عليهم لأنهم معترفون بالله تعالى وأنه خالق كل الأشياء ورب السموات ومن فيهن ورب الأرض ومن عليها ولكن تقليد الآباء وحب الرياسات والعصبية جعلهم يعبدون معه آلهة أخرى لا تنفع ولا تضر فهى بزعمهم الباطل تقربهم من الله تعالى زلفى وهذا زعم باطل فاسد لا أساس له .
وأن الأسئلة التى أمر الرسول صلى الله عليه وسلم أن يسألها بنى اسرائيل كانت عن أشياء حدثت لأجدادهم لا سبيل لمحمد صلى الله عليه وسلم الى علمها

الا بالوحى من الله تعالى ولكن انكارهم هذا دليل حسدهم ومكابرتهم عن الحق .

ثالثا : أن أسئلة الله تعالى لعباده كانت تدل على النواحى التالية :-

- ان أسئلة الله تعالى لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم مصدرها العتاب لأنه عليه الصلاة والسلام ترك ماكان الأولى له أن يفعله والرسول صلى الله عليه وسلم بشر فالحق تعالى أعلمه بذلك ليكون ذلك تشريعا لأمة الاسلام .

وان أسئلة الله تعالى للمشركين كانت لتقريرهم بوحدانيته تعالى وانه الاله بحق وأن نبيه صادق وأن ذلك من الظهور بحيث لا يخفى على ذى عقل ، فلا عذر لهم بعد ذلك فى الاستمرار على الكفر .

- وان أسئلة الله تعالى لأهل الكتاب - اليهود والنصارى - كانت لتقريعهم على الزيغ فى أشياء واضحة لهم ، وأدلة الحق فيها مقررة لديهم منها :

* محاجتهم الباطلة فى سيدنا ابراهيم الخليل عليه السلام وانه كان يهوديا أو نصرانيا ولكن هذا الحكم باطل لأن التوراة والانجيل قد أنزلتا من بعده بل كان عليه السلام مسلما حنفيا منقادا لله تعالى وماكان من المشركين كأهل الكتاب وغيرهم .

وأن أولى الناس وأحقهم بسيدنا ابراهيم عليه السلام من اتبعه من المؤمنين به وخاصة هذا النبى محمد صلى الله عليه وسلم والذين معه فالكل متفق معه فى الايمان بالله وحده دون سواه والحق سبحانه وتعالى هو ولى المؤمنين .

وقد وضح لهم الحق الذى أخفوه وعملوا على التشكيك فيه وهم يعلمون حق اليقين صدق نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وأن الاسلام حق ولكنهم يجحدون حسدا وعنادا ومكابرة عن الحق الذى عرفوه من الاخبار عنه عليه الصلاة والسلام فى كتبهم وانهم خلطوا الحق بالباطل وحرفوا الكلام عن مواضعه فكانت الأسئلة لهم لتوبيخهم على الزيغ فى هذه الأمور وغيرها من بعد ما تبين لهم الحق .

ب) ومما يستخلص من الأجوبة فى القرآن :-

أن الجواب يتنوع بحسب المسئول عنه، وحاجة السائل الى معرفته .

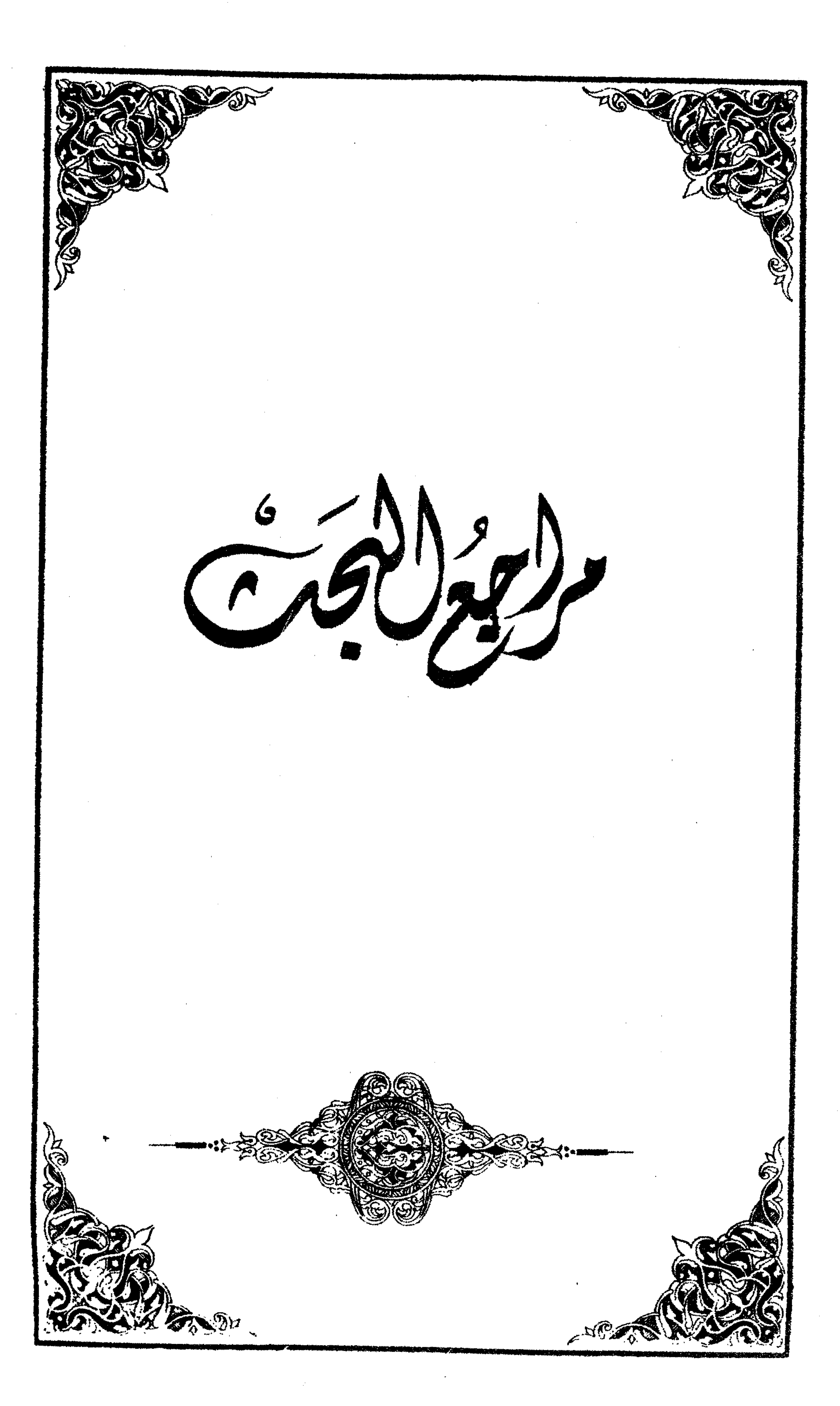
١ ـ فأحيانا كثيرة يطابق الجواب السؤال ، لأن السؤال في موضعه ، والسائلون في حاجة الى معرفة جوابه ليعملوا به . وهذا هو الأصل في الاجابة .

٢ ـ وقد يعدل عن الأصل ويجاب عن :

أ ـ المسئول عنه وزيادة،لحاجة السائل الى معرفة هذه الزيادة .

ب ـ أو يجاب عن غير المسئول عنه ، وذلك لأن السؤال كان عما لا حاجة اليه ، بينما المهم غيره مما لم يسأل عنه ، فيجاب ببيان هذا المهم الذى لم يسأل عنه .

جـ ـ أو لا يجاب عن المسئول عنه ولا غيره ، وانما يفوض العلم فيه الى الله تعالى لأن السؤال كان عما لا قدرة للبشر في معرفته ، ولا حاجة لهم ولا مصلحة في معرفته ـ كالروح ووقت قيام الساعة ـ .



مراجع البحث

((فهرس المراجع))

١ - كتب التفسير :

أحكام القرآن
أبى بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربى سنة ٤٦٨ هـ - ٥٤٣ هـ .
تحقيق على محمد البجاوى .
مطبعة دار الفكر بيروت - لبنان - الطبعة الثالثة سنة ١٣٩٢ هـ .

أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف بتفسير البيضاوى
ناصر الدين أبى سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازى البيضاوى . مؤسسة شعبان . بيروت لبنان .

تفسير القرآن العظيم
الحافظ عماد الدين أبى الفداء اسماعيل بن كثير القرشى الدمشقى المتوفى سنة ٧٧٤ هـ
مطبعة دار الفكر - بيروت - لبنان .

تفسير أبى السعود
أبو السعود محمد بن محمد العمادى
دار احياء التراث العربى - بيروت / لبنان .

تفسير آيات الأحكام
الأستاذ الشيخ محمد على السايس - المدرس بكلية الشريعة الاسلامية .
مطبعة محمد على صبيح .

تفسير البحر المحيط
محمد بن يوسف الشهير بأبى حيان الأندلسى الغرناطى . سنة ٦٥٤ هـ - سنة ٧٥٤ هـ .
الطبعة الثانية سنة ١٣٩٨ هـ دار الفكر - بيروت .

تفسير الخازن المسمى لباب التأويل فى معانى التنزيل .
علاء الدين على بن ابراهيم البغدادى الصوفى المعروف بالخازن - دار الفكر - بيروت .

التفسير الكبير — فخر الدين الرازى أبو عبد الله محمد بن عمر ابن حسين القرشى الطبرستانى المتوفى سنة ٦٠٦ هـ .
الطبعة الثانية - دار الكتب العلمية - طهران .

تفسير المراغى — مصطفى محمد المراغى . أستاذ الشريعة الاسلامية واللغة العربية بكلية دار العلوم .سابقا .
الطبعة الثالثة دار احياء التراث العربى بيروت . لبنان .

تفسير النسفى — أبى البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفى
دار الكتاب العربى - بيروت . لبنان .

جامع البيان فى تفسير القرآن — أبى جعفر محمد بن جرير الطبرى . المتوفى سنة ٣١٠ هـ
دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت . لبنان .

الجامع لأحكام القرآن — أبى عبد الله محمد بن أحمد الأنصارى القرطبى.
الطبعة الثانية - أعادت طبعه بالأوفست .
دار احياء التراث العربى . بيروت . لبنان .

حاشية العلامة الصاوى على تفسير الجلالين — أحمد الصاوى المالكى .

روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى — أبى الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسى البغدادى . المتوفى سنة ١٢٧٠ .
الطبعة الثانية ادارة الطباعة المنيرية .
دار احياء التراث العربى - بيروت . لبنان .

فتح القدير الجامع بين فنى الرواية والدراية فى علم التفسير — محمد بن على بن محمد الشوكانى . دار الفكر - بيروت . لبنان

الفتوحات الالهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية . — سليمان بن عمر العجيلى الشافعى الشهير بالجمل المتوفى سنة ١٢٠٤هـ . دار الفكر - بيروت . لبنان .

فى ظلال القرآن — سيد قطب الطبعة الثامنة . سنة ١٣٩٩هـ . دار الشروق بيروت . لبنان .

كتاب التسهيل لعلوم التنزيل — محمد بن أحمد جزى الكلبى دار الفكر . بيروت . لبنان .

٢ - **كتب الحديث :**

الجامع الصحيح — للامام ابى الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيرى النيسابورى . المكتب التجارى للطباعة والنشر والتوزيع بيروت . لبنان .

سنن أبى داود — الامام الحافظ المصنف المتقن أبى داود سليمان ابن الاشعث السجستانى الازدى ٢٠٢-٢٧٥هـ مراجعه محمد محى الدين عبد الحميد . دار الفكر - بيروت . لبنان .

سنن الترمذى
وهو الجامع الصحيح
الامام الحافظ أبى عيسى محمد بن عيسى ابن
سورة الترمذى
٢٠٩-٢٧٩هـ
حققه وصححه عبد الوهاب عبد اللطيف .
دار الفكر - بيروت . لبنان

سنن الدارمى
الامام الكبير أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن
ابن الفضل بن بهرام الدارمى .
المتوفى سنة ٢٥٥هـ .
دار الكتب العلمية بيروت . لبنان

سنن النسائى
بشرح الحافظ جلال الدين السيوطى
وحاشية الامام السندى .
الحافظ أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائى
سنة ٢١٥هـ - ٣٠٣هـ . الطبعة الأولى
دار الفكر - بيروت . لبنان .

صحيح البخارى
أبى عبد الله محمد بن اسماعيل البخارى
دار احياء التراث العربى - بيروت . لبنان .

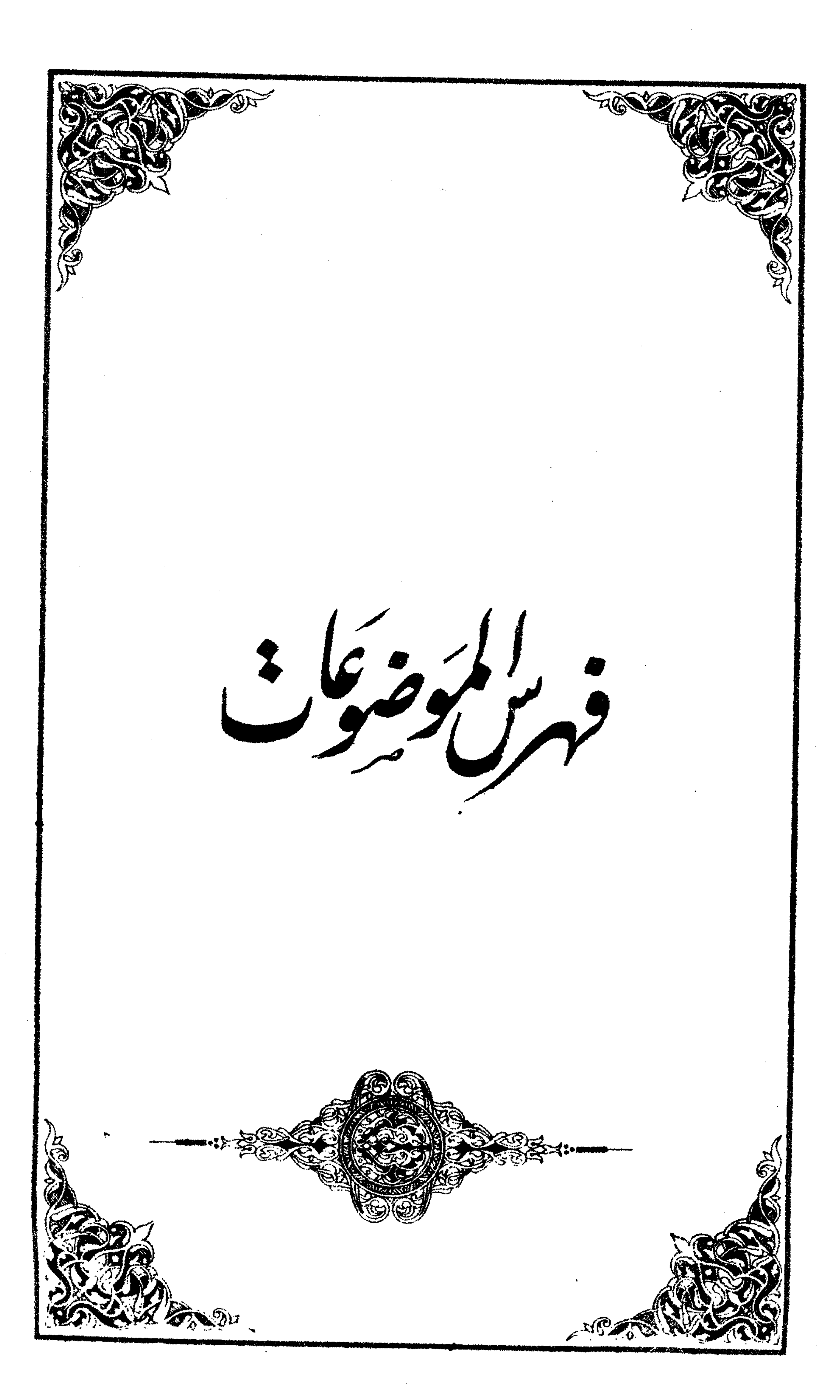
صحيح مسلم
بشرح النووى
محى الدين أبو زكريا يحيى بن شرف بن مرى
الحوارنى الشافعى سنة ٦٣١هـ - سنة ٦٧٦هـ .
الطبعة الثانية . دار الفكر - بيروت . لبنان .

فتح البارى
شرح صحيح البخارى
أحمد بن على بن حجر العسقلانى . سنة ٧٧٣هـ
- ٨٥٢هـ .
دار المعرفة - بيروت . لبنان .

مسند الامام أحمد	أحمد بن حنبل . الطبعة الثانية . المكتب الاسلامى للطباعة والنشر . بيروت . لبنان .
المستدرك على الصحيحين	الامام الحافظ أبى عبد الله الحكم النيسابورى دار الكتاب العربى - بيروت . لبنان .

٣ - كتب علوم القرآن :

الاتقان فى علوم القرآن	جلال الدين عبد الرحمن السيوطى الشافعى المتوفى سنة ٩١١ هـ
أسباب النزول	أبى الحسن على بن أحمد الواحدى النيسابورى سنة ٤٦٨هـ . دار الكتب العلمية بيروت . لبنان .
السيرة النبوية	أبى محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميرى المتوفى سنة ٢١٨ هـ . راجعه وعلق عليه محمد خليل هراس . مكتبة الجمهورية . القاهرة / جمهورية مصر العربية .
لباب النقول فى أسباب النزول	جلال الدين عبد الرحمن أبى بكر السيوطى دار احياء العلوم / بيروت / لبنان . الطبعة الثانية سنة ١٩٧٩م .



فهرس الموضوعات

((فهرس الموضوعات))

